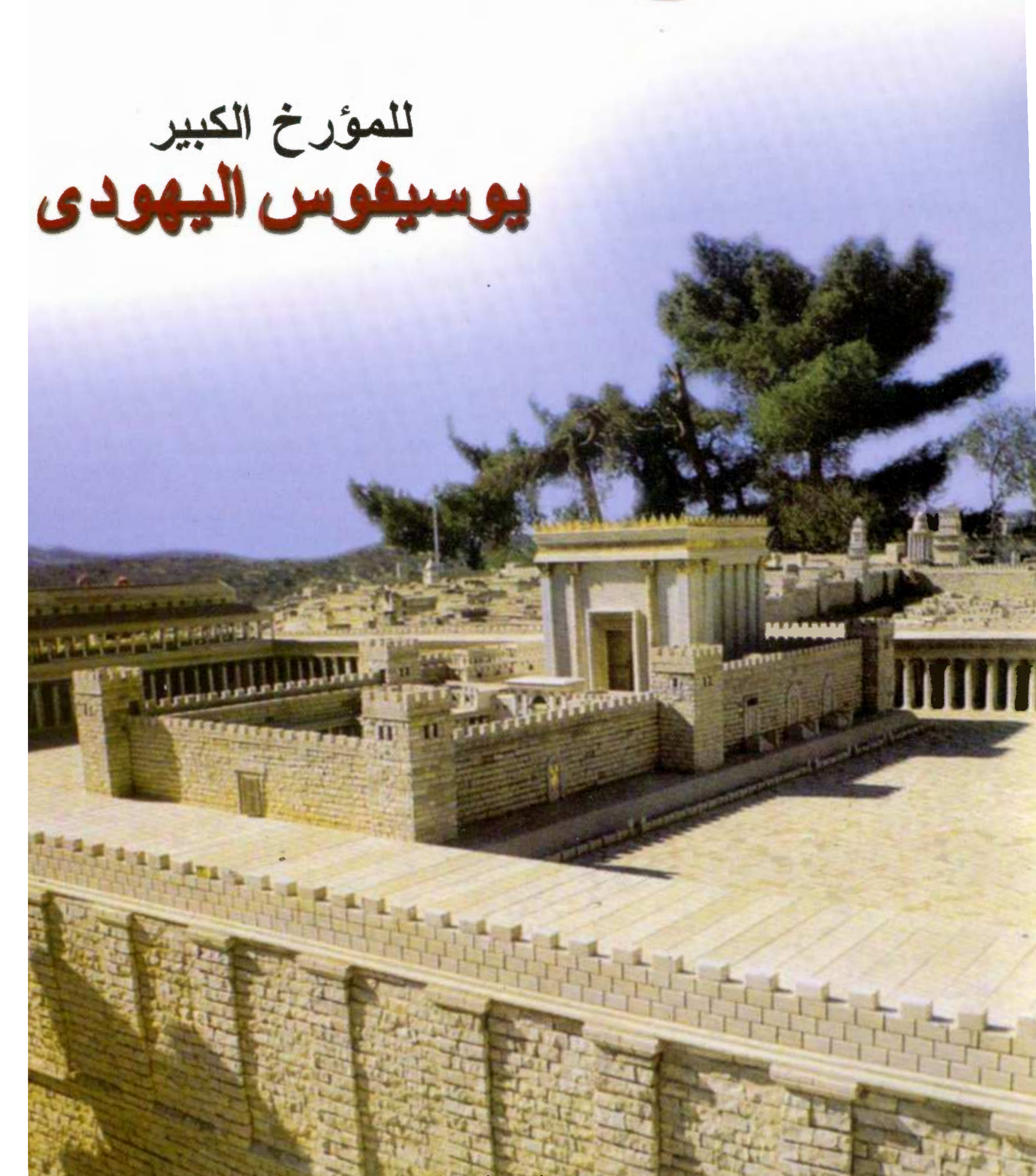
تاريخ اليهود

للمؤرخ الكبير

يوسيفوس اليهودى



تاريخ اليهود

للمؤرخ الكبير

يوسيفوس اليهودى

إعداد

الراهب القمّص
أنطونيوس الأنطونى

الطباعة : شركة الطباعة المصرية ت : ٦١٠٠٥٨٩
رقم الإيداع : ١٩٨٦٤/ ٢٠٠٦
الطبعة : الأولى ٢٠٠٦



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل **الأنبا يسطس**

اسقف ورئيس دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر

المقـــــدمـــــة

ليس بانسانٍ ولا عالمٍ　　　من لا يعى التاريخ فى صدرهِ

ومن درى أخبار قبلهُ　　　أضاف أعماراً إلى عمرهِ

بسم الآب والأبن والروح القدس
الإله الواحد آمين.

الحمد لله الذى لهُ علم ما كان وما يكون .

أما بعد فلما كان التاريخ من ألذ العلوم وأنفعها، وكان كثيرون يرغبون أن يقفوا على تاريخ عائلة يهوذا المكابى ويوسيفوس بن كربون اليهودى طبع كل من سليم نقولا مدور وابراهيم سركيس ــ فى بيروت سنة ١٨٧٢ ــ هذا الكتاب باللغة العربية لتعم فائدتهُ أبناء هذه اللغة، على الرغم أن به كثير من المعلومات الخاطئة عن المكابيين بخلاف ما ورد فى السفرين،ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه كتب تاريخه فى روما فكان بعيداً جداً عن موقع الأحداث،كما أنهُ كتب بعد سنة ٧٠ م ،أى بعد الثورة المكابية بقرنين من الزمان. ولما نفذ هذا الكتاب قمت بإعادة طبعهِ ــ دون إضافةِ أو نقصان سوى إضافة بعض التواريخ والخرائط والصور لمساعدة القارئ وإرشاده عن أزمنة هذه الحوادث والشخصيات والتاريخ والمدة التى حكموا فيها ــ ليعرف الباحثون تاريخ اليهود فى الفترة ما بعد السبى الثانى لأورشليم إلى تدمير الهيكل (أى من سنة ٣٠٠ ق م إلى سنة ٧٠ م) وهى نادراً ما كتب عنها أحداً فى كتب التاريخ راجياً أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه.
ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الراهب القمص
أنطونيوس الأنطونى

الفصل الأول

آدم ولد شيث وشيث ولد أنوش وأنوش ولد قينان وقينان ولد مهللئيل ومهللئيل ولد يارد ويارد ولد أخنوخ وأخنوخ ولد متوشالح ومتوشالح ولد لامك ولامك ولد نوح ونوح ولد سام وحام ويافث . ويافث ولد جومر وماجوج وماداى . وماداى ولد توبال وماشــك وتيراس وبنو جومر اشكناز وريفاث وتوجرمة وبنو ياوان اليشة وكتّيم ودودانيم.

• هذه ذكر قبائل يافث والمواضع التى سكنوا فيها *

بنو يافث مادى ومحله الشمال من بلاد العجم وياوان ومنهُ اليونانيون الذين يــسكنون بأرض مكدونيا وتوبال ومحلهُ بجوار ماجوج بين البحر الأسود وبحر الخزر وماشك ومحلهُ بجوار ماجوج وتوبال، وقد سكن بعض نسله على شط بحر بلتيك ومنهُ تسلسل بعض المسكوبيين.
قال صاحب الكتاب وكان أهل الأرض بعد الطوفان اجتمعوا إلي موضع واحــد مــن الأرض فأقاموا فيهِ وكانت لغتهم واحدة ففرقهم الله فى الأرض وخالف بين الــسنتهم ولغاتهم فصاروا امما مختلفة . قال فلما شتت الله بنى آدم وفرقهم فى الأرض مــضى بنو كتيم إلى أرض أسبانيا واقاموا بها. ومضى بنو توبال إلى أرض يوسينا واقــاموا هناك وبنوا مدينة وسموها أسبانيا على اسم البنّاء الذى بناها، وكانوا يرغبــون فــى مصاهرة أعمامهم بنى توبال ويطلبون منهم أن يزوُجوهم بناتهم ولكن بنى توبال كانوا يتكبرون عليهم ولا يريدون أن يزوُجوهم . فلما كان فى بعض السنين خرج بنو توبال فى زمن الحصاد ليحصدوا زرعهم وخلت مدينة أسبانيا من الرجال فاجتمع جماعة من الكتيم ومضوا إلى المدينة فدخلوها وسبوا من وجدوا فيها من البنات ومضوا بهم إلى حصون لهم فى جبل منيع، فلما علم بنو توبال بذلك حضروا مسرعين إلــى الكتــيم ليحاربوهم فلم يقدروا عليهم فانصرفوا عنهم فى تلك السنة وعادوا اليهم فــى الــسنة الأخرى فلما علم الكتيم بمجيئهم أخذوا الأولاد الذين ولدوا لهم من بنات توبال فى تلك المدة وأصعدوهم على سور المدينة ثم قالوا لبنى توبال نحن لا نريد أن نحاربكم وإن قاتلتم إنما تقاتلون أولادكم وأصهاركم الذين هم أقرب الناس إليكم، فكف بنو توبال عن القتال وانصرفوا.

* ذكر خبر صفو بن اليفاز بن عيسو بن اسحق بن ابراهيم * * وسبب مُلكهِ على الكتيم *

قال صاحب الكتاب لما خرج يوسف بن يعقوب إلى الشام ليدفن أباه، ولقيهُ بنو العيس فحاربوه فغلبهم يوسف واسر صفواً بن اليفاز وجماعة منهم وحملهم معهُ إلى مصر إلى أعساس مُلك إفريقية، فقبله أعساس وأحسن إليهِ. وكان فى بلاد الكتيم فى ذلك الزمان رجل يقال لهُ عوصو، وكان عظيماً عند الكتيم فمات ولم يكن لهُ ولد ذكر، وكان لهُ إبنة(فتاه) يقال لها بيناه، وكانت موصوفة بالحسن والجمال. فوجه أعساس مُلك إفريقية رسولاً إلى الكتيم يخطبها منهم لهُ،وفى نفس الوقت أرسل أيضاً توريوس مُلك نينوى رسولاً إلى الكتيم يخطبها منهم لهُ، فارسلوا إلى توريوس يقولون لهُ، إن أعساس مُلك إفريقية قد وجه الينا رسولاً يطلبها مثلما طلبت فإن منعناه لم نأمن منهُ أن يغزونا إلى بلادنا وليس لنا طاقتهُ، ولا تقدر أن تخلصنا منهُ. فسار اليهم توريوس ليحاربهم، فوجهوا إلى أعساس يعلمونه بذلك. فسار أعساس بجيشه لمحاربة توريوس فالتقيا فى أرض أسبانيا وكانت بينهم حروب كثيرة كان الظفر أولاً لتوريوس فقُتِل جماعة من أصحاب أعساس ثم بعد ذلك غلب أعساس توريوس فقتلهُ وإستباح عسكرهُ، وأمر أن يجعل فى تابوت من نحاس ويجعل قالس بن أخيهِ فى تابوت من ذهب ودفنهما وبنى على قبورهما برجين عظيمين متقابلين على الطريق، وهما باقيان إلى الآن بين البانوا ورومية. وأخذ أعساس بيناه بنت عوصو ومضى بها إلى قرطاجنة مدينة مُلكهِ فلما أقامت بها مدة أيام مرضت وطال مرضها فأمر أعساس الأطباء والحكماء بمداواتها وسألهم عن سبب مرضها فقالوا إنها لم تمرض إلاّ لإختلاف الماء والهواء عليها، وقد سمعنا أنها كانت تشرب فى بلدها من ماء العين التى تجرى إلى مدينتها. فأمر أعساس بإحضار ماء من تلك العين ثم وزنه فكان أخف من جميع مياه إفريقية فأمر أعساس بأن تعمل قناة من تلك العين إلى قرطاجنة، فعملت وجرى الماء فيها ونقل من بلاد الكتيم حجارة وتراباً وبنى لها منازل وقصوراً وإنما فعل ذلك لعظم موضع بيناه فى قلبه ومحبة أهل مملكته لها وفرحتهم بها.

وبعد ذلك صار أهل إفريقية فى ذلك الزمان يغزون الكتيم وينهبونهم ويفسدون بلادهم، وكان صفو بن اليفاز هناك حين كانوا يغزونهم، فهرب صفو بن اليفاز من إفريقية إلى الكتيم وأقام عندهم، فحسنت حالهُ فيهم وأيسر، ولما كثر غزو أهل إفريقية إلى الكتيم إجتمع أهل الكتيم إلى جبل سبع فأقاموا فيهِ وصفو بن اليفاز معهم. وفى بعض الأيام هرب ثور لصفو فخرج فى طلبه مسرعاً ورائهُ، وعندما أقترب منهُ وإذا هناك أسد عظيم قد إفترسه وهو يأكل منهُ، فهجم صفو عليهِ فقتله وعاد إلى الكتيم فأخبرهم بذلك فلهذا عظموه لأن ذلك الأسد كان هائلا جداً وكان قد أضر بهم وأفنى بهائمهم ولم يكن أحد منهم يجسر على مقاتلته ولذلك فرحوا بقتله وعظم قدر صفو عندهم ، والتمسوا أمراً جليلا يكافئونه بهِ فاتفقوا على أن يجعلوا لهُ عيداً يعيدونهُ كل سنة ويذبحوا لهُ فيهِ ذبائح ويهدون إليهِ هدايا وسموا ذلك اليوم (يانوس أى الأسد) ثم إن أهل إفريقية غزوا

الكتيم على عاداتهم، فخرج إليهم صفو مع أهل الكتيم فكسرهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ولم يعودوا بعد ذلك. فاستراح الكتيم منهم وشكروا صفواً على ما فعله وملكوه عليهم وسموه يانوس كاسم الأسد الذى قتله.
وأما اسطريوس فهو اسم الكواكب الذى كانوا يعبدونه فى ذلك الزمان وهو زحل فلما مُلك صفو على الكتيم وقوى فغزا بنى توبال وجميع الأمم حاربهم فغلبهم وعلا عليهم وعظم أمر صفو واستقام مُلكهِ وهو أول مُلك مُلك فى بلد أسبانيا وكانت مدة مُلكهِ ٥٥ سنة.

• ذكر من مُلَك على الكتيم بعد صفو المذكور *

ولما مات صفو مُلِك بعدهُ افوفوس خمسين سنة ومُلِك بعدهُ فسوس ليطرس وهو الذى بنى هيكلاً عظيماً لزحل وصنع سفناً كثيرة وسار إلى قرطاجنة لمحاربة احياويل بن أعساس مُلك إفريقية، وذلك أن لطينوس أراد أن يأخذ صفوشا إبنة احياويل هذا كما فعل أعساس أبوه بالكتيم لما أخذ منهم بيناه إبنة عوصو قهراً، وكانت صفوشا أيضاً موصوفة بالحسن والجمال حتى إن أهل زمانها كانوا يرسمون صورتها على ثيابهم لإفراط حبهم لها، فجاء لطينوس بعسكره ونزل على قرطاجنة وحاصرها وقطع قناة الماء التى كان أعساس الملك قد بناها وهدم بعضها، فخرج إليهِ احياويل وكانت بينهما حروب عظيمة هلك فيها احياويل واستباح لطينوس عسكرهُ. ثم دخل إلى قرطاجنة وأخذ صفوشا إبنة احياويل ومضى بها إلى بلاد الكتيم فعظم شأن لطينوس لذلك وقوى أمره وكانت مدة مُلكهِ خمساً وأربعين سنة ثم مات، وملك بعدهُ اسكيانوس ثمانى وثلاثين سنة، وملك بعدهُ سلاكيوس تسعاً وعشرين سنة، وبعده الطينوس خمسين سنة وهو الذى غزا أهل المنيله وبرجوينا وقهرهم وبنى هيكلاً للزهرة وهدم هيكل زحل وأحرق كهنته بالنار على مذبح الزهرة، ثم مات وملك بعدهُ يوليانوس تسعاً وثلاثين سنة، وبعده انتيغونيوس أربعاً وعشرين سنة، وبعده كركيطوس ثلثاً وعشرين سنة، وبعده بيتراوس ثمانى وعشرين سنة، وبعده اغريقاس، وبعده اومولوس تسع عشرة سنة، وبعده اسوطو سبعاً وثلاثين سنة، وبعده فروكاس ثلاث وأربعين سنة، وبعده رومانوس ثمانى وثلاثين سنة، وفى زمان رومانوس هذا غلب داود الملك لبنى اسرائيل على الشام وعلى آدوم فقُتِل منهم مقتلة عظيمة وهرب منهم جماعة إلى بلاد الكتيم، فأعطاهم رومانوس موضعاً على ساحل البحر بقرب الجبل، فبنوا هناك مدينة وسموها صربنوا باسم صاحبها الذى هرب من داود وكان اسمهُ صربنا وهو من نسل بيت هدد وقد أعانة مُلك الشام فى حفر عين للماء فى تلك المدينة بقرب الشط ثم خسف بها و غلب البحر عليها وغطاها فبنوا مدينة أخرى وسموها صربنوا باسمها أما صربنوا القديمة فهى معروفة إلى الآن بين يافولى وأهل صربنوا الجديدة والنفط يطلع على وجه الماء فيجمعه أهل يافولى وأهل صربنوا الجديدة أما رومانوس الملك فإنه خاف من داود ملك اسرائيل فبنى سوراً عظيماً يحيط بجميع هياكله ومواضعه وكان

تقدير ذلك خمسة وأربعين ميلاً،وجعل داخل السور مدينة واحدة وسماها رومية مشتقة من اسمهُ وهى رومية المشهورة، وسميت تلك البلاد أيضاً رومانيا مشتقة من إسم رومانوس وسمى أهلها رومانيين بنسبتهم اليها وهم الروم ولم يزل رومانوس خائفاً حذراً من داود طول زمانهِ. وبنى رومانوس هيكلاً عظيماً للمشترى وعطل هيكل زهرة الذى كان لطينوس بناه ثم مات رومانوس وملك بعدهُ يوماقولوس احدى واربعين سنة وبعده يوليوس اثنتين وثلاثين سنة وبعده تركيونوس خمساً وثلاثين سنة ثم قتل. وكان سبب قتله أنهُ قد كان هوى(إشتهى) إمرأة رجل من أهالى رومية فأخذها قهراً، فعظم ذلك على المرأة فأخذت السكين بيدها وشقت بطنها فماتت، فمضى زوجها وأخيها وكمنا لتركينوس فى الهيكل فلما دخل على عادته وثبا عليهِ فقتلاه. فعند ذلك حلفت أهل رومية وأقسموا على انفسهم وعلى من بعدهم من الأجيال أنهم لا يملكون عليها ملكاً أبداً. ثم اختاروا رجلاً منهم قدَموه عليهم وسموه الشيخ وجعلوا معهُ ثلث مئة وعشرين رجلاً أقوياء أمناء يدبرون المملكة. وإستمر الأمر برومية على ذلك إلى أن تغلب عليهم قيصر الأول فسمى نفسهِ ملكاً وصاروا من بعدهُ يسمون ملوكاً كما سنذكر فيما بعد. فلما ولوا الشيخ والثلث مئة والعشرين رجلاً مدبرين على مملكة الروم قوى أمرهم إلى أن غلبوا جميع الشعوب الذين يحاورونهم بالمغرب. و بعد ٢٠٠ سنة حدثت حروب عظيمة بين الروم وبين الكلدانيين وكان سبب ذلك حرب جرت بين اليونانيين والكلدانيين فأعان الروم اليونانيين، فغضب الكلدانيون من ذلك وحاربوا أهالى رومية، فاشتعلت الحرب بينهم وخاف أهالى رومية على مدينتهم من الكلدانيين فمضوا إلى نهر تيبر فحولوه إلى مدينتهم التى هى رومية وأجروه فى المدينة من أولها إلى آخرها ثم يخرج منها إلى البحر وبسطوا جميع الأرض بالنحاس ومقدار ذلك ثمانية عشر ميلاً طول وستة أميال عرض المدينة وقد فعلوا ذلك لئلا يتمكن أعدائهم من غزوهم . والنهر باق بهذا الوصف إلى الآن، ولما بلغهم أن بختنصر مُلك بابل الكلدانى فتح أورشليم، عظم خوفهم من الكلدانيين فوجهوا إليهِ رسالة وهدايا وطلبوا الأمان وضمنوا لهُ الطاعة فأمنهم وعاهدهم واطمئنوا وانقطعت عنهم تلك الحروب إلى زمان مادى وفارس.

* ذكر خروج داريوس ملك مادى وكورش ملك فارس *
* على الكلدانيين وقتل بلطشاصر ملك بابل *

قال صاحب الكتاب لما انقضت مدة مُلك الكلدانيين وحضر الوقت الذى حكم الله فيهِ بزوال ملكهم والإنتقام منهم كما أخبر الأنبياء. أثار عليهم الملوك الذين كانوا يعصونهم ملكين عظيمين أحدهما داريوس مُلك مادى والآخر كورش مُلك فارس. فتزوج كورش ابنة داريوس واتفقا على معصية الكلدانيين وإظهار الخلاف على بلطشاصر بن بختنصر مُلك بابل، فسارا إليهِ بجيش كبير، فلما بلغ بلطشاصر خبرهما وجه اليهما جيشه فهزماه وتبعاه إلى موضع بينه وبين بابل مسيرة يوم فأقاما فيهِ. فوجه اليهما

بلطشاصر بعسكر كبير فيهِ الف قائد من قواده وجميع خاصته ورجال عسكره فخرجوا من بابل آخر النهار وساروا فى الليل فوافوا عسكر داريوس وكورش قبل الغداة فحاصروهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً وإنهزم مُلك الفرس، وعاد عسكر بلطشاصر إليهِ ظافرين غانمين. فعظم سرور بلطشاصر بذلك وصنع لقواده وليمة عظيمة وبالغ فى إكرامهم وحضر معهم فى مجلس الشراب، فشرب وإتصل شربهم فى الليل، فلما أخذ الشراب من بلطشاصر أراد أن يزيد فى إكرام أصحابهِ وسرورهم، فأمر بإحضار آنية الذهب والفضة التى كان أخذها جده بختنصر الملك من هيكل الله وبيته المقدس ونقلها مع جالية بنى اسرائيل إلى بابل فاحضرت تلك الآنية بحضرة بلطشاصر، فشرب فيها الخمر وسقى بها قواده وسراريه وخاصته وأقبلوا يسبحون لأصنامهم ويشكرون لها، فسخط الله على بلطشاصر من أجل إبداله آنية القدس وأرسل ملاكاً فكتب بأمر الله على حائط المجلس مقابل المنارة كتاباً أحمر يتضمن ذكر ما حكم الله عليهِ وعلى مملكته فنظر بلطشاصر شبه كف إنسان وأصابعه خارجة من الحائط وهى تكتب ولها نور شديد فاضطرب الملك وجزع ولحقه خوف شديد واعترى الخوف جميع رجالهُ ولم يفهم ذلك المكتوب ولا واحد من جميع جنده الحاضرين معهُ لأن الخط كان كلدانياً واللفظ عبرانيا. فأمر بإحضار دانيال النبى وفسَرها وقال لبلطشاصر إنك أيها الملك قد فعلت فعلاً عظيماً بابدالك آنية القدس بأيدى جندك وسراريك فنجسوها ولذلك سخط الله عليك وأرسل ملاكاً فكتب هذه الألفاظ ليعلمك بما يريد أن يفعل وهى"منا منا تقيل وفَرسين"(دا ٥: ٢٥) . التأويل تفسير منا أحصى الله ملكوتك وأنهاهُ . تقيل وزنت بالموازين فوُجدت ناقصاً، أى أنهُ جربَك وأحسن إليك وظفرك باعدائك فلم تحمدهُ على ما وهبك من الظفر بل سبحت الأصنام وحمدت الأوثان ذوى الضلال والطغيان . وتفسير فَرسين قُسمت مملكتك وأعطيت لمادى وفارس.(دا ٥ :٢٦ – ٢٧)

فلما سمع بلطشاصر قام عن مجلسه ومضى إلى فراشهِ، فجاء إليهِ خادم من خدامه فقتلهُ على فراشه فى تلك الليلة وأخذ رأسهُ ومضى بهِ إلى داريوس وكورش وأخبرهما بخبر بلطشاصر وما فعل من إبداله آنية القدس وخبر الكتابة التى كتبت بيد الملاك قدامه وتفسير دانيال لها، وما أُخبر من إنقضاء مُلكهِ وإنتقال دولته إلى ملوك مادى وفارس بسبب تدنيس آنية قدس الله فلما سمع داريوس وكورش ما اخبرهما بهِ بادرا ونظرا رأس بلطشاصر وشكرا الله عزً وجلً واعترفا بقدرته وأكثرا تسبحته وتمجيدهُ. ونذر كورش أنهُ يبنى بيت الله بأورشليم ويرد تلك الآنية إليهِ ويطلق سبى اليهود ويأمرهم بالرجوع إلى بلادهم. ثم سار كورش وداريوس من موضعهما إلى بابل ودخلاها وقتلا جميع أهلها بأبشع صور القتل والعذاب . فتم عند ذلك ما أخبرت بهِ الأنبياء من انتقام الله من الكلدانيين وأهل بابل ومجازاتهم بما فعلوه بامتهِ وقدسهِ، ثم اقتسم داريوس وكورش مملكة الكلدانيين فأخذ داريوس مدينة بابل وتوابعها وتسلم قصر بلطشاصر وجلس على سريرهُ. وأخذ كورش جميع مملكة الكلدانيين التى هى غير بابل، واستقر الأمر بينهما على ذلك. وكان داريوس فى ذلك الوقت شيخاً فلم تطل مدتهُ، فلما مات اتفق عظماء مادى وفارس على أن يكون لهم ملكاً واحداً وهو كورش، وبقى الأمر على ذلك فلم يتغير.

فلما كان فى السنة الأولى لملك كورش أمر بإحضار شيوخ الجالية ومقدميهم فأخبرهم بما كان قد نذر من بناء أورشليم واطلاق جاليه بنى اسرائيل وقال لهم من أختار من جميع جالية اليهود أن يمضى إلى مدينة أورشليم لبناء الهيكل الذى خربهُ بختنصر فليمض ويستعن بالله فانهُ يعينهُ، وأنا كورش عبد الإله العظيم أقدِم جميع ما يحتاج إليهِ لعمارة بيت الله الذى ظفرنى بالكلدانيين وأعطانى ملكهم. فلما سمع اليهود مقالة كورش عظم سرورهم بذلك وشكروا الله على إحسانِه وطلع معهم جماعة كثيرة إلى مدينة القدس ومعهم عزرا الكاهن ونحميا ومردخاى ويشوع بن صاداق وزر بابل وجميع روساء الجالية. وبنوا بيت الله على المقدار الذى أمرهم بهِ كورش وبنوا المذبح على حدودهِ وقربوا القرابين عليها كما أمرهم الله فى طقوسهم. وكان كورش يطلق لهم كل سنة ما يحتاجون إليهِ لخدمة بيت الله من الحنطة والزيت والخمر والبقر والغنم ويمنحهم مالاً كثيراً، وإستمر هذا الأمر طول مدة حكم كورش على مملكة الفرس. وبسط الله يد كورش ونصره على جميع الأمم والممالك وفتح الحصون المنيعة وأظهر لهُ كنوز الأرض وذخائرها وأعانه الله ونصرهُ فى كل حروبهِ أينما توجه، كما أخبر أشعياء النبى عن ذلك فإن الله لم يفعل بكورش كل ذلك إلاّ لأجل إحسانه لشعب بنى اسرائيل وبناء بيت قدس الله.
ثم بلغ كورش عن ملك الشطيم أنهُ قد عصاه فسار إليهِ فقتله وقتل كثيراً من أصحابهِ وهرب من بقى منهم مع امرأته (وكان إسمها توليد)وأخيهِ إلى حصون منيعة لهم فتحصنوا بها، فاحتال عليهم كورش حتى خرجوا من الحصون وقتل كثيراً منهم وقتل ابن ملكهم وهو ابن توليد وفتح حصونهم ومدنهم وإستباحها وجعل فيها ولاة من قبله وانصرف راجعاً إلى بلدهِ. فلما رأت توليد أن إبنها قد قتل وأن ملكها قد زال، فلم يجد الصبر فيها موضعاً فتشددت نفسها ولم تبالى الموت وجمعت من بقى من رجالها ومضت وكمنت لكورش فى الطريق مع أصحابها وكان أكثر عسكره قد تقدم راجعاً إلى بلاده وبقى معهُ بعض أصحابهِ فطوّقتهُ وحاصرتهُ توليد بعسكرها، فقتلت كورش مع جماعة من أصحابهِ وأخذت رأسهُ فاخفتهُ وجعلتهُ فى زق وملأته دماً وقالت إشرب ياكورش وإروَ من الدماء التى كنت تحب سفكها دائما بغير شفقة ولا رحمة. وكانت هذه الحروب نهاية أمر كورش وسبب هلاكه وقد يهلك أهل الخير كما يهلك غيرهم لما يعلمه الله من الصلاح للخلق ولما لهُ سبحانهُ بذلك من السياسة الالهية والتدبير والحكمة.

* ذكر من ملك بعد كورش على الفرس *
* وجملة من خبر مردخاى اليهودى واستير الملكة ابنة عمهِ مع احشو يروش الملك *

ولما مات كورش مُلك بعدهُ كمبيز إبنهُ، فلما انتظم مُلكهِ واستقام أمرهُ، سار إلى الشطيم إلى توليد التى قتلت أباهُ فقتلها هى وجميع أفراد عائلتها وكل أصلها حتى لم

يبق لها ذكر. وسار إلى جميع من عصاهُ من الأمم بعد موت أبيهِ فقهرهم وردهم إلى طاعتهِ، فقوى مُلكهِ وعظم شأنهُ وإستتبت مملكتهُ، وإستمرَت اليهود تطيع كورش ومن بعدهُ من ملوك الفرس، فكان الفرس يحسنون اليهم ويمنحوهم الأموال الكثيرة ويطلقون لهم ما كان كورش يطلق لهم للقرابين وغيرها، لأنهم كانوا يبجلون بيت الله ويعظمونه ويتباركون بهِ ويؤثرون أن يدعوا لهم فيهِ .

وإستمر الأمر على هذا المنوال إلى أيام مُلك احشويروش الملك الذى تغيرت حالة اليهود فى زمانهِ، وكان السبب فى ذلك أنهُ قام بتعيين وزيراً يقال لهُ هامان ورفع منزلتهُ، وأمر الناس باعطائهِ السجود زيادةً فى الاكرام لهُ فلما ولى هامان وزارة احشويروش ظاهر اليهود بالعداوة وقصدهم بالأذية وذلك لأن هامان هذا كان فى الأصل من نسل العمالقة، وقد كان بين العمالقة واليهود عداوة قديمة بسبب شاول مُلك اسرائيل، لأن شاول كان قد غزا العمالقة بأمر الله عزً وجلً فقُتِل منهم عدداً كبيراً، فاشتدت العداوة بين العبرانيين والعمالقة منذ ذلك الزمان لا سيما قبيلة بنيامين . وشاول الملك كان من هذا السبط.وإزدادت بغضة هامان لليهود بسبب مردخاى، لأن مردخاى كان يقيم فى باب الملك احشويروش لمراعاة استير الملكة إبنة عمهِ التى كان احشويروش الملك تزوج بها. وكان مردخاى إذا رأى هامان لا يسجد لهُ ولا يعظمهُ، فشق ذلك على هامان وحقد على مردخاى من أجل هذا، ولان مردخاى كان أيضاً من سبط بنيامين القبيلة التى كان شاول الملك منها، فتجددت فى نفس هامان تلك العداوة السابقة ولذلك قصد اليهود بالمكروه وعمل على إهلاكهم.

واتُفِق أن خادمين من خدام الملك احشويروش كانا قد دبرا على قتل الملك ليفتريا بذلك على اليونانيين لأن اليونانيين كانوا يحاربون الفرس فى ذلك الزمان. (١)

فوقف مردخاى على تدبير الخادمين وأخبر بهِ استير إبنة عمهِ، وتلك أخبرت الملك بذلك عن مردخاى إبن عمها. فبحث الملك عن الخبر فوجده صحيحاً، فأمر بقتل الخادمين وأن تكتب قصة وفاء وإخلاص مردخاى فى كتب سيرة الملك وتاريخ المملكة. فعظم ذلك على هامان لحقدهِ على مردخاى ولأن الخادمين كانا من أصحابهِ ورفقائهِ وأحبائهِ. وإزدادت عداوته لمردخاى اليهودى ولليهود بسبب ذلك العمل وخطط فى هلاكهم مستغلاً عظم منزلته عند الملك.

وفى السنة الثانية من مُلك احشويروش رأى مردخاى حلماً كأن زلزلة عظيمة قد حدثت فى العالم ورعداً شديداً فى جميع الدنيا والناس فى خوف وفى فزع عظيم من ذلك . ثم رأى كأن تنينين عظيمين قد اقتتلا وقد انتصب أحدهما مقابل الآخر وتقاتلا قتالاً عظيماً شديداً وكان لهما أصوات عظيمة قد علت وارتفعت. وقد اجتمعت جميع الأمم وسائر من فى العالم لينظروا اليهما فكان بين تلك الأمم المجتمعة أمةِ ضعيفة

(١)- قد زعم قوم أن هذين الخادمين كانا يعملان فى قصر الملك وقاما بإخفاء حيات من النفاثات السم فى خفيهِ(حذاءه) حتى إذا لبسهما ينهشنهُ فيموت لساعته، فلما علم مردخاى بذلك أعلم بهِ استير التى أعلمت الملك، فأخذ الخفين فوجد فيهما الحيات فقُتِل الخادمين وصلبهما، وكتب عن أمانة مردخاى فى كتاب المملكة للتذكرة حتى تكون لهُ حسنة عند الملك ليعرف فضلهُ ويعظم قدرهُ.

حقيرة قليلة العدد، وتلك الأمم المجتمعة تقصدها بالأذى والشر، وتريد هلاكها واستئصالها من الدنيا وهى حائرة لا تدرى ماذا تصنع. فلما اشتد خوفها وأشرفت على الهلاك لم تقدر على حيلة تتخلص بها . ثم رأى بعد ذلك كأن الدنيا قد اظلمت ظلمة شديدة وزاد القتال بين التنينين واشتد حتى حنق كل واحد منهما على صاحبه وطلب هلاكه . ولم يكن أحد من تلك الأمم يجرؤ أن يدخل بينهما ليفرقهما ويفكهما عن ذلك القتال العظيم فأقاما على تلك الحال طويلاً .

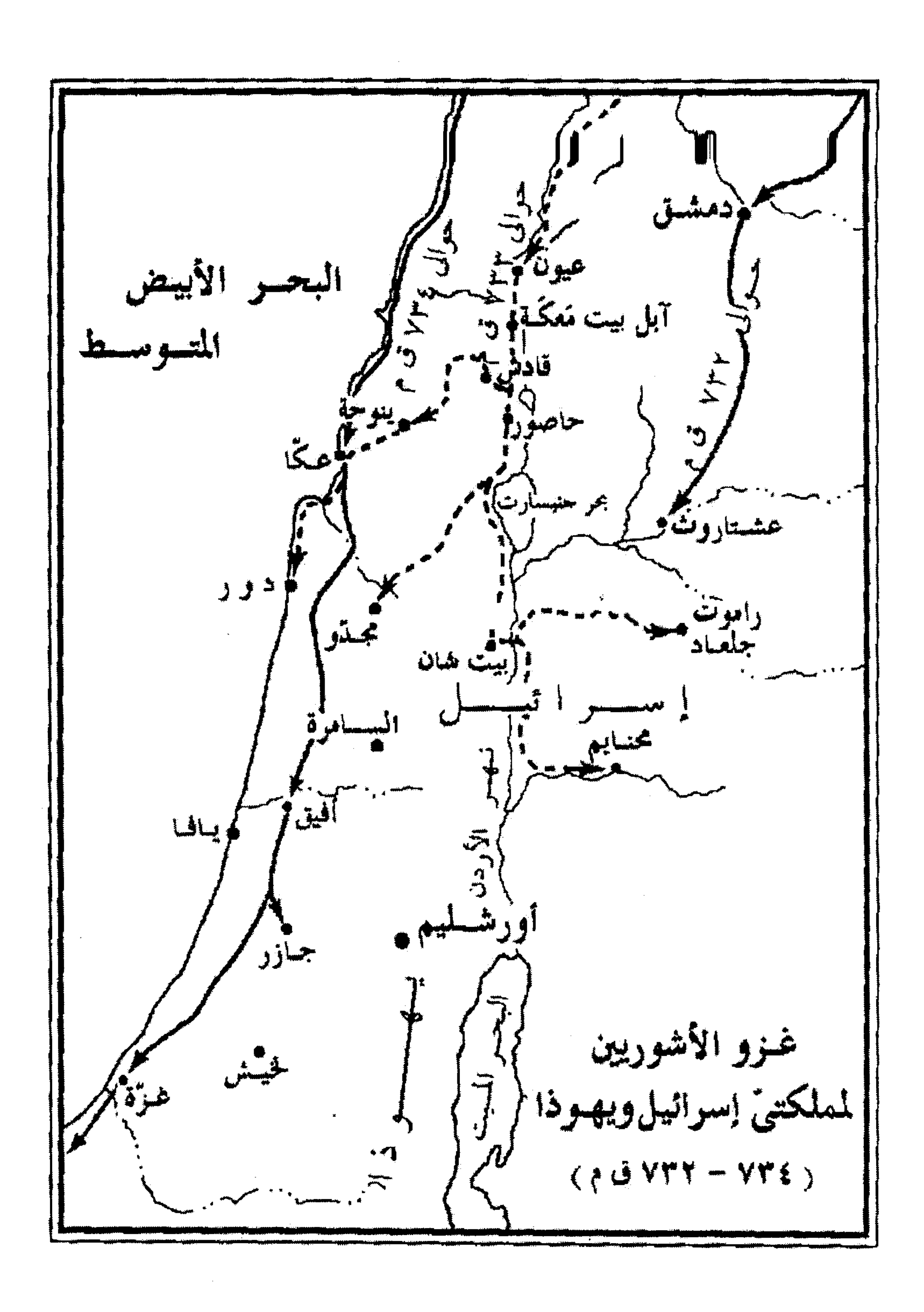
ثم رأى مردخاى كأن عيناً قد ظهرت وجرى منها ماء ضعيف فيما بين التنينين فكفا عن القتال وافترقا، وكان ذلك الماء قد قوى حتى صار شبيها بالبحر، وظهرت الشمس وأنارت الدنيا وزال الظلام منها وكانت تلك الأمة الحقيرة قد ارتفعت واستقام حالها وعظم شأنها وزال الخوف والفزع من الدنيا وظهر الأمن والعدل والخير . ثم استيقظ مردخاى وقد حفظ الرؤيا وكان ينتظر ما يكون من تأويلها وتفسيرها.

فلما حدث أمر هامان قال مردخاى لاستير الملكة إبنة عمهِ أن الرؤيا التى كنتُ أخبرتك عنها منذ زمان قد حضر وقتها ويجب أن تقصدى الله وتسأليه الرحمة، وتدخلى على الملك وتستعطفيه وتجتهدى فى خلاص قومك .

ثم إن مردخاى قصد الله بالصوم والصلوة والبكاء والتضرع والدعاء وقال فى دعائه: "أيها الرب العظيم أنت العالم إنى ما امتنعت من السجود لهامان تكبراً ولا إستعلاءً . وإنى إنما امتنعت من السجود لهامان خوفاً منك واجلالاً لك وأنفة من أن أسجد لغيرك وأتقرب إليهِ بما يغضبك، فامتنعت من ذلك لأتقرب إليك أنت أيها السيد إذ لا ينبغى سجود لأحد سواك، واليك ترفع الصلوات والتضرعات، ولولا ذلك لم امتنع لصالح قومى أن أقبل النعل الذى يلبسه هامان والتراب الذى يطأهُ، وقد علمت قصده بنا وما يريده من اهلاكنا فأسالك أن تخلصنا منهُ وأن ترميه فى الحفرة التى حفرها، وفى الشرك الذى نصبه لعبيدك فإن أعين الكل ترجو خلاصك لأنك لا تطرح عهدك الذى عاهدت مع آبائنا أنك لم تهملنا لأجل ذنوبنا ومعاصينا التى استوجبنا بها الجلاء والسبى من أوطاننا والذل والعبودية . فيا أيها الرب العظيم القادر على المعونة أعنا وخلصنا فقد ضاق بنا الأمر جداً ولم نزل نلتجئ إليك فى شدائدنا فتعيننا وتفرج عنا وتنصرنا على أعدائنا وتكفينا أمرهم. اذكر يا رب فإننا شعبك وأمتك التى اخترتها من الأمم واختصصتنا دونهم فلا تمكن بنا أعداءنا فيقتلونا ويهلكونا ويقولوا ليس لهم إله يقدر على خلاصهم، ويزدادوا بذلك حبا لآلهتهم التى ليست بآلهة، التى يظنون إنها أعانتهم بذلك بقدرتها فإخذلهم يا رب وكذِب ظنهم حتى يعلموا بطلان ما يعتقدون فى معبوداتهم إذا نظروا معونتك لنا واحسانك الينا، ولا تقطع تمجيدك وتسبيحك من أفواه ممجديك ومادحيك وإقلب حزننا إلى فرح وسرور حتى نعلى لك التسبيح والتقديس على معونتك لنا وما تنعم بهِ علينا من الكفاءة والخلاص".

وجميع الأمة اليهودية التى بمدينة احشويروش وهى شوشن القصر لما علموا بذلك صرخوا إلى الله بسبب هذا العدو وقصدوه وايضاً استير الملكة قصدت الله بخوف لأنها جزعت من هذه البلية التى ادركتهم فنزعت ثياب الملك والقت زينتها ولبست

ثياب شعر ونشرت شعرها والقت التراب على هامتها واجهدت نفسها بالصوم والصلوة وسقطت على وجهها تبكي وتدعو إلى الله وتقول فى دعائها هكذا:
"يا رب إله اسرائيل يا مُلك الملوك أنت خالق الكل وبارئ العالم والمتسلط عليهِ أسألك أن تنصر أمَتك التى ليس لها ناصر سواك، أنت العالم إنى بُليتُ بالسبى صغيرة، وسُبيتُ فى هذه البلاد، غريبة بينهم، يتيمة من أبىِ وأمى، أخذنى هذا الملك بخلاف مرادى وأنا معهُ أيضاً كالغريبة لأنى مع غير قومى ومع من دينه غير دينى .
ومع ذلك فما تركت عبادتك ولا شغلتنى الدنيا والملك الذى أنا فيهِ عن طاعتك، وقد علمت ما دبره هذا العدو علينا واجتهاده فى هلاكنا . وقد جزعت نفسى من الهلاك على وعلى قومى وقصدتك بالتضرع والتذلل والخضوع، اطلب منك الرحمة والفضل كالفقراء والمساكين الذين يتسولون، وإن كنت يا رب قد قضيت بهلاكنا فأمتنى قبل أن أرى مكروهاً فى قومى، وإن كنت تشاء بقاءى فى الدنيا فأتضرع إلى جودك أيها السيد أن تتفضل بخلاص عبيدك وأغنام رعيتك من الأسود الضارية والسباع المفترسة المتهيئة لاختطافهم، المستعدة لابادتهم ووقوع التهلكة بهم . فانك أنت الذى لم يزل يعين آبائنا فى الشدايد ويخلصهم من الأعداء ويحسن اليهم فى كل زمان . نطلب منك أيها الرب الرحوم أن تجرينا على عوائدنا الجميلة . وامسك بيدى، أنا اليتيمة المنقطعة الواثقة بك المتوكلة عليك أن تخلصنى من هذا الملك وترزقنى منهُ حظاً وتعطفاً، وهبة الحنو علىّ، وتحفظنى من هذا الملك فى دخولى عليهِ وخروجى من عندهُ حتى أدخل عليهِ وأخرج من يديه بغير أذى إذا شملتنى رحمة منك ونظرت إلى أمتك نظرة تعطف، وملأت قلبهُ بالمحبةُ لى ولشعبك فإن قلوب الملوك بيدك وأنت إذا شئت قدرت".
فلما كان فى اليوم الثالث لبست استير الملكة ثيابها وتزينت بأ جمل زينة وأخذت معها جاريتين من جواريها واحدة منهن تتوكأ عليها والأخرى تمشى خلفها ترفع ذيل ثيابها من الأرض كسنة الملوك وعاداتهم . ثم أظهرت السرور فى وجهها وأخفت الحزن فى قلبها . ثم دخلت القصر الأقصى حيث يجلس الملك، فوقفت مقابل الملك وهى خائفة جداً، فغضب الملك لمخالفتها سنة الملوك ودخولها إليهِ من غير أن يستدعيها . فلما نظرت استير إلى الملك وقد ظهر الغضب فى وجههِ، ازداد خوفها ولبثت واقفة متوكئة على جاريتها تدعو إلى الله فى قلبها، فنظر الله تعالى إلى تذللها وخضوعها فرحمها ورزقها عند الملك حظاً وزادها فى عينيه جلالاً وجمالاً وعطفاً عليها، وأزال منهُ الحنق والغضب واستدعاها وقرّبها وسكّن روعها، فسألته فى سلامة قومها فأجاب سوألها فيما سألته فيهِ، وأجرى الله على يديها ويدى مردخاى إبن عمها من خلاص الأمة وهلاك هامان ما هو فى كتاب سفر استير وكتب الأنبياء . وكان اليهود بعد ذلك فى طاعة الفرس آمنين مطمئنين إلى أن مُلك داريوس الثانى فحارب اليونانيين وتمكن منهم وقهرهم وأذلهم . وما زال اليونانيون كذلك إلى أن مُلك اسكندر بن فيلبس المكدونى عليهم وإنتصر لهم وجمع الجيوش العظيمة وسار إلى داريوس فحاربهُ وانهزم داريوس وهلك وغلب اسكندر على المملكة وعلى جميع الأرض.


البحر الأبيض
المتوسط
دمشق
عيون
آبل بيت معكة
قادش
حاصور
ينوحة
عكا
بحر جنسارت
عشتاروث
درر
مجدو
راموت
جلعاد
بيت شان
إسرائيل
السامرة
محنايم
أفيق
يافا
الأردن
أورشليم
جازر
غزة
لخيش
غزو الأشوريين
لمملكتي إسرائيل ويهوذا
(٧٣٤ - ٧٣٢ ق م)

الفصل الثانى
بداية الحكم اليونانى (٣٣٣ ق.م)

* ذكر اسكندر بن فيلبس اليونانى ومسيره إلى داريوس *
* وخبرهِ مع اليهود *

كان فيلبس أبو اسكندر ملكاً عظيماً من ملوك اليونانيين، وكان قد قهر من حولهِ من الأمم وأطاعوهُ جميعهم وكانت مدة مُلكهِ ست سنين ثم قتل. وكان سبب قتله أن قائداً من قواده يقال لهُ "فارس" هوى إمراتهُ أم اسكندر، فراسلها واستمالها فامتنعت عليهِ، فعمل على أنهُ يقتل فيلبس ويأخذها قهراً . وظل مترقباً وقتاً ملائماً ليجد فيهِ فرصة فى وجود السبيل إلى قتلهِ. فاتفق أن عدواً قام على فيلبس ونزل إلى بلاده، فوجه فيلبس قائداً من قوادهِ مع عسكر لمحاربة العدو، ثم وجه بابنه اسكندر مع بعض العساكر أيضاً إلى جهة أخرى . فلما رأى فارس القائد أن عسكر فيلبس قد تفرق عنهُ طمع فى قتله، فجمع معهُ جماعة من أصحابهِ،ثم وثب عليهِ فضربه ضربات كثيرة فخر فيلبس صريعاً ولكنه لم يمت، وهاج الناس فى البلد واضطربت المدينة . وإن اسكندر عاد فى تلك الساعة ، فلما قرب من المدينة سمع ضجة الناس فسأل عن الخبر، فأخبر بما جرى على أبيهِ . فدخل مسرعاً فوجد أباهُ صريعاً وامهُ أسيرة فى يد فارس القائد فقتله . ثم مات فيلبس وملك اسكندر بعدهُ وهو ابن ست عشرة سنة، وكان حكيماً متادباً فاضلاً،وكان معلمهُ الذى علمهُ الحكمة"أرسطوطاليس الحكيم" وكان اسكندر فى صورته يشبه أباهُ وامهُ . ويقال أن وجههُ كان كوجه الأسد وكانت عينهُ اليمنى سوداء تنظر إلى أسفل وكانت عينهُ اليسرى كلون عين السنور تنظر إلى فوق . وكانت أسنانه دقاقاً حادة مثل أسنان الكلاب . وكان شجاعاً جريئاً مقداماً من صباه . فلما مُلك على اليونانيين أرسل إلى مهادنة داريوس ورأى أن يهدى لهُ هدايا عظيمة، وللذين يتركون محاربته،ولكنهُ حارب من خالفهُ منهم حتى ارتدوا إلى طاعتهُ وأمن منهم على مملكته إذا بعد عنهم. ثم سار إلى بلاد المغرب وما يليها فأقام بها إلى أن أطاعته أهلها، ووثق بهم ثقة كبيرة حتى أنهُ أخذ من رجالهم ومقاتليهم ألف مقاتل وجعلهم فى مقدمة عسكره . فلما فرغ من ذلك ولم يبق وراءه من يخافه سار إلى الأمم الذين فى طاعة داريوس فحاربهم . ثم جاء إلى الشام ففتح مدن الساحل، وجاء قاصداً أورشليم ليحارب اليهود من أجل طاعتهم لداريوس .

رؤيا اسكندر الأكبر الملك:

عندما سار اسكندر الملك فى بعض الطرق رأى رجلاً بهياً لابساً ثياباً بيضاً وبيده سيف مثل البرق اللامع الساطع البصر وهو يشير إليهِ كأنهُ يريد قتلهُ، ففزع اسكندر وعلم أن ذلك الشخص ملاك مرسل من الله عزّ وجلّ، فسقط على وجهه وسجد . وقال يا سيدى لماذا تقتل عبدك؟ . فقال لهُ لأنك تريد أن تمضى إلى القدس لتهلك كهنة الله

وأمتهُ وأنا هو الملاك الذى أرسلنى الله لنصرتك على الملوك والأمم فيكفيك الآن . فقال اسكندر يا سيدى اغفر لعبدك فقد اخطأت وإن كنت لا تشاء أن أسير فى طريقى هذه فأنا أعود إلى بلادى . فقال لهُ الملاك إذ قد استغفرت عن مآثمك واعترفت

بخطاياك فيكفيك، فلا ترجع بل إمض فى طريقك . وإذا وصلت إلى أورشليم ورأيت رجلاً بهياً لابساً ثياباً بيضاً يشبه منظرى وصورتى فانزل عن فرسك وخر لهُ ساجداً وأقبل جميع ما يأمرك بهِ ولا تخالفه لأنك إن خالفتهُ هلكت فرحل اسكندر عن موضعه متوجهاً إلى أورشليم .

عندما سمع اليهود بمجيئ الأسكندر الأكبر إليهم خافوا منهُ ، ولكن عندما علم الكاهن الأكبر بذلك، جمع اليهود الذين هناك وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عزَّ وجلَّ وسألوه القوةُ والعزةُ والرحمةَ والمعونةُ . ثم خرجوا يستقبلون اسكندر لما قرب من المدينة وعظيم الكهنة قدامهم . فلما أقبل اسكندر وإذا بالكاهن الأكبر يشبه الملاك الذى كان قد رآه فى طريقهِ وتذكر ما كان الملاك قد أمرهُ بهِ . فنزل عن فرسه وسقط على وجهه قدامهُ وسلم عليهِ وعظَّمهُ . فتعجب من ذلك الملوك والعظماء الذين كانوا مع اسكندر واستعظموا فعله . وقالوا أيها المعظم فى الملوك . كيف ترجلت وسجدت لهذا الرجل الذى ليس لهُ عليك سلطان . وإنما هو من بعض رعيتك وواحد من خدامك وعبيدك . فأخبرهم اسكندر بالخبر عن الملاك الذى ظهر لهُ فى الطريق وما أمرهُ بهِ . ثم أن الكاهن الأكبر لقى اسكندر بالإكرام والإجلال ومضى معهُ حتى أدخله الهيكل الذى بالقدس . فلما رأى الأسكندر الهيكل عظم فى نفسهِ وسبح الله وحمده وأثنى عليهِ بما هو أهل لهُ.

ثم قال للكاهن قد أحببت أن يكون لى فى هذا الهيكل شئ أذكر بهِ، وأنا أعطيكم كميةً من الذهب ما تكفى لصناعة صنم على صورتى يجعل فى هذا الهيكل ليكون ذكراً لى فيهِ . فقال لهُ الكاهن لا يجوز أن نجعل فى بيت قدس الله شيئاً من الأصنام لكن أرى أن يحمل المال الذى منحتهُ لهذا الموضع فيصرف فى مصالح الكهنة واليتامى والأرامل الذين يصلُّون فيهِ دائماً . وأنا أجعل لك امراً تذكر بهِ خيراً مما أردت أن تصنع وهو إنى أتقدم إلى جميع الكهنة أن يسموا كل مولود ذكر يولد لهم فى هذه السنة اسكندر، وكلما دخلوا الهيكل للصلاة فيهِ يدعوا باسمك كان ذلك ذكراً لك بين يدى الله عزَّ وجلَّ فى كل وقت . فرضى اسكندر بذلك وحمل إلى بيت الله مالاً كثيراً وأعطى الكاهن عطايا فاخرةُ وسألهُ أن يتوسل إلى الله عن أمرهِ فيما عزم عليهِ من محاربة داريوس وهل ذلك بارادة الله أم لا يريدهُ فيرجع إلى بلاده . فقال لهُ الكاهن امضِ أيها الملك فى طريقك فإن الله معك وهو يظفرك بداريوس ومملكته . ثم أحضر لهُ سفر دانيال النبى المعظم وقرأ عليهِ ما ذكر فى أمر الكبش الذى رآه وهو ينطح ما يليهِ من كل جهة ، وأمر التيس المعز الذى رآه وقد أقبل إلى الكبش مسرعاً فضربهُ وكسر قرنيهِ . ثم صرعه إلى الأرض وداسه برجليهِ وقهره ولم يقدر الكبش على أن ينجو من يدهِ. ثم قال الكاهن لاسكندر أنت أيها الملك الممثل بتيس المعز وداريوس هو الممثل بالكبش وأنت تظفر بهِ كما قال دانيال النبى وكتب فى سفرهِ.

فلما سمع اسكندر هذا وما شاكلهُ من الكاهن إستتب رأيهُ وتقوّى قلبهُ . وأمر أن يُكتَب جميع ما جرى لهُ فى طريقه وبعث بهِ إلى رومية ومكدونيــة . ثــم انــصرف عــن أورشليم وسار متوجهاً إلى درايوس . وفى عبوره على نابلس استقبله سنبلط السامرى وأنزلهُ عندهُ وصنع لهُ ولجميع قواده وعظماء أصحابهِ صنعاً عظيماً وحمل إليهِ هدايا عظيمة نفيسة وأموالاً كثيرة وسأله أن يأمر ببناء هيكل فى جبل جرزيم وهــو طــور تربل.

وإنما أراد سنبلط بناء هيكل بسبب منسى زوج ابنته الذى كان كاهناً فــى بيــت الله، وكان متزوجاً بابنة سنبلط . وكان روساء اليهود فى ذلك الوقت قد أمروا جميع الذين كانوا قد تزوجوا بنساء غريبات من غير امتهم أن يفارقوا نساءهم فقبلوا ما امروهم بهِ وفارقوا نساءهم ما عدا منسى الكاهن فإنه امتنع من مفارقة إبنة ســنبلط الــسامرى، فابعدتهُ اليهود لذلك وحطوا مرتبته . فمضى مع إمراته إلى بيت أبيها ســنبلط حميــهِ وأقام عندهُ، فأراد سنبلط أن يبنى هيكلاً فى طور تربل شبيهاً بهيكل أورشليم ليستميل إليهِ الناس وأن يقول لهم إن هذا هو المكان الذى اختاره الله، ويجعل منــسى صــهرهُ كاهناً فيهِ فلا تنحط منزلتهُ ولا تبطل رياستهُ. فلما أشار سنبلط بهذا لاسكندر فى ذلك ، قال لهُ قد اجبتك إلى ما طلبت من بناء هذا الهيكل . ولكن احذر من أن تفعــل شــيئاً يكرهه الكاهن الأعظم الذى فى أورشليم.

ثم مضى اسكندر فى طريقه ومضى سنبلط فبنى الهيكل فى طور تربل وصار منسى صهرهُ فيهِ كاهناً . وقال لليهود هذا هو المكان الذى اختاره الله للبركــة وهــذا هــو الموضع الذى ينبغى أن تكون الصلاة فيهِ والحج إليهِ كما قال موسى فى الشريعة إنى أجعل البركة على جبل جرزيم . فتبع ذلك كثير من اليهود وكانوا يحجّون إلى طــور تربل فى الأعياد ويحملون إليهِ قرابينهم ونذورهم وهداياهم وأعشارهم وتركوا قــدس الله وأغفلوا عنهُ وعدلوا عن زيارته . وكثرة الهدايا فى هيكل طور تربــل وغــزرت الأموال فيهِ واستغنت كهنتهُ واستقام حال خدامه وصار علة فى تعطيل كثير من حقوق الهيكل الذى بالقدس. وعظم أمر منسى واتسعت ثروته وإستمر أمــر ذلــك الهيكــل مستقيماً واليهود يحجون إليهِ إلى أن ولّى هركانوس بن شمعون فأخربهُ . ولما مضى اسكندر إلى المشرق لمحاربة داريوس نزل على الفرات فلما بلغ داريوس خبره كتب إليهِ كتاباً وهذه نسختهُ:

"من داريوس ملك الملوك وسائر أمم الأرض إلى اسكندر المكدونى:

"علمت يا اسكندر أن الله رفع قدرى ورتبتى على جميع أهل الدنيا وجعلهم تحت يدى وفى أمرى وسلطانى، فكيف تجرأت أنت والمكدونيون على أن تعبروا الفرات بغيــر أمرى ثم لم تكتف بذلك حتى وطأت أرضى وتعديت على أصحابى، وقد كان يجــب عليك أن تستأذنّى فى كل ما تفعل كما يستأذن العبد مولاهُ، ولا تفعل شيئاً بغير أمرى ولكن الغباوة ردية وهى حثتك على هذا التصرف، والشبيبة غير المهذبة فى تمكــين العقل حملتك إلى ما فعلت فبئس ما دبرت أنت ومن معك. وأنا آمرك الآن أن تــسير إلى حضرتى فبادر ولا تتقاعد فإن خالفت أمرى جنيت بعقوبتى وحلت بك نقمتى، وإن جئت مبادراً صفحت عنك وأحسنت إليك".

فلم يحفل اسكندر بكتاب داريوس وسار إليهِ بجيش ضخم وكبير، وكان ذلك يوم غمام وزوابع وحدث رعد عظيم وقتال شرس، فانهزم عسكر العجم وهرب داريوس، فتبعه اسكندر وأسر أمهُ وإمراتهُ وغنم عسكرهُ، وأفلت داريوس فمضى فى الليل هارباً إلـــى حصن من حصونهِ فتحصن فيهِ. وعاد اسكندر فأمر بدفن من قتل من عظماء الفرس وجميع القتلى وأقام فى موضعهِ أياماً . ثم جاءهُ صاحب جيشه ومعهُ عساكر كثيـــرة، وكان اسكندر قد أوصاه أن يجمع من الرجال ما أمكنهُ ووصلت إليهِ يدهُ ويسرع بهـــم إليهِ . فلما وردت إليهِ العساكر ازداد قوة وقصد المدينة التى تحصن فيها داريوس .
وكان قد بلغه عظم الحصن وكثرة الرجال فأمر أن يجمع البهائم والمواشى التى بتلك البلاد وأن يجمع الحطب وأطراف الشجر والشوك وربطها إلى البهائم ومشت وهـــى تسحب ذلك على الأرض وقصد بذلك أن يثير الغبار والعجاج ويرتفع . فلما نظر من فى الحصن ذلك القتام العظيم قد أقبل اليهم ظنوا أنهُ من كثرة الخيل والعساكر . ثـــم نظروا إلى العساكر وخافوا، فلم يخرج أحد منهم من الحصن. فأراد اسكندر أن يرسل رسلاً إلى داريوس فخاف من داريوس أن يستميلهم فيتم عليهِ بذلك حيلة . فقرر بنفسه أن يمضى إليهِ متنكراً، فاستصحب رجلاً يثق بهِ من خواصه وأخذ معهُ ثلاث أفراس من أجود خيله ومضى حتى انتهى إلى نهر عظيم بقرب المدينة فوجده جامداً، فـــأمر اسكندر الذى خرج معهُ أن يقيم عند النهر مع فرسين.
ثم ركب الفرس الثالث وسار على النهر وحده حتى وصل إلى المدينة . فلما رآه القوم الموكلون بباب المدينة قالوا من أنت فقال أنا رسول اسكندر جئت إلى داريوس الملك برسالة . فرفعوا خبره إلى داريوس، فأمر بإحضاره فلما دخل إلـــى داريـــوس ورأى هيبته وعظم مملكته داخله الخوف . فقال لهُ داريوس من أين أقبلت . فقـــال رســـول ارسلنى اسكندر إليك يستدعيك إلى محاربته قائلاً لك إنك إن تاخرت عن لقاءى ولـــم تخرج لمقاتلتى فقد تبين عجزك وظهر ضعفك عن لقاء عدوك . قال فغضب داريوس من ذلك وقال لعلك أنت اسكندر ولذلك اجترأت على ما تكلمت بهِ من هـــذا الكـــلام .
فقال ما أنا اسكندر ولكنى رسوله فاعجب بهِ داريوس وأجلسه على مائدته فأكل معهُ .
ثم حضر الشراب فكان اسكندر إذا ناوله الساقى الكاس تناوله ثم دفقهُ بين ثيابه ولـــم يشربهُ، فقال داريوس لما تفعل هذا . فقال كذلك يفعل كل من يحضر مولاى اســـكندر فى الشراب فلما سمع بعض خدام داريوس كلام اسكندر عرفهُ، فلما تحققهُ قال لآخـــر من الخدام سراً على الحقيقة هذا هو اسكندر وأنا أعرفهُ فسمع اسكندر وإحتال حتـــى خرج من حضرة داريوس وأخذ الكاس التى كان الساقى يناوله فيها الشراب وكانـــت من ذهب ثم جاء إلى باب المدينة فى الليل وقتل البوابين وخرج، فلما علم داريـــوس بذلك وجّه وراءه جماعة فلم يدركوهُ لأنه كان قد سبقهم وقد كانت ليلة مظلمة . وسار اسكندر حتى انتهى إلى النهر وهو جامد متجلد فعبر عليهِ . فلما قرب مـــن الجانـــب الآخر إنحل الماءُ قبل خروج اسكندر من النهر، فوثب عن الفرس وعبر إلى الـــشط، وقوى الماء على الفرس فجره، وسلم اسكندر وحال الماء بينه وبين أصحاب داريوس، ولبث يمشى حتى وصل إلى رفيقه الذى تركه عند الفرسين فركبا وعادا إلى العـــسكر وأقام أياماً . ثم سار إلى محاربة داريوس فخرج إليهِ داريوس فعبـــر علـــى النهـــر

بعسكره وكان النهر قد جمد فالتقى العسكران واقتتلا قتالاً شديداً فغلب اليونانيون الفرس وهرب داريوس فاراً على النهر ولحقه من بقى من عسكره منهزمين فلما توسطوا النهر انحل الماء فغرق كثير منهم وسلم داريوس بنفسه فعاد إلى قصره باكياً حزيناً، فكتب إلى اسكندر يستعطفهُ ويبذل لهُ الأموال الجزيلة وسأله أن يرد إليهِ إمراتهُ وإبنتهُ ولا يخرب بلادهُ.

قال فلما قرأ اسكندر كتاب داريوس قال إن قهرنى داريوس فقد توفر عليهِ ما يبذله من الأموال لى وإن قهرته فجميع امواله صائرة لى . ثم أقام اسكندر فى موضعه.

الرسائل المتبادلة بين داريوس والأسكندر والحروب بينهما بأقوال أخرى:

وذكروا أن اسكندر لما مات ابوه فيلبس مُلك بعدهُ فى مدينة مكدونيا وهو يومئذ ابن ست عشرة سنة . فبلغ داريوس مُلك فارس أن اسكندر قد مُلك بعد أبيهِ على اليونانيين، فطمع **فيهِ وكتب لهُ كتاباً هذه نسخته:**

"بلغنى أنك تملكت على الروم بغير أمرى ولو سلكت مسلك أبيك فى المشورة وعملت ما أنا آمرك بهِ لكان أحسن بك وأبقى لنعمتك لكن غرور الصبا حملك على ذلك بالجهل منك وممن معك فانزع عما أنت عليهِ، واحمل الينا الفدية عنك وعن بلادك واعترف بذنبك وأسرع بذلك ولا تؤخره وإلا خرجت إليك برجال فارس فأوطأتهم بلادك وأقتل رجالك وأخرجك عن نعمتك . وقد بعثت إليك بما إن استطعت تعدهُ ستعد رجالى وأصحابى والسلام" .

وبعث مع الرسول قفيزاً من السمسم المقشور، فقدم رسول الملك داريوس مُلك العجم على اسكندر وأعطاه الكتاب والسمسم، فجمع اسكندر روساء دولته وقرأ عليهم الكتاب وقال لهم إن إتحدتم ظفرتم وإن تشتت أمركم طمع فيكم، وإنى أشعر فى قلبى النصر على داريوس، ودل على ذلك إذ شبه أصحابهِ بالسمسم وهو طعام دسم ليس على أكله تعب وإن مُلكهِ سيسير الينا. قال لهُ أصحابهِ كذلك يفعل الله سبحانهُ وتعالى.

ثم أجاب اسكندر داريوس بكتاب وهذه صورته:

"من المتملك من الله عبد الله اسكندر مُلك اليونانيين إلى داريوس المستعلى ترفعاً وتكبراً، فهمت كتابك وما وصفتنى بهِ من التعدى لأمرك وما وعدتنى بهِ وإننى إن لم أنزع عما أنا فيهِ أو إن أخرت حمل ما أمرت بحمله إليك خرجت إليَّ برجال فارس فلقد حدثتك نفسك بما لم تنله يدك ولا يلحقه فكرك، أما أنا فحقاً يقيناً إنى خارج إليك بليوث اليونانيين وسوف تعرف كيف يكون الحال عند اللقاء. وقد بعثت إليك ما تستدلُ بهِ على حرافة رجالى من رجالك والسلام" .

وبعث إليهِ بصن من الخردل. فلما وصل رسولهُ حدثهُ بما فعل اسكندر . ثم أن اسكندر جمع بطاركته ووجوه أصحابهِ وقال لهم يا قوم إن الأشياء تتم بثلاث خصال منها الفكر الجيد والقوة عليهِ ثم العمل بها بالنية الصادقة. فمن كان على ذلك منكم فهو على سبيل الظفر بما يريده، فمن كانت هذه فيهِ فليلحق بنا ومن كان بخلاف ذلك فليتخلف عنا، فقالوا لهُ قد جعل الله هذه الخصال فى الملك مجمَّعة وفى عبيدهِ متفرِّقة فلا يدع كل امرءٍ منا الغاية بما عندهُ فاستحسن قولهم .

ثم استعد اسكندر عند ذلك وخرج لمحاربة داريوس، فالتقيا بالجزيرة واشتدت الحرب بينهم أربعين يوما، فخندق داريوس خمسة خنادق وجعل فى كل خندق اثنى عشر الف راجل، وكانت النوبة لا تصيب الرجل فى القتال إلا يوما فى كل خمسة أيام، وفرض داريوس على أصحابهِ فى كل يوم برأس أو رأسين من عـسكر الأسـكندر، فوجـد اسكندر فى نفسهِ ونفس جيشهِ الخور والضعف واليأسَ وبلغ منهُ الغـيظ كـل مبلـغ، وبعث إلى داريوس يقول لهُ قد كدنا نتفانى ورأيت أمراً فيهِ البقاء لنا ولك، وذلك بـأن تأمر أصحابك أن يسمحوا لى بالإنسحاب من وسطكم وأعود سليما إلى بلادى ،ولكن داريوس رفض هذا الطلب. فلما رأى اسكندر ذلك ضغط على رأسهِ وقال يا معـشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار، هل فيكم وفى أهل فارس من يحتال بى فى هذا الأمر ويفرج عنى هذه الكربة وله نصف مُلك فارس وملك الروم ونصف ما فـى يدى من الأموال؟ فسمع كلام اسكندر حسيفس وادرسيت ابنا ادرشيت وكانا أصـحاب حرس داريوس فوثبا عليهِ وضرباهُ بأسيافهما حتى خر صريعاً، وانهزم العجم وكثـر القتال فيهم . وذهب اسكندر إلى داريوس وهو فى تلك الحال فنزل إليهِ ووضع رأسهُ فى حجرهِ وعصب جراحاته وقبّله وبكى وقال: الشكر لله الذى لم يجرِ قتلك على يـد أحد من أصحابى وقد كان ما جرى فى سابق علم الله، فسل ما بدا لك فلك عندى ثلاث شفاعات وإشفعنى أنت بواحدة . فقال لهُ داريوس حاجتى إليك ألا ينتقد أو يتكبّر أهـل اليونان على أهل فارس أو يحتقرهم ومن حاجتى إليك أيضاً لا تخرب بيوت النيـران (خنادق الجنود) أما ثالث طلب فهو أن تنصفنى من قاتلىَّ وتنتصر لى منهما لأنـهُ إن بقيا سيكفرا بمعروفك كما كفرا بمعروفى، فضمن لهُ اسكندر ما سأل وقال لهُ اسكندر من حاجتى إليك أن تزوجنى دوشنك ابنتك فيكون ذلك برضاك، فقال لـهُ داريـوس أزوجك إياها على أن تجعل المُلك من بعدك لولدك منها، فأجابه اسكندر إلـى ذلـك، فزوّجها لهُ ثم قضى أجلهُ.

فأمر اسكندر أن يكفن بافخر ما يكون من الثياب وأكفان الملوك، وأمر جنـد الـروم وفارس أن يمشوا أمام نعشهِ بالسلاح، ومشى اسكندر ووجوه أصحابهِ خلف نعشه إلى أن واراه ثم قال اسكندر إنى وإن كنت فعلت ما فعلت بداريوس فقد كان على كل حال عدوى وقد عظم عندى أمر من كفانى أمرهُ ووجبت على مكافأته فإنى أقسم قـسماً لا زلل فيهِ حقاً لا يوهم بهِ ولو رفعته فوق أصحابى أجمعين. فدنا منهُ إبنا ادريشت وقالا لهُ نحن صاحبا داريوس اللذان كفيناك أمرهُ فإنجز لنا بوعدك، فأمر بهمـا أن يـصلبا على خشبتين عظيمتين، وقال إن هذين الرجلين قد إستحقا ما أمرت بهِ فيهما بنكثهمـا وغدرهما بصاحبهما، فانهما إذ لم يعينا لهُ فلا يعينان لغيره، وقد أنجـزت لهمـا مـا وعدتهما ورفعتهما فوق أصحابى كلهم . ثم أمر لأم داريـوس وزوجتـه بالـصلات والهبات والكرامات وشرفهما وأمر لقواده أهل فارس ووجوهم بـالأرزاق والجـوائز وأقرهم على مراتبهم وأحبوهُ والفوهُ وندب من ندب منهم لغزو الهند معهُ فشخـصوا مسرورين منبسطة آمالهم وملك اسكندر السبعة الأقاليم .

• علم بيان التواريخ من سبى بنى اسرائيل وصاعداً *

من سبى بختنصر لبنى اسرائيل إلى مُلك اسكندر الف وثلثون سنة . ومن مُلك داود إلى اسكندر سبع مئة واربعون سنة . ومن خروج بنى اسرائيل من مصر إلى مُلك اسكندر الف وست واربعون سنة . ومن ابراهيم إلى مُلك اسكندر الف وثمان مئة وثلث وخمسون . ومن فالق إلى مُلك اسكندر الفان وثلث مئة واربع وتسعون سنة . ومن الطوفان إلى مُلك اسكندر الفان وتسع مئة وخمس وعشرون سنة . ومن ادم إلى مُلك اسكندر خمسة آلاف ومئة واحدى وثمانون سنة . قال وكان ارسطوطاليس الفيلسوف معلم اسكندر وكان أيضاً بمدينة أثينا حكيم يقال لهُ ديوجانس وفتح الاسكندر بهِ الفتوح ودان لهُ من اليونانيين ثلثة عشر ملكاً وبنى ثلث عشرة مدينة بعضها فى المشرق وبعضها فى المغرب وكان لهُ وقائع وفتوح لم يكن لأحد من الملوك مثلها وبنى مدينة وسماها باسمه الإسكندرية، ونقل المملكة من مدينة مكدونيا اليها وبنى فيها منارة وصيرها علماً لكلِ من يسير فى البحر يستدل بها على مدينة الإسكندرية . فلما غلب الملوك واستولى على الدنيا كافة وسار إلى بابل سقوه سماً وذلك أن أمهِ الوميفيدا كانت كتبت إليهِ كتاباً تشكو عاملهُ فى مكدونيا، فاضطغن اسكندر ذلك عليهِ وعزم على قتله فاحس الرجل بذلك فوجه بابن لهُ إلى اسكندر ومعهُ هدايا كثيرة والطاف وزودهُ سماً قاتلاً وأوصاه أن يتلطف بكل حيلة بأن يسم اسكندر فقدم الفتى وأوصل كل ما كان معهُ من الهدايا، ولقى فيمن لقى صاحب شراب اسكندر،وقد كان اسكندر قبل ذلك غضب عليهِ فضربه وكان موغر الصدر، فطابقهُ صاحب الشراب على ما حاول ودخل معهُ فى الأمر رجل من خاصة اسكندر . ثم إن اسكندر اتخذ طعاماً مع أصحابهِ فأكلوا وشربوا فجلس اسكندر مع خواصهِ وندمائهِ مسروراً بمجلسهِ جذلاً بأحوالهِ فلما أخذ فيهِ الشراب أخلط الساقى من ذلك السم فى كأس الشراب . ثم ناولها لهُ فلم يلبث حين شربها حتى شعر بموته وأحس بانقضاء مدته فأمر بإحضار كاتبهِ فأملى عليهِ كتاباً هذه نسختهُ:

"من عبد الله اسكندر المتولى كان بالامس على اقطار الأرض وهو اليوم رهينها إلى الوميفيدا أمه الحبيبة الرحيمة التى لم يتمتع بالقرب منها، السلام الطيب الذكى. إن سبيلى يا أم سبيل من قد مضى من الأولين وأنت ومن يتخلف بعدى فى الاثر وإنما مثالنا فى هذه الدنيا كاليوم الذى يدفع ما تقدمه فلا تأسفى على الدنيا فإنها غرارة بأهلها والعبرة فى ذلك مما عرفتِ عن الملك فيلبس حيث لم يجد سبيلا إلى المقام معك ولا للتخلف علىَّ فتدرَّعى بالصبر وانفى عنكِ الجزع واعتزلى، وأتمنى ألا يدخل عليك إلا من لم تنله مصيبة ولا بلى بداهية، لتعرفى ما فى ذلك فتستقرى على أمركِ وتمضى لشأنك فإن الذى أصير إليهِ أفضل مما كنت فيهِ فاحسنى إلىَّ وإلى نفسك بقبول العزاء والصبر لئلا يتملك الحزن عليكِ. وكتابى هذا فى آخر يومى من الدنيا وأول يومى من الآخرة كتبته إليك رجاء أن تتعزى بهِ ويحسن موقعهُ منكِ فلا تخلفى ظنى ولا تحزنى نفسى والسلام" . وأمر بختم الكتاب وأرسله إلى امهِ سراً. وتقدم إلى فيليمن وزيرهِ

وطلب منهُ أن يستر موته ويعجل فى المسير إلى الإسكندرية . ويقال أيضاً أنهُ لما بلغ قوموس مرض بها مرضاً شديداً ومضى مريضاً لا يزداد كل يوم إلا ضعفاً إلى أن قضى أجله وكانت امهُ قد أخبرته أن المنجمين قالوا لها حين ولدته أنهُ يهلك فى موضع سماؤه ذهب وأرضه حديد. فمضى على ما بهِ حتى بلغ شاهروت ففيما هو فى سيرهِ إذ اشتد بهِ الكرب فنزل فألقى لهُ جفناً وفوقه درع من حديد فجلس عليهِ واظل بترس مموّه بالذهب . فلما نظر ذلك تذكر قول امهِ . ثم قضى أجلُه.

فلما ورد الكتاب إلى امهِ أمرت فاتخذت لها طعاماً ونادت فى الناس أنهم يحضرون الطعام ووكلت البوابين أن لا يدعوا أحد يدخل إلا من لم تصبه مصيبة، فجعل البوابين يسألون من أتاهم فإذا وجدوه قد أصيب بمُصيبةٍ لم يأذنوا لهُ بالدخول حتى صدرت الناس كلهم فلم يبقَ أحد . فلما رأت ذلك أم اسكندر حسن عزاؤها وصبرت وأيقنت أنهُ السبيل.

وجعل فيليمن الوزير جسد اسكندر فى تابوت من ذهب اجلالاً لهُ وملأهُ عسلاً وستر الوزير موتهُ وقاد الجيوش والخزائن إلى الإسكندرية . فلما وصل إلى هناك أظهر للناس موت اسكندر وأخرج التابوت ووضعه فى وسط البلاط وأمر فيليمن الوزير الحكماء أن يقول كل واحد منهم بديهة تكون للخاصة تعزية وللعامة عظة بإيجاز.

فقال فيليمن الحكيم: "هذا يوم عظيم العبر أقبل من شرهِ ما كان مدبراً وأدبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على من زال ملكهُ فليبكِ".

وقال أفلاطون الحكيم: "أيها الساعى المغتصب جمعت ما خذلك وولى عنك فلزمنك أوزارهُ وعاد على غيرك هناؤُهُ".

وقال أرسطوطاليس: "صدر عنا اسكندر ناطقاً وقدم علينا صامتاً".

وقال ثاون الحكيم:"قل لرعية اسكندر هذا يوم ترعى الرعية راعيها".

وقال فيلن: "هل يعزينا على ملكنا من لم تنله مصيبة فنتعزّى".

وقال آخر: "هذه الطريق لابد من سلوكها فارغبوا فى الباقية كرغبتكم فى الفانية".

وقال آخر:"كفى بهذا عبرة أن الذهب كان بالامس كنزاً لاسكندر فأصبح اسكندر اليوم مكنوزاً فى الذهب".

وقال آخر: "سيلحقك من سرهُ موتك كما لحقت من سرك موتهُ".

وقال لوطس الفيلسوف: "لا تعجبوا ممن لم يعظنا فى حياتهِ فقد صار بموتهِ لنا واعظاً".

وقال مطرن الحكيم: "قد كنا أيها الشخص بالأمس نقدر على الإستماع منك ولا نقدر على القول فهل تسمع الآن ما نقول".

وقال سيسينوس الحكيم: "أمات هذا الشخص خلقاً كثيراً كيلا يموت، فمات. فكيف لم يدفع الموت بالموت".

وقال آخر: "لم يؤدبنا اسكندر بكلامه كما أدبنا بسكوتهِ".

وقال ديمطر الحكيم: "يا من كان غضبهُ الموت لِمَ لا غضبت على الموت".

وقال آخر: "خافت حصونك أيها الشخص وأمنت حصون خائفيك".

وقال آخر: "ما ازهد اليوم الناس فيك وارغبهم فى تابوتك".

وقال آخر: ما أصدق الموت لأهله غير أنهم يكذبون عيونهم ويصمون آذانهم".
وقال "فليقطن الحكيم أن دنيا تكون هذه آخرتها فالزهد في أولها أولى".
وقال آخر: "أيها الجمع لا تبكوا على من جاز البكاء عنهُ بل فليبك كل إمرءٍ منكم على نفسهِ".
وقال آخر: "عهدى بك وأنت ترغب نفسك في أرحب البلاد فكيف صبرك الآن على ضيق المكان".
وقال آخر: "إن كان لا يُبكَى على الموت إلاّ عند حدوثهِ فالموت في كل يوم جديد".
وقال آخر لقد كنت مغبوطاً فاصبحت مرحوماً ولئن كنت مرتفعاً فقد اصبحت متضعاً
وقال آخر: "يا هذا الذي كان غضبةُ مرهوباً وجانبهُ ممنوعاً هلاّ غضبت ليفرق الموت منك ولِمَ لا إمتنعت لتنفي الذل عنك".
وقال آخر:"كفى العامة أسواءً بموت الملوك وكفى الملوك عظمة بموت العامة".
وقال آخر: "ما اتعظ اسكندر بعظة هي أبلغ من وفاتهَ".
وقال آخر: "قد كان صوتك مرهوباً وملكك عالياً فأصبح الصوت وقد انقطع والمُلك وقد اتضع".
وقال آخر: "قد كنت تقدر على الاحسان ولا اقدر أنا على الكلام فاليوم اقدر أنا على الكلام ولا تقدر أنت على الاحسان".
وقال آخر: "لئن كنت بالامس لا يأمنك أحد فلقد أصبحت اليوم لا يخافك أحد".
وقال آخر: "قد وصلت إلى من كان لهُ قبلك دين ولا بد من اقتضاءِ ذلك فليت شعرى كيف صبرك عند اقتضاءِ الدين والحق منك".
وقال آخر: "لو كان ما بك من الوقار والسكينة فيما خلا مثل الذي بك اليوم لكنت حكيماً".
فلما فرغت الفلاسفة من الكلام قامت زوجة اسكندر دوشنك بنت داريوس ملك العجم وكانت من أعز الناس على اسكندر فوضعت خدّها على التابوت وقالت ما كنت أحسبك أيها الملك إذ غلبت داريوس أن مُلكك يغلب . ثم قالت للفلاسفة إن كان منطقكم في اسكندر هزءًا فقد خلف الكاس التي شربها لكم كلكم لتشربوها لأنها دين عليكم . وإن كان تعزيةً وندباً فاستعدوا للجواب وتهيأوا للاعتذار والحجة، فإن ما ذاقه ستذوقونهُ وليكن العمل على قدر القول فإنكم غير آمنين .
ثم أن أم اسكندر أيضاً خرجت فوضعت خدّها على التابوت وقالت قد بالغتم في التعزية، والذي كنت أحذره على اسكندر قد صار إليهِ فلم يبق لنا مُلك ولا بقى عليهِ فليكثر في الدنيا زهدكم وأعطوا الحق من أنفسكم فقد قبلت تعزيتكم، وأمرت بدفنهِ.
وملك وهو ابن ست عشرة سنة وكان جملة مُلكهِ ست عشرة سنة.

* ذكر أخبار العبرانيين بعد وفاة اسكندر وما جرى عليهم *
* من ملوك اليونانيين *

٣٢٣ ق.م (١مك ١ : ٦-١٠)

لما ايقن اسكندر بالموت قسم المُلك أن يكون بعدهُ على أربعة من أصحابهِ وهم اصول ملة اليونانيين الذين فى أيامهم ساءُوا على اليهود وقصدوهم بصنوف المكاره وفنون الأذى إلى أن الله عزً وجلً برحمتهِ خلصهم منهم على ايدى المكابيين الكهنة الغيورين بنى حشمناى الذين انتصروا لله فعضدهم على ذلك ووازرهم وأعطاهم معونة ورزقهم الظفر على اليونانيين حتى ازالوا عن الأمةِ تسلطهم وتمردهم وخلصوهم من عبوديتهم كما سنذكر ذلك فيما بعد . فمن ملوك اليونانيين الذى ملك بعد اسكندر رجل يقال لهُ سلفانوس وكان جيداً فاضلاً . فلما ملك أحسن السيرة فى اليهود وغيرهم . وكان يحمل إلى بيت الله عزً وجلً فى كل سنة مالاً كثيراً يقسم على الكهنة والفقراء وذوى الحاجة كما كان ملوك اليونانيين الذين قبلهُ يفعلون .

كرامة بيت الله:

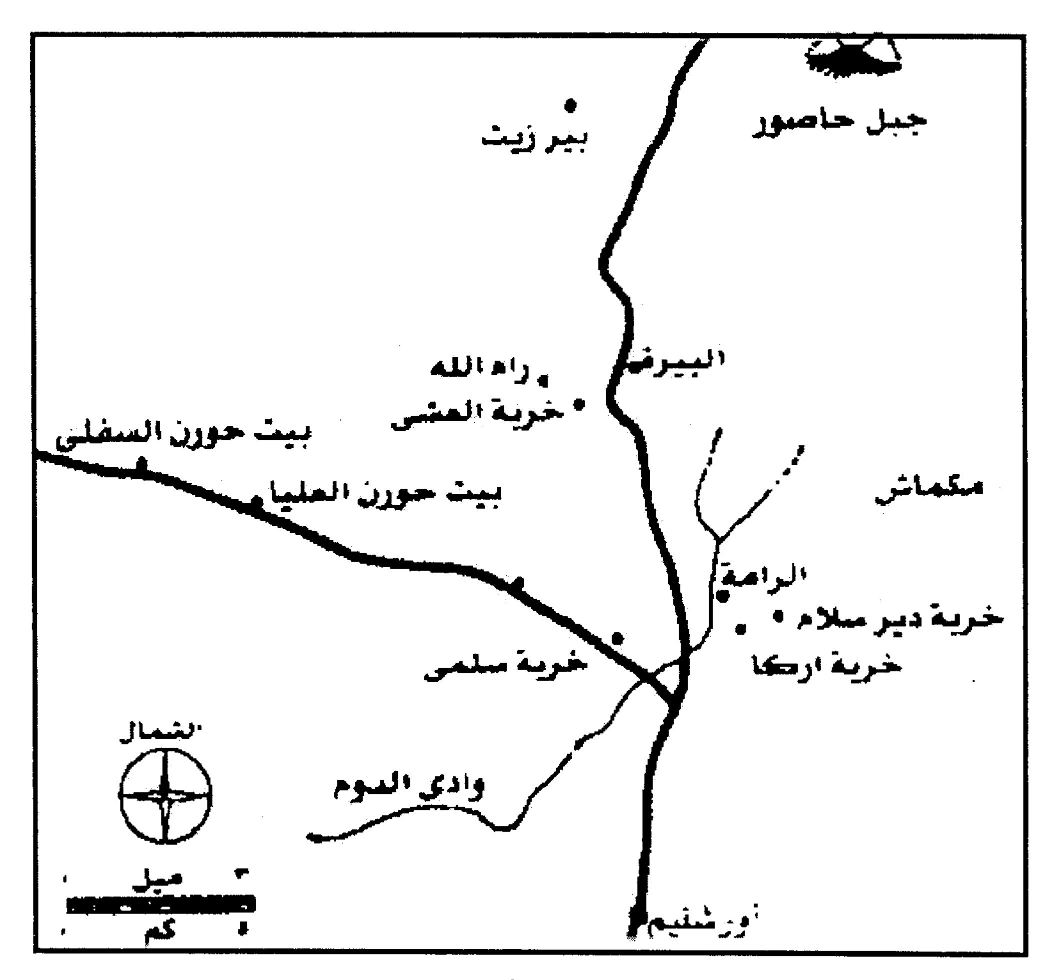
قال فمضى إليهِ قوم من أشرار اليهود وقالوا لهُ إن فى هيكل الله فى أورشليم من الأموال والتحف والجواهر النفيسة ما لا توصف كثرته ولا يحصى عدده ولا يليق أن يكون مثل ذلك إلا فى خزائن الملوك وكرروا مثل هذه الأقوال عليهِ وعظموا قدر ما فى بيت الله من الأموال عندهُ ورغبوهُ فيها وسهلوا عليهِ أخذها وأكثروا السعاية باليهود والطعن عليهم إلى أن أثر ذلك فيهِ فقبل قولهم ووجه إلى أورشليم رجلاً عظيماً من أصحابهِ يقال لهُ اروزوس وأمره أن يقبض على جميع ما فى الهيكل من المال والجواهر ويحملهُ إليهِ، فوصل اروزوس إلى أورشليم ولم يكن عند اليهود مما أمر بهِ الملك علم ولا خبر، فلقيه حننيا الكاهن الأكبر وشيوخ اليهود وسألوه عن سبب مجيئهِ فأخبرهم ما أمرهُ بهِ الملك سلفانوس، فقال لهُ حننيا الكاهن ليس فى الهيكل شئ من المال إلا بقية ما كان من ملوك اليونانيين كل عام يحملون إليهِ لينصرف فى نفقات الكهنة والفقراء وذوى الحاجة والفاقة وما حمله الملك سلفانوس لمثل ذلك حتى يصلى عليهم فى الهيكل ويدعو إلى الله ببقائهم ودوام ملكهم . ثم سألهُ الكاهن ألا يتعرَّض لشيءٍ حتى يتجنب غضب الله فلم يقبل، ووكل بالقدس رجلاً من أصحابهِ. وشاع الخبر فى المدينة، فقلق الناس واضطربوا وخافوا أن ينتقل من ذلك إلى غيرهِ، ولما لم يمكنهم ممانعته قصدوا الله بصوم وصلاة وبكاء ولبسوا مسوحاً وتعفروا بالرماد ولم يتخلف أحد منهم عن ذلك من حنينا الكاهن الأكبر إلى الروساء والشيوخ والعوام حتى النساء والصبيان والأطفال . قال فلما كان من الغد جاء اروزوس إلى بيت الله عزً وجلً ومعهُ جماعة من أصحابهِ ليقبض عليهِ . فلما توسط حضن القدس أسمعهُ الله تعالى صوتاً عظيماً هائلاً قد قيل لهُ فانتزعهُ من سرجهِ وضرب بهِ الأرض فسقط مغشياً عليهِ . فلما شاهد أصحابهِ ما أصابه حملوه إلى منزلهِ وبقى على تلك الحال أياماً عدة لا يتكلم ولا يأكل، فاجتمع كبراء أصحابهِ ومضوا إلى حنينا الكاهن وسألوه أن يصفح عنهُ ويطلب إلى الله أن يعافيه، ففعل حنينا ذلك وعوفى اروزوس وزال عنهُ

ما كان حل بهِ . ثم رأى فى منامه ذلك الشخص الذى كان قد ظهر لهُ فى القدس وهو يقول لهُ امض إلى حنينا الكاهن واشكره فإن الله إنما عافاك بدعائهِ، ففعل ذلك وحمل إلى بيت الله أموالاً كثيرة وحمل إلى حنينا الكاهن هدايا جزيلة قيمتها كبيره . ثم ارتحل عن أورشليم إلى مكدونيا وأخبر الملك سلفانوس بخبره وبجميع ما أصابهُ، فتعجب الملك وأمره أن يحدث الناس بهِ وإزداد فى إكرام بيت الله وتعظيمه وفى ما كان يحمل إليهِ من الأموال كل سنة . فلما سمعت الملوك بخبر اروزوس وما أصابه عظم قدر بيت الله عندهم وصاروا منذ ذلك الوقت يبجلونه ويكثرون توقيره ويحملون إليهِ الأموال والهدايا الفاخرة الجزيلة.

* ذكر ما أمر بهِ بطليموس الأول الملك اليونانى من نقل كتب الشريعة والانبياء من العبرانى إلى اليونانى (٢٨٥ ق.م) *

كان فى ذلك الزمان رجل من أهل مكدونيا يقال لهُ بطليموس فيلادلفيوس وكان محباً للحكمة عاشقاً العلوم شديد العناية بها كثير الرغبة فى تحصيلها، وكان مقيماً بأرض مصر فملكه المصريون هليهم، فلما ملك إزداد تحرقاً على العلوم وكثر شوقه اليها وعنى بتحصيل الكتب وطلبها من كل أمة ومن كل بقع وبلد . ويقال أنهُ لم يترك كتاباً موجوداً إلا وحصلهُ عندهُ. ففى يوم من الأيام قال لبعض جلسائه يقال لهُ ديمتريوس فاليريوس هل يوجد فى الأماكن القاصية أو الدانية كتاب لم يحوهِ ملكى . فأجابهُ نعم أيها السيد فى بلاد اليهود كُتب زعم بعض الناس أنها منزلة من السموات، فتلك أيها الملك ليس هى عندنا. فلما سمع ذلك تاقت نفسهِ اليها وأحب الوقوف عليها، فكتب إلى الكاهن الأكبر فى أورشليم فى ذلك الوقت المسمى العازر وطلب منهُ أن يرسل إليهِ من علماءِ اليهود وفقهائهم وحكمائهم سبعين شيخاً، وبعث إليهِ بهدية جليلة . فلما وصلت إليهِ الهدية والرسالة اختار من علماءِ اليهود حينئذ وحكمائهم سبعين شيخاً ووجه بهم إلى الملك بطليموس ومعهم رجل من مقدمى الكهنة اسمهُ العازر، كان رجلاً جليلاً فى قومهِ فيلسوفاً فى عمله يزيد فى حكمته عمن سواه من أهل ملته ومع ذلك كان ديّناً كاملاً فضلهُ. فلما علم بطليموس بخروجهم من أورشليم أمر بأن يخلى لهم سبعون منزلاً، فلما وصلوا إلى مصر أمر باستقبالهم بالتبجيل والترحيب واكرمهم كما يجب لنظرائهم من أهل الفضل . وبعد أيام وهم فى غاية الإكرام أمر أن ينزل كل رجل منهم فى منزل منفرداً لا يلتقى أحد منهم مع صاحبه . وإنما فعل ذلك لزيادة تحريزه وكثرة حذره لئلا يجتمع أحدهم مع رفيقه فيتفقوا على تغيير شئ من الكتب التى ينقلونها . ثم أمر بأن يجعل مع كل رجل منهم كاتب من الحذاق فى اللغة اليونانية فيكتب عنهُ ما يترجمه من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية إلى أن ينقل كل واحد منهم كل الكتب باللسان اليونانى وأقسم أنهُ إذا وجد فى نسخة واحدٍ منهم شيئاً من الاختلاف والتصحيف أو زيادةً أو نقصاً يعدمهم الحياة بأشد العذاب فلما علموا رأيهُ وفهموا قصدهُ وتحققوا كثرة تشديده فى ما اعتمدهُ، شرع كل منهم بغاية التحرير فيما بيده وأكمل التحقيق وأوكدهُ. فلما كملت النسخ وهى سبعون نسخة وأحضرها الشيخ

العازر الكاهن إلى الملك بطليموس أمر أن تقابل على النسخة التى نقلوا منها فقوبلت جميعها، وكانت النسخ كلها متفقة لم تختلف فى شئ، محررةً فى غاية الصحة. فابتهج الملك حينئذ بذلك وسر سروراً عظيماً وشكر للشيخ العازر وأصحابه وأمر لهم بمال كثير، وأمر لالعازر بجائزة جليلة وأطلق جميع من كان بمصر أسيراً من سبى اليهود، وأمر لهم بمال جزيل وأذن لهم بالرجوع إلى بلادهم . وأمر أن يعمل مائدة عظيمة من ذهب خالص محكمة الصنعة، وأن يصور عليها صورة أرض مصر كلها، وصورة النيل وكيف يسير فيها حتى يسقى ضياعها جميعا، وصنعت المائدة باحسن صنعة ورصعت بجواهر كريمة نفيسة ثمينة، فلما كملت أمر بحملها إلى القدس هدية لبيت الله عزَّ وجلَّ فحملت إليهِ وكانت فيهِ ولم تر الناس مثلها فى حسنها وكمالها واتقان صنعتها وتزخرفها الفاخر.



حملة يهوذا المكابى الأخيرة ١٦٢-١٦١ ق.م

الفصل الثالث

(مُلك انتيوخوس المكدونى اليونانى وما جرى على اليهود فى أيام مُلكهِ)
حكم أنتيوخوس الثالث الكبير (٢٢٣ ــ ١٨٧ ق.م)

كان من ملوك اليونانية ملك يقال لهُ انتيوخوس إبيفانس وكان مقيما بمكدونيا . فلما مات بطليموس الرابع (فيلوباتير) سنة ٢٠٥ ق.م ــ الذى كان ملكاً على مصر ــ تملك انتيوخوس على مصر . ثم قوى أمرهُ وعظم شأنهُ حتى استولى على كثير من الأمم وأطاعته ملوك فارس وغيرهم من الملوك. فداخله العجب والكبرياء وطغى وتجبر وأمر بأن تعمل الأصنام على صورته ووجه بها إلى جميع مملكته وأمر الناس بعبادتها والسجود لها. فأجابته الأمم كلها إلى ذلك أما اليهود فامتنعوا من ذلك ولم يقبلوه.

رؤيا خيول فى السماء:

وظهر فى ذلك الوقت على أورشليم فى جوَ السماء صورة ركبان من نار على خيول من نار تقاتل بعضها بعضا . وكان ذلك يُرى فى جو السماء على أورشليم أربعين يوما . وكان فى المدينة ثلاثة رجال من الكهنة أشرار عصاة اسم أحدهم ميالس والثانى شمعون والثالث الفيموس وكان لكل واحد منهم رهط كثير وأصحاب من أهل الشر، فمضى هؤلاء إلى الملك انتيوخوس وسعوا باليهود وكذبوا عليهم وقالوا عنهم أنهم يبغضونه ويعادونه وإنهم قد اجتمعوا وتألفوا على عصيانه والامتناع من طاعتهُ والقبول لأمرهِ لما ظهر فى السماء على أورشليم، وزعموا أنهم رأوا ركبان نار تدل على حرب وقد سرهم ذلك وقالوا أن هذه علامات تدل على موت انتيوخوس. وأراد هؤلاء الثلاثة السعاية باليهود عند انتيوخوس لكى يتقربوا بذلك إليهِ ويجدوا حظوة لديه فيتملكوا مما يريدون من الشر بهلاك أمه اليهود. فقبل انتيوخوس قولهم واشتد عضبه على اليهود وسار إلى أورشليم بعسكر عظيم فوصل إلى المدينة وليس عند اليهود خبر منهُ ولا علم، فقُتِل منهم خلقاً كثيراً وسبى خلقاً عظيماً وهرب من بقى منهم إلى البلاد والبرارى والجبال فأقاموا فيها . ثم ارتحل انتيوخوس راجعا إلى بلاده وخلف على أورشليم رجلاً من أصحابهِ يقال لهُ فيلكس وأمرهُ أن يطالب اليهود بالسجود لأصنامه ويأمرهم بأكل لحم الخنزير ويمنعهم من الختان ومن حفظ السبت، وأن يقتل كل من خالف أمرهُ ويحسن إلى كل من أطاعهُ . ففعل فيلكس كما أمرهُ انتيوخوس وطالب اليهود بذلك، فرفضوا تنفيذ طلبهِ ، فقُتِل منهم خلقاً كثيراً وأحسن إلى أولئك القوم الأشرار وإلى من تشبه بهم فى طاعتهُ وقبول أمرهُ ورفع منزلتهم فانبسطت يدهم على الناس وعظم شرهم، وكانوا على اليهود أضر من كل أحد وسببا لكل ما جرى عليهم من المكروه . وفى ذلك الزمان وجد فيلكس امراتين قد ختنتا ولدين لهما فى السر فأمر أن يعلق الطفلان على ثدييهما . ثم ترميان من مكانٍ عال فرميتا وماتتا كلتاهما وأولادهما.

ووشى قوم من الأشرار إلى فيلكس بالعازر الكاهن وهو الذى كان مضى إلى بطليموس ملك مصر مع الحكماء المشايخ السبعين المتقدم ذكرهم، فأمر فيلكس بإحضار العازر وكان قد شاخ وكبر وبلغ من عمره تسعين سنة . فلما حضر قال لهُ يا العازر أنت رجل عاقل وحكيم وقد علمت أنهُ كان بينى وبينك مودة قديمة . وأنا أشفق عليك ولا أريد قتلك فاقبل أمر الملك وأسجد لصورتهِ وكل من قربانهِ كى تنجو من الموت ،فقال لهُ العازر لا كان لى أن أذعن طائعا لأمر فيهِ معصيه الله الخالق . ولا يجوز لى أن أرضى ملكاً أيضاً وأغضب رب الخلائق . فقال لهُ فيلكس فإن كنت لا ترى فعل ما أمر بهِ الملك فانفذ إلى بيتك سرا من يجئ لك بلحم من ذبيحتك التى منها تأكل أنت وخواصك وأجعل ذلك على مائدتى وكل منها حين آمرك أن تأكل من قربان الملك . فاذا فعلت هذا واكلت بحضرة الناس تكون كأنك قد أكلت من قربان الملك وأطعت أمرهُ قدام الناس ولم تخالفه فتسلم من العطب وتنجو من القتل ولا ينالك نقص فى مذهبك ولا مضرة فى ديانتك، فقال لهُ العازر لا ينبغى لى وأنا شيخ كبير مقدم فى قومى أن تكون طاعتى لله سبحانهُ بضرب من الحيلة والمكر ولا ينبغى لى أن أظهر المعصية لله وأخفى طاعتهُ فأكون قد خدعت قومى وأضعفت قلوبهم ونياتهم والأولى بى أن أصبر على المكروه فى طاعة الله والتمسك بدينه حتى يتشبه بى الشباب من قومى ولا يرون إنى قد تركت الله وعبادته البهية وقد كنت آمرهم بحفظها وأحضهم على ذلك وأحذرهم عن مخالفته وأصدهم وأنهاهم عن مجانبته فيقولون إذا كان هذا الشيخ الكبير مع علمه ومعرفته بقرب الموت منهُ قد استدفع المكروه عن نفسهِ بمعصية الله عزّ وجلّ ورغب فى الحياة . فنحن معشر الشباب أولى بهذا منهُ وعذرنا واضح فى التشبه بهِ لأنهُ شيخنا ومقدامنا ونحن نقتدى بهِ ونتعلم منهُ فأكون والعياذ بالله سبباً لضلالتهم. وإذا أنا قضيت ما علىّ من الدين وشربت كأس الموت المحتوم فى طاعة الله مجاهدا عن الحق فقد قويت عزمهم على حفظ دين الله عزّ وجلّ والتمسك بتقواه والصبر على ما ينالهم من المكروه فالموت فيهِ خير لى من أن أعيش وقد صرفت قلوبهم عن طاعة ربهم وسهلت عليهم معصية خالقهم وترك دينهم. وهب إنى اليوم خلصت ناجيا من عقوبتك بطاعة مولاك فكيف أهرب من عقوبة الله خالق السموات الذى سلطانه على الأحياء والأموات ذاك الذى إليهِ الميعاد والمصير وليس من عقابه محيص ولا منقذ ولا نصير . فغضب فيلكس من كلام العازر وأمر بهِ فعُذب عذاباً شديداً وهو صابر ثابت، فلما أجهده العذاب وضعف، رفع عينيه إلى السماء . ثم قال اللهّم ربنا إنك أنت عالم إنى كنت أقدر أن ادفع عن نفسى هذا العذاب الشديد بقبول ما أمرهُ بهِ انتيوخوس العنيد وإنى لم أفعل ذلك بل آثرت طاعتك وتمسكت بدينك وعبادتك واستسهلت المكاره القادحة تعلقا بحبك وأنا الآن صابر مستقل بكل ما ينالنى فى رضاك ومحبتك بجهدى وطاقتى فأسالك يارب أن تقبل ذلك منى وإن تقبض منى روحى قبل أن أضعف عن الصبر فلا آمن من الزلل، فاجعلنى أيها الرب فداءً لهذه الأمة، فاستجاب الله دعاءهُ ونقله إليهِ. فقضى ما عليهِ وقد خلف قومهُ وذوى ديانته متشددى العزائم متشجعين على المهاول فى العظائم كصبره فى حفظ ديانته الحسنة وتجلدهِ على المؤلمات إلى الممات.

(ذكر خبر السبعة الإخوة أولاد اشمونية)
(الذين قتلهم انتيوخوس الملك المارد المعاند)

ثم سعى إلى فيلكس بسبعة إخوة من اليهود فأمر بالقبض عليهم ووجه بهم إلى انتيوخوس لأنهُ لم يكن رحل عن أورشليم إلى ذلك الوقت، فلما وصلوا إليهِ أمر بإحضار أكبرهم، فلما مثل بين يديهِ أمرهُ بترك ديانته وقبول ما قد أمر الناس بهِ من السجود لصورته وتسميتهِ إلهاً، وذلك أن هذا العنيد المتجبر كان يريد أن يمقت الله كما كان محباً للنفاق أكثر من كل من تقدمهُ من ملوك الأرض ،فأمر أن تعمل أصناماً على إسمهِ وينقش على كل درهم ودينار صورته مسميا نفسهُ الهاً وبنى المدينة المسماة باسمه وهى انطاكية الشام على نهر العاصى وأنشأ فيها بنايات تذكر لهُ ولقبها مدينة الإله وقد يسميها قوم إلى هذه الغاية بهذا الاسم لجهلهم وقلة درايتهم بالأخبار الأصلية، فهذا المارد طلب الشاب المتقدم فى السبعة وكان يسمى افغيم بأن يسجد لتماثيله ويأكل من ضحاياه، فدحض أمرهُ ورد عليهِ قائلا، أيها الملك إنما تجب علينا طاعتك إن أمرتنا بما ليس فيهِ مخالفه لشريعتنا وأما ما لا يجوز لنا فعله فلسنا من الطائعين ولا لديانتنا من المضيعين، وذلك أنا لسنت أعرف ولا أؤمن بمذهب إلا مذهب دين الله عزً وجلً وما تقلدناه من نبيه موسى ولا نسجد لما ليس هو بإله. عند ذلك إحتد انتيوخوس وتزايد غضبه وأمر بإحضار قدر كبير من نحاس وأن يوضع على النار فلما حميت أمر أن تقطع يداه ورجلاه ولسانه وإن يسلخ جلده ووجهه ورأسه ثم يلقى جسده بالقدر . فلما صار ما أمر بهِ ذلك العنيد فعلا وقارب افغيم الموت، أمر بازالة النار من تحت القدر ليطول عذابه، فبقى كذلك إلى أن مات . وإنما أراد بذلك تخويف أمه وإخوتهُ فما زادهم ذلك إلا شجاعة وتشديداً وقوة منهُ وتأييدا، إلى أن استظهروا على المتجبر العنيد.

ثم أحضروا الثانى وكان اسمهُ انطونيوس فقال لهُ الأمراء والقواد وجلساء انتيوخوس أقبل ما يأمرك بهِ الملك لئلا تهلك كما هلك أخوك فقال ما أنا بأضعف قوة من أخى ولا أخى أشد منى تمسكا بالديانة الحسنة فاصنعوا بى ما شئتم ولا تنقصونى شيئاً مما صنعتم بأخى . ثم أقبل على انتيوخوس وقال إعلم أيها الغاشم القاسى الظالم أنك إن كنت قد سُلطت على اجسادنا فليس لك على أرواحنا سلطان وإن عقوبتك لنا تنقضى والذى نصير إليهِ من ثواب الله يبقى ويدوم . فأصنع بنا ما تريد، فأمر بهِ الملك فقتل.

ثم أحضروا الثالث وكان اسمهُ عوزيا، فقال للملك من غير خوف ولا جزع لا تهوّل علينا يا عدو الله بعقوباتك ولا تظن أنك قدرت على ما فعلته بنا بقدرتك وسلطانك وإنما ذلك أمر حكم الله بهِ علينا ليظهر طاعتنا لهُ وتمسكنا بشريعته وقد قبلنا حكم الله ورضاه وصبرنا عليهِ ومنهُ نرجو حسن الجزاء وجزيل الثواب والأجر،

فتعجب الملك ومن بحضرته من شجاعة الفتى وقوة قلبه وجودة كلامه . ثم أمر بـــهِ فقُتِل.

وأمر فأحضروا الرابع وكان اسمهُ اليعازر فقال على دين الله نبذل أنفسنا ومنهُ نأخذ أجرنا فى الوقت الذى لا يكون لك فيهِ حجة بين يدى الله ولا مهرب من عذابهِ، فأمر بهِ فقُتِل.

ثم أحضروا الخامس وكان اسمهُ افسافونا، فلما أحضر قـــال لا تظـــن يـــا انتيوخوس أن الله قد طرحنا إذ سلطك علينا وابتلانا بهذا البلا فإنهُ إنما أدبنـــا بـــذلك ليعوضنا كرامة الآخرة الدائمة والثواب الباقى وذلك لشفائنا وبلائنا وسوف يجازيك الله بظلمك ويستوفى لنا منك الطائلة الواجبة ومن ذريتك. فأمر فعُذِّب بآلة التلوين وشرب كأس المنون بفنون من العقابات.

ثم أحضر السادس وكان اسمهُ افيفس فحضر وجعل يقول أما أنا فإنى مقـــر بذنبى معترف لله بجرمى راجيا منهُ العفو عنها بقبول طاعتهِ وحفظى لدينهِ وأما أنت يا انتيوخوس فقد عاديت الله بقتل عبيده ومحاولتك إبطال دينه وتعطيل فرائض شريعته فسيجازيك الله ويستأصلك من عالمهِ. فأمر بهِ فعوقـــب بتجريـــد المفاصـــل وتقطيـــع الأوصال بأرهف الحديد إلى أن أطلق نسمتهُ.

ثم أحضر السابع وكان اسمهُ مركلس فحضر وكان أصغرهم ســنًا وجـــاءت امّهم فوقفت تنظر إلى أجساد بنيها بغير رعب ولا ذعر ولا قلق ولا اضطراب وهـــم مطروحين على الأرض . ثم قالت يا أولادى إنى وإن كنت أمكم التى ولدتكم وربيتكم وكنت أشفق الناس عليكم فما زلت متحققه باليقين الصادق إنى لا أملك شيئاً من أمركم وذلك لما حبلت بواحد فواحد منكم لم أكن أعلم ما كان فى أحشائى ولا اســـتطعت أن أبث فيهِ روحاً ولا أزيد فى خلقتهِ ولا أغيِّر صورته ولا أُخرجهُ إلى الدنيا فـــى غيـــر وقت خروجهِ وإنما ذلك كله بِفعل الله الجابل على إنفراد الأجسام . ومسكِّن فيها النفوس والعقول والأفهام . فهو خالق منكم الأجساد والأرواح ومصوركم بقدرته كمـــا شـــاء وأخرجكم إلى الدنيا ووهب لكم العقل وصانكم من الآفات وحفظكم من عدة ميتـــات، وقد أمركم بحفظ دينه وشرائعهِ وجعل لكم فى دار الدنيا وقتا كارادتـــهِ كمـــا حـــددت مشيئته . ثم أمر بخروجكم منها على الوجه الذى شاء واختار إذ كانـــت ارادتـــه أن يمتحن طاعتكم لهُ ويحفظكم لهُ بما يظهر من صبركم وتجلدكم على ما ابتلاكم بهِ من المكروه واحتمالكم لكل ذلك فى مرضاته وأنا بذلك راضية بكل ما اختـــاره الله لكـــم وقابله لما حكم بهِ عليكم لأنهُ خالقكم ومالككم دونى أنا وهو بمصالحكم أعلم منى وما سررت منذ يوم ولدتكم مثل سرورى بكُم يومى هذا لمَّا بذلتم لله أنفسكم وأجسادكم التى صنعها وأرواحكم التى خلقها وصبرتم على المكروه والشدائد والبلا العظيم فى حفـــظ مراسمه وصيانه أمرهُ حتى خرجتم من الدنيا ولم تعصوا فرائضهِ ولا فارقتم دينه ولا أطعتم عدوهُ فطوباكم وهنيئاً لكم فلقد سعدتم بما بهِ ظفرتم من الغبطة والكرامة وما قد فزتم بهِ من الخير والسعادة.

قال فكان لما رأى انتيوخوس المرأة قد جاءت مع ابنها الصغير تـــوهم أنهـــا عجزت من أجل أولادها الذين ذبحوا وأنها قد شفقت على ابنها المتبقى من القتل وظن

أنها ستأمر ابنها بطاعته ليسلم من الموت، فلما سمع كلامها زال ما كان يظنهُ ورأى أن يلطَف بالصبى ويداريه لعله يقبل أمرهُ ولا تتم مخالفته مثل جميع الإخوة فيكون ذلك عار عليهِ ويتشبه بهم غيرهم، فاستدعى المرأة والغلام وابتدأ أولاً يلطف بهِ بالترغيب ويهوِل عليهِ بالترهيب فلم يقبل منهُ ولا حفل بكلامه ولا انحنى لملاطفته وتمليقاتهِ ذات الخداع، فأقبل حينئذ على الأم قائلا أيتها المرأة السعيدة ارحمي ولدك الذى لم يبق لك سواه، والطفى بهِ لكى يقبل أمرى فيسلم ناجيا ولا يهلك كما هلكت اخوته فإن بقاء واحد من أولادك أصلح من هلاك جميعهم فقالت لهُ المرأة سلموه إلى حتى أخلوا بهِ وأخاطبهُ فى ذلك فلما خلت بهِ قبَلته . ثم قالت لهُ قد علمت يا إبنى إنى أوفر شفقة عليك من كل أحد وأصلح لك وأنا حقى يلزمك لأنى حملتك وأرضعتك وربيتك وعلمتك شريعة الله ودينه فإن كنت لا تطيعنى مع وجوب حقى عليك ومعرفتك بنصحى لك فانظر إلى السماء والأرض واذكر الله جابلهما وخالق جميع الأشياء بقدرته الذى صنع الانسان من بشر ضعيف وأمرهُ بطاعتهِ وقبول أمرهُ ونهاه عن معصيته وجعل بقاءهُ فى هذه الدنيا مدة قليلة ثم يصير إليهِ فيجازيه بما عمل من خير وشر فأنا أقسم عليك يا ولدى بالله الحى الذى لا يموت أن تخطر ببالك المصير إليهِ وتذكر الوقوف بين يديه ولا تخف من هذا الضال المضل المنخدع الخداع ولا يدخل عليك شئ من وعيده ولا من وعده وتمسك بطاعة الله ومت فى ديانته كما اختار اخوتك لنفوسهم لأنك لو رأيت يا ولدى ما صاروا إليهِ من الخير والسعادة لم تصبر عن اللحاق بهم ساعة واحدة . فلما فرغت المرأة من كلامها ووصت إبنها استدعاه انتيوخوس وقد ظن أنها قد أمرتهُ بطاعتهِ والإذعان لما يوعز بهِ، فقال لهُ هل قبلت ما أمرتك بهِ أمك من الرضوخ لأمرى والطاعة لاشارتى، فقال الصبى للملك إننى طائع لله وحده لا لما تأمر أنت بهِ يا انتيوخوس ولست أعبد ولا أسجد لإله آخر سوى الخالق الحقيقى، ذاك هو الصانع كل نسمة فاصنع ما أمرت ولا توخرنى عن اللحاق باخوتى وإعلم يا انتيوخوس أنك قد أحسنت الينا ولكنك تظن أنك قد أسأت بنا بل قد أسأت إلى ذاتك. وإن كنت تستشعر أنك قد احسنت فكل ما فعلته بنا لنا عنهُ جزيل الثواب وجميل المآب والغبطة الدائمة والسعادة المقيمة . وأما أنت فمصيرك لأجل ظلمك وطغيانك إلى العذاب الشديد والعقاب المديد والبلاء المتصل العظيم حيث لا ينفعك سلطانك وينجيك ملكك من حكم الله ونحن نرجو ونتيقن أن سخط الله على أمته سيزول بحفظها لديانته وصبرها على جميع المكروه فى طاعتهُ فإن الرب الهنا سيجعل عليك بالعقوبة فى الدنيا قبل أن تصير إليهِ من عقاب الآخرة ولتموتن بأردأ الميتات. فغضب حينئذ انتيوخوس غضباً شديداً وأمر فعُذب بأشد من عذاب إخوتهِ كلهم إلى أن مات . ثم أن أمهم سألت الله عزً وجلً أن يقبل نفسها فماتت وذلك أنها لما شاهدت أعضاء بنيها متفرقة طرحت ذاتها فى النار المضطرمة ولم تنتظر أن تطرحها يد انسان. فعلى هذه الجهة استكمل هؤلاء حياتهم ونالوا الظفر وحصلوا الغلبة لما جعلوا الفكر منهم ملكاً على تأثير الأعراض وسيداً مستولياً فتكللوا بأكاليل الصبر.

ثم أن انتيوخوس رحل عن أورشليم راجعا إلى بلاده بعدما استخلف صاحباً لهُ يقال لهُ فليكس على بلد اليهودية وتقدم إليهِ وإلى جميع عمَاله المتولين أعماله أن لا

يبقوا على أحد من اليهود إلا من قبل أمر الملك ولم يخالفه ففعل أصحاب انتيوخوس كما أمرهم وأكثروا من قتل اليهود، فأهلكوا من الأمة خلقاً كثيراً.(١)

(ذكر خروج متثيا بن يوحانان الكاهن المكابى من بنى حشمناى)
(وهو أول من قام من المكابيين وانتصر لليهود على اليونانيين)
١٦٤ ق.م (١مك ٢ : ٤٩-٧٠)

إن متثيا بن يوحانان كان رجلاً صالحاً وكان شجاعاً جباراً وكان قد هرب إلى بعض الجبال فأقام هناك ومعهُ جماعة من اليهود . فلما رأى ما جرى على قومهِ من اليونانيين عظم عليهِ ذلك واشتد غمه وحزنه وقلقه وغار لله ولدينهِ ولقدسهِ ولامتهِ . فلما بعد انتيوخوس عن أورشليم وجه متثيا بابنه يهوذا فى السر إلى مدن اليهودية ومواضعهم يعرفهم سلامتهُ وسلامة من معهُ، ويخبرهم بما عندهُ من الغم والحزن، ويأمرهم بالحمية لله وأن يتأيدوا ويقووا عزمهم ويعتصبوا لدينهِ وشريعتهِ. واستنهض منهم قوماً ممن كان فيهِ بأس وقوة وغيرة للدين فاجتمع إليهِ رجال كثيرون، فكلمهم متثيا وأعلمهم بما يجب عليهم من الانتصار لله ولدينهِ والمحاماة لامُتهِ ولقدسهِ وبذل النفس فى مجاهدة الأعداء ومعاضدة الحق. فقويت قلوبهم بكلامه وعملوا على محاربة اليونانيين ومخالفتهم. فلما وصل ذلك لفيلكس والقواد الذين معهُ غضبوا من ذلك وساروا إلى متثيا وأصحابه ليهلكوهم، فلما صاروا فى الطريق إليهم بلغهم أن بعض اليهود فى مغارة قد اختبأوا فيها، فجاء فيلكس إلى المغارة وأمر القواد الذين معهُ أن يمضوا مع العسكر إلى متثيا ومضى هو مع بعض أصحابهِ إلى المغارة وطالب القوم بالخروج إليهِ وكان يوم سبت فلم يخرجوا لأنهم لم يريدوا أن يكسروا السبت وعمل شيء فيه وامتنعوا من تنفيذ الأمر ورفضوا الخروج، فأمر فيلكس أن يُجمع خطباً على فم المغارة ثم أطلق فيهِ النار فهلك جميع من فى المغارة بالدخان وكانوا الف نفس من الرجال والنساء والصبيان . ولما وصل الرجال القواد مع العساكر إلى متثيا وجدوه مع من عندهُ مستعدين للحرب فتقدم إليهِ بعض القواد يخاطبهُ بملاطفةٍ ولين ويدعوه إلى طاعة الملك انتيوخوس وقبول مراسمهِ ويخوّفهُ من القتل إن خالفهُ وكان متثيا يجيبه بالامتناع . فلما طال بينهما الكلام وثب رجل من أشرار اليهود الذين مع اليونانيين فقال للقواد إنى لأعجب من اشتغالكم بمخاطبة متثيا وتأخركم عما أمر بهِ

---

(١) فيجب إذا أن نفحص باحثين إذا ما ميّزنا أحوال هؤلاء الفتيان أن نعجب من صبرهم أنهم لم يكن لهم فى مثل هذا الفضل والجهاد مقدمات تقدمتهم ولا مثالات مثل هذه ينحون إليها سبقتهم إلا أن بلاد اليهودية بأسرها تعجبت من جلدهم وصبرهم،وجذل بذلك جذل من تصور أن الظفر ظفره والتاج تاج غلبته لأنهم كانوا ولهين ولها ما لحقهم مثله قط من شدائد أحدقت بالمدينة، وكان عندهم أنها فى ذلك اليوم لا تخلو من إحدى خلقتين إما أن ينهدم ناموسها وإما أن تفوز بأظفر،فكانت الأمور حينئذ لأمة العبرانيين كلّها واقفة من جهاد هؤلاء على حذّى شفرتين،وإغتبط أيضاً أنتيوخس لما كان منهم ونقل الوعيد إلى الإعجاب بهم لأن العدو ربما رأىفضل عدوه وأعجبه به وذلك أن الغيظ إذا ذال لم يبقِ للعقل شيئاً بستره فينكشف إذا مُيز .

الملك فى من خالفهُ . ثم إن ذلك اليهودى أخذ خنزيرا وقربَهُ على مذبح قد بناه اليونانيون فى عسكرهم لأصنام الملك وتماثيله التى كان يلزم غيرهُ بعبادتها . وأراد بذلك أن يغيظ متثيا وأصحابه، فلما شاهد متثيا ذلك تداخلتهُ حمية شديدة وغضب لله ولدينهِ ووثب إلى ذلك اليهودى فضربه بالسيف ضربه رمى بها رأسهُ عن جثتهِ على ذلك المذبح . ثم ضرب القائد الذى كان يخاطبهُ فشقهُ إثنين، فلما رأى أصحاب متثيا ذلك تشجعوا وتشددت عزيمتهم واجتمعوا كلهم وهجموا على عسكر اليونانيين فنصرهم الله عليهم وقتلوا منهم كثيرين وهرب الباقون، فتبعهم متثيا وأصحابه فقتلوهم وأظهر متثيا ومن معهُ الخلاف على اليونانيين وسمع بقايا اليهود المختفين بخبره فاجتمع إليهِ عدد كثير وعملوا على محاربة اليونانيين ومقارعتهم.

ثم حضرت وفاة متثيا فاستدعى أولاده وكانوا خمسة فقال لهم يا بُنيَّ قد رأيتم معونة الله عزّ وجلّ لنا لما توجهنا إليهِ بقلوبنا وسألناه والتجأنا إليهِ وطلبنا منهُ المعونة فى نصرة دينهِ ومجاهدة أعدائهِ ولابد من أن يحدث فى بلاد اليهودية بسبب ذلك حروب عظيمة وتهيج قتالات كثيرة وأنا أوصيكم بطاعة الله عزّ وجلّ والانتصار لدينهِ وأمته فابذلوا كل ما فى وسعكم فى مجاهدة أعداء ديانتكم ولا تخافوا فانكم إن فاتتكم الحياة وقتلتم فى مجاهدة الأعداء ومكافحة الكفار ونصرة الحق لحقتم بآبائكم الأبرار الذين صاروا إلى ثواب الله وكرامته . وإن ظفرتم فقد اسعدكم الله فى الدنيا والآخرة بما أجراه الله تعالى على أيديكم من نصر دينه وإغاثة أمتهِ وهلاك أعدائهِ . ثم توفى متثيا وولى الأمر بعدهُ يهوذا إبنهُ. وقد توفى متثيا فى قرية مودين التى بجوار اللد سنة ١٦٦ق.م.

(أخبار يهوذا بن متثيا وهو الثانى من المكابيين بنى حشمناى)
(١٦٦ ـ ١٦٠ ق.م)

ولما استكمل متثيا (متتياس) حياتهُ قبل بنوهُ وصيتهُ وقدَّموا عليهم أخاهم يهوذا واستعدوا متهيئين لمحاربة اليونانيين، فلما بلغ فيلكس صاحب انتيوخوس خبرهم وجه إليهم بعسكره فهزموه، وقوى يهوذا وشاع خبره وبلغ انتيوخوس الملك كل ما فعله متثيا ويهوذا إبنهُ، وبلغه أيضاً أن الفرس قد عصوه، فغضب وسار إلى الفرس وحاربهم واستخلف إبنهُ افطر فى مكدونية وجعل معهُ رجلاً من عظماء أهل بيته يقال لهُ ليشاوس ورد إليهِ نفراً من أهل مملكته وأمرهُ أن يوجه إلى اليهودية عسكراً قوياً ويأمره باستئصالهم . فقبل ليشاوس ما أمرهُ بهِ انتيوخوس ووجه إلى اليهود ثلاثة قواد من عظماء اليونانيين اسم أحدهم نيكاتور واسم الثانى تلمياس والثالث هيرودس ووجه معهم ثلاثة جيوش أقوياء وأمرهم بإبادة اليهود . فسارت القواد فى عساكرهم وإنضم اليهم كثير من أهل بلد الشام ومن سكان بلد فلسطين، وتبعتهم تجار كثيرون ليشتروا ما يحصل لهم من سبى اليهود وغنيمة يتوقعونها منهم . فلما وصل خبرهم ليهوذا بن متثيا وشيوخ اليهود وعرفائهم اجتمعوا فى بيت الله وأمروا جميع الناس وانذروهم

بالصوم والصلاة، فصاموا وصلوا وتعفروا بالرماد وصرخوا إلى الله وسألوه طـالبين أن ينصرهم على أعدائهم ويكفيهم أمرهم . ثم جمع يهوذا أصحابهِ ورتبهم وجعل على كل الف مقدما وعلى كل مئة رئيسا وكذلك على كل خمسين وعلى كل عشرة ثم نادى فيهم بأن يرجع كل جبان القلب، فرجع منهم بعضهم وبقى نحو سبعة آلاف رجل جبابرة صناديد، فسار بهم إلى عسكر اليونانيين فلما أشرف عليهم ورأى كثرتهم انفرد عن أصحابهِ والقى على الأرض ذاته قدام الله وقال أيها الرب العظيم أنت الذى لم يزل سلطانك ولا يزول وأنت القادر على أن تنصر من تشاء أسألك أن تعين عبيدك الضعفاء وتهب لنا نصراً على الأعداء وتخلصنا منهم . فلما فرغ يهوذا من دعائهِ أمر الكهنة بأن يضربوا بأبواق القدس وأمر أصحابهِ فصاحوا صياحا مفرطا. ثم هجموا على عساكر نيكاتور فنصرهم الله عليهم وهزموهم وأبادوا كثيراً منهم قتلا وهرب من تبقى منهم، فتبعهم يهوذا وأصحابهُ فقتلوهم وغنموا كل ما كان معهم وسلبوا أموال التجار الذين كانوا قد تبعوهم لشراء سبى اليهود كما ظنوا وقدّروا فعكس الله ظنونهم، وأما يهوذا فقسم جميع الغنيمة وأعطى الفقراء والمساكين. ولما فرغ يهوذا من قتل عسكر نيكانور لقى عسكر تلمياس وهيرودس فقتلهم أيضاً وكان معهم فيلكس الذى كان استخلفه انتيوخوس على بلاد اليهود فهرب إلى قرية ودخل إلى بيت فيها وأغلق بابه فجاء يهوذا وأحرق البيت بالنار فاحترق فيلكس وعجل الله عليهِ ببعض ما يستحقه من العقوبة بما فعله مع العازر الكاهن وغيره ممن قتله من اليهود . وأما نيكاتور فهرب متنكرا وعاد إلى مكدونية واخبر ليشاوس ما أصابه وما أصاب أصحابهِ.

أسباب هزيمة بنى حشمناى أولاً:

قال صاحب الكتاب أن اليونانيين كانوا غلبوا اليهود فى ابتداء هذه الحرب وقتلوا جماعة من بنى حشمناى الكهنة أصحاب يهوذا .ثم ترأف الله بحنوه على يهوذا وذويه ورزقهم الظفر على اليونانيين فهزموهم . فلما انقضت الحرب عاد اليهود إلى دفن من قتل منهم فوجدوا مع بعض من قتل من القوم من بنى حشمناى أوثانا قد أخذوها وأخفوها تحت ثيابهم رغبة فى ما عليها من الذهب والفضة. فلما نظرها يهوذا علم حينئذ أن هذا كان السبب فى تمكن أعدائهم منهم حتى قتلوهم وغلبوهم . وعند ذلك سبح يهوذا الله قائلا مبارك هو الهنا عالم السرائر الذى أظهر السر وكشفه لعبيده ليعتبروا بهِ ويحذروا من معصية الله . ثم وعظ يهوذا أصحابهِ وتقدم اليهم بدحض الرذائل المختصة بالأمم وإزالة كل ما يكرهه الرب وأمرهم بطاعة الله عزّ وجلّ وأن تكون عبادتهم بطهارة واخلاص، وحذرهم من ممارسة الخطايا والمعاصى وندب القوم المقتولين لأن هذا سبب تخلية الله عنهم، وكان مغموما بسببهم. ولما ظفر الظفر المشهور وأباد الله أمام عينيه نيكاتور عاد إلى أورشليم مؤيدا منصورا فتلقاه أهل أورشليم بالطرب والابتهاج والسرور.

(ذكر موت انتيوخوس إبيفانس وما صب الله عليهِ من اللواذع والمناخز) (فى سنة ١٦٤ ق.م)

وأما انتيوخوس فلما توجه إلى محاربة العجم تلقوه بعسكر عظيم فظفرهم الله بهِ فانهزم وعاد مقهوراً طالبا بلاده منكوبا فبلغه فعل اليهود بأصحابهِ فشق عليهِ ذلك واشتد غضبه على اليهود وتكلم بما عظم من الكفر والتجديف على ديانة الله وأظهر التكبر والتيه والتجبر . ثم سار فى عسكر عظيم قاصدا اليهود ليهلكهم فاطّلع الله تعالى على سوءٍ نيتهِ فأذن بهلاكه لتخلص منهُ أمتهُ وضربه بقرحة عظيمة فى جسده ومرض شديد فلم يعتبر ولا توقف عن الجدّ فى المسير نحو اليهود، وكان مرضه يزيد كل يوم ويعظم إلى أن نتنت قروحه وزاد نتنها حتى تأذى بروائحها الكريهة هو نفسهُ وكل المقتربين إليهِ وجميع المحبّين من أصحابهِ وخواصه وخدامه، فلما اشتد مرضه وعظم بلاؤهُ وتعذر عليهِ شفاء دائه ولم ينفعه دواء ولا طبيب أيقن أن ذلك من الله عزّ وجلّ وأنها عقوبة لهُ على كفره وطغيانه وظلمة، فخضع حينئذ لله وذل واعترف بنقصه وجهله وأقر بذنبه ووزره لله وتيقن قدرة الله تعالى جل ذكرهُ وعظمته وربوبيتهُ . وقال لقد كنت فى ضلال عظيم وخداع جسيم وطغيان ذميم وأما الآن فقد أيقنت أن الله هو الاله الحق القادر على أن يضع من ترفع ويذلّ من تكبر . وقد علمت إنى مستحق لما نزل بى ومستوجب لسخط الله وعقوبته لأنى كفرت بهِ وظلمت عبيده . ثم أقبل يتضرع إلى الله سبحانهُ ويقول اللهمّ اقلنى عثرتى واقبل توبتى وتفضل علىّ بعافيتى وأنا أشهدك على نفسى إنى لا أعود إلى شئ تكرهه وأن أحسن إلى اليهود أمّتك كما أسات اليهم وأملأ بيوت قدسك وخزائنه ذهبا وفضة وأفرش مدينة أورشليم بالديباج والحرير وأكون داعيا الخلق إلى عبادتك والاقرار بربوبيتك ووحدانيتك، فلم يستجب الله دعاءه بل شدد عليهِ الاوجاع وزاده أمراضا حتى تقرحت أحشاؤه وتساقط لحمه ثم مات أشر ميتة ودفن فى طريقه وتملك بعدهُ إبنهُ افطر وسمى انتيوخوس كإسم أبيهِ الهالك.

(ذكر الحنكة الثمينة ومن كان السبب فيها) ١٦٤ ق.م (١مك٤ : ٥٢-٥٩)

ولما فرغ يهوذا من محاربة نيكاتور وتلمياس وهيرودس عاد إلى أورشليم فهدم جميع المذابح التى كان المارد انتيوخوس أمر باقامتها وأزال جميع الأوثان والرذائل من المقدس وكل ما أبدعهُ اليونانيون فيهِ مما يكرهه الله تعالى، وأمر بتطهير القدس وتنظيفه لأن انتيوخوس كان قد أمر بأن يضحى فيهِ بالخنازير ونجس بها الموضع الطاهر ونثر لحومها فى كل موضع منهُ . ولما فرغوا من تطهير القدس ابتنوا مذبحا جديدا وجعلوا عليهِ حطبا وذبائح مطهره، ثم صلّوا ضارعين وسائلين الله عزّ وجلّ أن يظهر لهم نارا على المذبح فتحنن الله عليهم واستجاب ابتهالهم فأظهر لهم

نارا من حجارة المذبح بقوته الغزيرة فاحرقت الحطب والقرابين ثم لبثت باقيـة لـم تنطفئ منذ ذلك الوقت إلى أن خرب القدس فى المرة الثانية . ثم صنعت الايمة انكانيا أي تجديد المذبح الجديد ثمانية أيام وهو عيد الحنكة أو (حنوكا) أي عيد التجديد، وأولهُ اليوم الخامس والعشرون من شهر كسلو وكانوا فى كل يـوم مـن الثمانيـة الأيـام يجتمعون للصلاة والتسبيح والشكر لله عزَّ وجلَّ على ما أنعم بهِ عليهم وجعلوا ذلـك رسما باقيا فى كل سنةٍ، وسنّة ثابتة إلى هذا اليوم.

(ذكر مجئ ليشاوس إلى اليهود ومحاربته لهم)
(ابن عم افطر الملك وصاحب جيشه)

فلما بلغ افطر ابن انتيوخوس ما فعل اليهود بأصحابهِ وجه بابن عمهِ ليشاوس حتى نزل على مدينة من مدن اليهود يقال لها بيت بير فحاصرها وضيق على أهلها . فلما بلغ يهوذا خبرهُ أمر أصحابهِ بالصوم والصلاة وسأل الله النـصر علـى أعدائـهِ والمعونة، ثم تقدم مع أصحابهِ للقاء عسكر اليونانيين، فلما أشرفوا عليهم ورأوا كثرتهم اشتد خوفهم منهم فنظر يهوذا شخصا راكبا فرسا من نار وعليه لباس يلمع كالـذهب وبيده رمح وهو متوجه إلى عسكر اليونانيين كأنهُ يحاربهم، فعلم يهودا أنـهُ مـلاك مرسل من الله لينصره فقوى قلبه وقلوب من معهُ بذلك وهجموا على عسكر اليونانيين بالليل فقتلوا جماعة منهم وأوقع الله فى قلوبهم الخوف والرعـب فـانهزموا وهـرب ليشاوس والتجأ إلى موضع ليتحصن بهِ . ثم أرسل إلى يهوذا يطلب الصلح ويضمن لهُ أن اليونانيين لا يعودون يغزون اليهود ولا يعارضونهم بشئ من أمر ديـنهم فأجابـهُ يهوذا إلى ذلك إذا رضى بهِ الملك افطر. فكتب ليشاوس إلى افطر كتابا بمـا جـرى ويعرِّفه ما شاهده من شدة بأس اليهود وبسالتهم فى الدفاع عن دينهم وبلدتهم وتحقـق عندهُ أنهم لا يستطيعون محاربته وأنهُ إن حاربهم أفنوا عسكره ويرى عظم المنفعـه والمصلحة فى مسالمتهم ومصالحتهم ويوضح لهُ ما جرى بينه وبـين يهـوذا مـن الموافقة ويستعلم رأيهُ ويشير عليهِ أن يتم الصلح مع اليهود وهو أيضاً يعاهدهم علـى طاعتهِ ويضمن لهم عنهُ أنهم لا يعارضون فى شئ من دينهم. وكتب أيضاً إلى يهوذا وإلى روساء اليهود بمثل ذلك وعاهدهم عليهِ فتم الصلح بينهم وبقى الأمر على ذلـك واطمأن اليهود فى تلك المدة . ثم اشتغل يهوذا بالنظر فى مصالح اليهـود وتـدبير أمورهم.

(ذكر ابتداء قوة الروم)
(١٦٣ ق . م)

وفى ذلك الحين ابتدأ أمر الروم يعلو ويقوى ليتم ما قالهُ النبى دانيال فى أمـر المملكة الرابعة وعظم سلطانها وكذلك كان لأن الروم ظفروا بملك اليونانيين مع عظم شأنهُ وبملك إفريقية مع جلالته وقوة أمرهُ وغلبوا كل الأمم العظيمة والممالك القويـة.

ولتوضيح قوة الروم وإنتصارهم على ملك إفريقية ما يأتى:

أنهُ كان ببلاد إفريقية ملك عظيم الشأن كثير الجنود والعساكر يقال لهُ انبيل وكان مقيما بقرطاجنة مدينة مملكته، وكان قد غزا امماً كثيرة فقهرهم واستولى عليهم . ثـم أراد بعد ذلك أن يأخذ بلاد الروم فسار اليهم بعساكره ونزلوا بأرض ايطاليا فخـرج إليـهِ الروم ليحاربوه واستمرت الحروب بينهم عشر سنين، فهلك من الـروم خلـق كثيـر وقهرهم انبيل واستباح ديارهم ثم جاء إلى مدينة رومية ونزل عليها وحاصرها وبنى لهُ ولأصحابه منازل وعمل على أن يقيم على المدينة إلى أن يفتحهـا . فلمـا طـال الحصار على أهل رومية ونالت منهم الشدائد أعظم منال عملوا علـى أن يـصالحوه ويقبلوا أمرهُ وكان برومية رجل يقال لهُ سفناو ذو عقل ورأى وشجاعة . فلما وقـف على ما عزم عليهِ أهل رومية من طاعة انبيل والخضوع لهُ كره ذلك ولم تشأه نفـسهِ فمضى إلى صاحب رومية الذى يسمى الشيخ وإلى الثلث مئة والعـشرين المـدبرين الذين معهُ . فقال لهم كيف رضيتم لأنفسكم أن تخضعوا لانبيل وتدخلوا تحـت أمـرهُ وحكمه. أجابوه قائلين فما الذى تصنع وليس لنا قدرة على مقاومته ولا طاقة لنا بهِ وقد أشرفنا على لهلاك . فقال سفناو الرأى عندى أن تتوقفوا عن ذلك وتضموا إلىَّ عسكراً من مختارى الرجال الذين معكم حتى أمضى إلى إفريقية وآخذها لأنها قد خلت مـن رجال الحرب لأنهم كلهم مع انبيل وأنا أعلم أن انبيل إذا بلغه إنـى أخـذت إفريقيـة ينصرف عنكم موليا ولا يثبت فتستريحون منهُ فاستصوبوا رأيهُ . ثم ضموا إليهِ ثلاثين الف رجل، فخرج من رومية سرا ومضى إلى إفريقية فدخل اليها وظفـر باسـترويل أخى انبيل فقتلهُ وأخذ رأسهُ وعاد ظافراً إلى رومية ولما دخلها صـعد إلـى الـسور فصاح يا انبيل وأخبره بما صنع ببلدته وإنهُ قد إجتاح مدينته وأباد أهلهُ وحرمـهُ ثـم طرح لهُ رأس استرويل أخيهن فلما نظره تحقق الأمر وعرف رأس أخيهِ وبكى عليهِ واشتد حزنه على أحب الناس إليهِ وازداد غيظه على الروم وحلف أنهُ لا ينتقل عـن مدينة رومية حتى يملكها . ثم أن سفناو عاد بعسكره إلى بلد إفريقيـة ونـزل علـى قرطاجنة مدينة انبيل فحاصرها وضيق عليها وعلى أهلها، فكتبوا إلى انبيل يعلمونـه بذلك ويخبرونه أنهم لا قوة لهم مقابل سفناو وإنهم يضعفون عن محاربته وإنهـم إن تأخر عنهم فتحوا لهُ المدينة وسلموها لهُ . فلما وقف انبيل على كتابهم قلق من ذلـك فجمع من سباهم من الروم فى مدة حصارة بلدة رومية وايطاليا فقتلهم جميعا وانثنـى راحلا عن رومية . ثم ركب فى البحر نحو إفريقية فالتقاه سفناو ولما حاربهُ انهـزم انبيل وفر هاربا إلى بلد القبط فتبعه سفناو وأخذه أسيرا ورجع إلى إفريقية وهو معهُ. ولكن لم يرض انبيل أن يبصره أهل إفريقية مأسوراً مع سفناو وعلى تلك الحال السيئة

فقتل نفسهِ . وأما سفناوو فظفر بكل بلد إفريقية وتسلم مملكة انبيل ونعمه وارتفع قدره بذلك وعظم شأن الروم وقوى أمرهم مذ ذلك الحين إلى اليوم.

(نسخة كتاب كتبه الروم إلى يهوذا ابن متثيا والعهد الذى عاهدوهُ بهِ)

من الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين الذين معهُ إلى يهوذا بن متثيا صاحب ولاية جميع اليهود سلام عليكم: قد بلغنا ما أنتم عليهِ من شدة البأس والشجاعة والقيام فى الحروب فسرّنا ذلك ورغبنا أن تكونوا معنا وأصحاباً لنا، وقد بلغنا ما وافقكم عليهِ انتيوخوس ملك اليونانيين لأنهم قد كانوا أساءوا اليكم فلا تشكوا ولا ترتابوا فينا فنحن خير لكم من اليونانيين لأنهم جاروا عليكم وأكثروا من ظلمكم وقد عملنا على المسير إلى انطاكية لمحاربة من فيها من اليونانيين وقد أردنا أن نعلم منكم مع من تختارون أن تكونوا لنعمل بحسب ذلك . **وهذه نسخة العهد**

"هذا عهد الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ كتبه ليهوذا بن متثيا رئيس الحرب ولجميع اليهود على أنهم ينضمّون إلى الروم ويكونون أصحابا لهم دون غيرهم ويتعاونون جميعا فى البر والبحر وينصر بعضهم بعضا. فمتى كان للروم حرب عاونهم يهوذا وقومه على أعدائهم ولا يعاونون أبداً عدواً للحرب عليهم بشئ من الأشياء من السلاح أو الطعام ولا بغير ذلك مما يستعان بهِ، ومتى كان لليهود حرب أعانهم الروم بحسب طاقتهم وكل ما يلتمسه الروم من اليهود ويطلبونه منهم فمثله لليهود على الروم بلا زيادة ولا نقصان، وبذلك أمر الشيخ والثلث مئة والعشرين المدبرين معهُ. فقبل ذلك يهوذا وقومهُ وتم العهد ودام بينهم وبين الروم مدة طويلة".

(ذكر وقعة كانت بين يهوذا وتلمياس وهيرودس)

ثم أن تلمياس حشد مئة وعشرين الف رجل والف فارس وقصدوا يهوذا فلقيهُ يهوذا فى عشرة آلاف فهزمه وقتل من رجال تلمياس عدداً كثيراً وضرع تلمياس إلى يهوذا وسأله أن يستبقيه وحلف لهُ أنهُ لا يحاربهُ أبدا وإنهُ يحسن إلى اليهود الذين فى سائر أعماله، ورحمه يهوذا وإستبقاه وأوفى تلمياس بيمينهِ. وجمع هيرودس ثلاث آلاف رجل من جبل الشراه وأربع مئة فارس ولقى يهوذا وأصحابه فانهزم هيرودس وتم قتل أكثر رجاله. وهرب هيرودس ولم يعرف لهُ خبر وقيل أنهُ قتل فى الحرب.

(ذكر نقض افطر بن انتيوخوس اليونانى العهد ومحاربته لهم)
(العهد الذى كان بينه وبين اليهود)

فلما علم افطر بقوة أمر اليهود. وإن يهوذا قد عاهد الروم وفسخ عهده مع اليونانيين ساءَهُ ذلك وعظم عليهِ ونقض ما كان بينه وبين اليهود من المواثيق والعهود، وسار هو وليشاوس ابن عمهِ فى جيش عظيم إلى بلد اليهوديه فنزلوا على بيت بيسر، فلما بلغ يهوذا خبرهم جمع أصحابهِ وسائر شيوخ الأمةِ ومقدميها فصاموا وصلوا وقرَّبوا لله قرابين كثيرة، ثم ساروا إلى اليونانيين فحاربوهم، فنصرهم الله عليهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً نحو أربعة آلاف وكان إنتصاره هذا ليلاً . ثم عاد إلى معسكره إلى أن أضاء الصبح فاصطف حينئذ الفريقان وقوى القتال فيما بينهما، فنظر يهوذا إلى بعض الفيلة وعليه تفاح من ذهب فأعتقد أن الملك راكب عليهِ، فنادى فى رجاله وقال من منكم يبرز فيقتل هذا الفيل، فبرز فتى واحد من أهل بيته يقال لهُ العازر فهجم على المصاف وبدا يقتل فيهم من عن يمينه ويساره، فتنحى الناس من بين يديه وسار إلى أن انتهى إلى ذلك الفيل فدخل تحته وشق بطنه وسقط الفيل عليهِ فقتله فلما رأى الملك ذلك أمر بأن ترفع الحرب فرفعت وكان جملة عدد من قتل فى ذلك اليوم من وجوه العسكر ثمان مئة رجل عدا من قتل من عامة العسكر ومن قتل بالليل . وورد إلى الملك افطر من أخبره فى ذلك الوقت بأن رجلاً من أصحابهِ يقال لهُ فيلكس قد عصى عليهِ وأعلمه أيضاً أن ديمتريوس بن سلفانوس الرومى خارج من رومية يريد بلاده فعظم ذلك عليهِ واشتد خوفهُ فأرسل إلى يهوذا فعاهده افطر وليشاوس وحلفا لهُ أنهما لا يحاربانهُ أبداً ولا يعودان إلى أورشليم لحرب. وحمل افطر إلى بيت الله مالاً كثيراً . ثم انصرف عن بلدة اليهودية راجعا إلى مكدونية وعاد يهوذا إلى أورشليم وزاد فيما كان عليهِ من حسن السيرة والعدل والنظر فى مصالح الأمةِ.

إن السبب فى نقض العهد من افطر فيما بينهُ وبين اليهود هو أن نيلاوس أحد الأشرار الثلاثة الذين ذكرنا فيما تقدم أنهم كانوا مضوا إلى انتيوخوس الأول وسعوا باليهود، مضى أيضاً إلى افطر فسعى إليهِ وحمله على نقض العهد الذى كان بينه وبينهم وأشار عليهِ بمحاربتهم . فلما كان من افطر ما كان وتم الصلح بينه وبين يهوذا ندم على ما فعله من نقض العهد فاغتاظ على نيلاوس الساعى وأمر بهِ فربطت يداه ورجلاه وصعد بهِ إلى مكان شامخ فرُمىَ، فهلك أشر هلاك وعجل الله بهِ العقوبة فى الدنيا باليسير مما يستوجبهُ مكافاة لأعماله القبيحة وبإنحدار نفسهِ إلى الهاوية . وانما أراد الملك بهذا أن يسرَّ أهل يهوذا، وكان هذا الرجل من كبار أعدائهم ومن قتل منهم الخلق الكثير.

(ذكر خروج ديمتريوس بن سلفانوس الرومى من رومية وقتله افطر)
(وقدوم صاحبهِ نيكاتور إلى أورشليم)

فلما عاد افطر إلى مكدونية خرج إليهِ ديمتريوس بن سلفانوس من رومية بعسكر عظيم ليحاربه فإنهزم افطر وظفر بهِ ديمتريوس فقتله وقتل ابن عمهِ ليشاوس . ثم سار إلى مدينة انطاكية ففتحها وأقام بها، فمضى القيموس وهو أحد أولئك الثلاثة الأشرار السعاة الذين تقدم ذكرهم، فلقى ديمتريوس والقى نفسهِ بين يديه باكياً وقائلاً أن يهوذا وأصحابه قد قتلوا منا خلائق كثيرة وشردونا عن أوطاننا وأساءوا الينا من أجل أننا خالفنا دينهم وصرنا معكم. وقد قصدتك أيها الملك لتأخذ بحقنا منهم وتعيننا عليهم، وسعى باليهود عند ديمتريوس بأشياء كثيرة وتكلم فيهم بما أوغر صدر ديمتريوس وأغلظه عليهم ومكن فى نفسهِ أنهم يبغضونه ويعادونه . فوجه ديمتريوس قائدا من قواده يقال لهُ نيكاتور إلى أورشليم وأمرهُ بالقبض على يهوذا فجاء نيكاتور ونزل بقرب المدينة وأرسل إلى يهوذا بالجميل والتودد يسأله أن يصير إليهِ ولم يظهر لهُ شيئاً مما فى نفسهِ عليهِ فخرج يهوذا بجماعة من أصحابهِ وهم مستعدون إلى نيكاتور فلقيهم نيكاتور بالجميل والإكرام وانصرف يهوذا ولم يتم لنيكاتور ما أراده من القبض عليهِ . ثم اجتمعا بعد ذلك فتصادقا وتصافيا ودخل نيكاتور مع يهوذا إلى أورشليم وأقام بها، وتأكدت المودة والمحبة بينه وبين يهوذا. فلما علم القيموس الساعى بذلك ورأى أن تدبيره على يهوذا لم يتم عاد إلى انطاكيه ولقى ديمتريوس وجدد السعاية بيهوذا وأخبره أن نيكاتور لم يفعل ما أمرهُ بهِ من القبض عليهِ، فغضب ديمتريوس وكتب إلى نيكاتور آخذاً عليهِ مخالفته لأمرهِ، ويأمره أن يقبض على يهوذا ويحمله إليهِ مقيدا ويتوعده بالقتل إن لم يفعل . فوقف يهوذا على الخبر قبل أن يصل إلى نيكاتور فخرج من المدينة وأظهر على نفسهِ أنهُ يريد أن يمضى إلى محاربة قوم قد خالفوه . ثم مضى إلى سبسطية فأقام بها ولم يعلم نيكاتور بذلك . فلما وصل كتاب ديمتريوس إلى نيكاتور طلب يهوذا فلم يجده ولم يعلم لهُ خبراً وظن أنهُ قد استتر فى القدس فدخل إلى القدس وطالب الكهنة باحضاره فأخبروه أنهُ لم يجئ إلى القدس وإنهم لا علم لهم بمكانهِ، فغضب نيكاتور وأجابهم بأقبح جواب مفتريا بأعظم جسارةٍ عليهم وعلى قدس الله، وبصق نحو الهيكل وتوعدهم بهدمه . ثم خرج من الهيكل متنمرا كالأسد وأمر أصحابهِ أن يدخلوا إلى منازل اليهود الذين فى أورشليم ويفتشوا على يهوذا باستقصاء، فجرى على الناس منهم أذى شديد ومكروه، فلما بلغ يهوذا ما فعله نيكاتور وجه إليهِ رسالةً يقول لهُ فيها لا تطلبنى فى المدينة فما أنا فيها . فإن كنت تشاء لقاءى فأخرج حتى نلتقى، فسار نيكاتور بعسكره إلى يهوذا وزاد فيما كان يتكلم بهِ من الكفر بنعمة الله عزَّ وجلَّ والثلب لدينهِ ولقدسه . فلما سمع يهوذا كلامه بعدما كان قد بلغه ما فعله بأورشليم وما تكلم بهِ اشتعلت فيهِ نار الحمية لله عزَّ وجلَّ والتعصب لدينهِ فتضرع إلى الله سبحانهُ وتعالى ودعا وقال يارب أنت الذى أهلكت جيش سنحاريب الكثير العدد من أجل ما تكلم أصحابهِ على أنهم لم يدخلوا إلى بيتك

ولم يتوطأوا أقداسك فأنا أتوسل إليك يارب أن تهلك هذا العدو الكافر الذى بدل مقدسك ونكب ديانتك فاظهر أيها السيد فيهِ نقمتك وعاجلهُ بغضبك.
ثم أن يهوذا لاقى نيكاتور فحاربهُ فانهزم نيكاتور قدامهُ فظفر بهِ يهوذا وقتله وأباد أكثر رجاله وهرب الباقون، فتبعهم يهوذا وأصحابهُ وخرج اليهود من الضياع والقرى فأفنوهم. فعاد يهوذا وأصحابهُ إلى أورشليم بأعظم مسرة وأكثر إبتهاج وهم يسبحون الله تعالى ويكثرون من شكره على إنعامهِ واحسانهِ، ورسموا بأن يكون ذلك اليوم يوم تعييد وفرح وسرور وشكر لله عزَّ وجلَّ على ممر السنين وهو اليوم الثالث عشر من آذار وأمر يهوذا أن يطلب رأس نيكاتور وذراعاه اللذان مدهما إلى الهيكل لما دخل إلى القدس وتكلم بما تكلم بهِ من الافتراء على ديانة الله القويمة وعلقهما بإزاء باب القدس ولقب ذلك الباب باب نيكاتور.

(ذكر قتل يهوذا بن متثيا)
(١٦٠ ق٠م)

وفى العام التالى بعد قتل نيكاتور جاء قائد من قواد الروم يقال لهُ نيكيروس ومعهُ عسكر فيهِ ثلاثون الف رجل لمحاربة يهوذا فلقيهُ وهو فى قرية يقال لها لانس ولم يكن معهُ سوى ثلاث آلاف فارس،الذين لما رأوا كثرة عسكر نيكيروس هرب أكثرهم حتى لم يبق معهُ سوى ثمانى مئة رجل وأخويهِ شمعون ويوناثان. فخرجوا لمحاربة نيكيروس وكان نيكيروس قد قسم عسكره فجعل نصفهُ معهُ ونصفهُ الآخر مع أصحابهِ فى جهة أخرى ولقيهم نيكيروس فى نصف العسكر الذى معهُ فهزمهم يهوذا ومضى نيكيروس هارباً إلى ازدود فتبعهم يهوذا ولم يعلم أن نصف العسكر الذى لنيكيروس قد كمن لهُ . فلما صار بقرب ازدود أقبل إليهِ نصف العسكر من الجهة الأخرى التى كانوا قد كمنوا فيها . وخرج نيكيروس من ازدود مع الباقين من أصحابهِ فأطبقوا على يهوذا وكانت بينهم ملاحمة شديدة وحرب عظيمة قتل فيها من الفريقين خلق كثير كان فى جملتهم يهوذا فحمله أصحابهِ وأخواه شمعون ويوناثان ودفنوه إلى جانب قبر أبيهِ متثيا وبكى عليهِ بنو اسرائيل أياما كثيرة وكانت مدة ولايتهِ سبع سنين وولى بعدهُ أخوه يوناثان.


أنطيوخوس الخامس أوباطور
١٦٤ - ١٦٢ ق.م


ديميتريوس الثانى


الإسكندر بالاس

(خبر يوناثان بن متثيا وهو الثالث من بنى حشمناى المكابيين الغيورين)
(١٦٠ ــ ١٤٣ ق . م)

فلما انقضت حيوة يهوذا بحروب الأعداء على اليهود مضى يوناثان فى نفر يسير نحو الأردن وأقام هناك فتبعه نيكيروس . فلما علم بمجيئه إليهِ عبر الجانب الآخر من النهر وجاء إلى بئر سبع فتحصن هناك. فجاء نيكيروس بعسكره وحاصره فلما اشتد عليهِ الحصار خرج ليلا ومن معهُ إلى عسكر نيكيروس بعسكره وحاصره فاضطرب جيش نيكيروس وأوقع الله الرعب فى قلوبهم فانهزموا وانهزم نيكيروس هاربا فى نفر يسير فتبعه يوناثان وظفر بهِ وهم بقتله فسأله نيكيروس أن يعفو عنهُ وحلف لهُ أنهُ لا يعود إلى محاربته أبداً وإنهُ يسرح سبيل جميع من معهُ من سبى اليهود ويحسن اليهم فأطلقه يوناثان ووفى لهُ أيضاً نيكيروس بقوله وأطلق السبى وفعل معهم معروفاً ثم مات يوناثان بعد مدة يسيرة وتولى الأمر بعدهُ أخوهُ شمعون أو الملقب سمعان.

(خبر شمعون بن متثيا وهو الرابع من ولاة المكابيين بنى حشمناى)
(١٤٣ ــ ١٣٤ ق . م)

فلما ولى شمعون (أو سمعان) بن متثيا (أو متتياس) بعد أخيهِ اجتمع إليهِ من بقى من عسكر يهوذا فقوى بهم ثم غزا جميع من ظاهر آل يهوذا بالعداوة بعد قتل يهوذا وأوقع بهم المكروه، وكل ما يضطرهم إلى الطاعة والزمهم بالخضوع لليهود عنفا. ثم أنهُ أجمل السيرة وأحسن التصرف فى قومهِ وساسهم أجود سياسة فانتظم أمرهُ واستقام حال الأمةِ بهِ. فوجه إليهِ ديمتريوس بن سلفانوس الذى كان مقيما بانطاكيا (وهو يسمى انتيوخوس أيضاً) عسكرا لمحاربته فخرج إليهِ شمعون وقسم عسكره قسمين وجعل أحدهما مع إبنيهِ وأمرهما أن يوافيا العسكر من جهة أخرى فى وقت ذكرهُ لهم، ولقى شمعون عسكر ديمتريوس فحاربهُ . فلما اشتد الحرب بينهما وافى إبنا شمعون ونصف العسكر الذى معهما من الجهة الأخرى فاطبقوا عليهم وصاروا فى وسط العسكر الذى معهما من الجهة الأخرى فأطبقوا عليهم وصاروا فى وسط العسكرين فلم ينج منهم إلا قليل، فانهزم من بقى منهم ولم يعاود انتيوخوس بعد ذلك إلى محاربة اليهود واطمأن العبرانيون فى أيام شمعون وسكن روعهم وكانت مدة ولايته ثمان سنين . ثم وثب عليهِ صهره ويسمى تلماى فى دعوة كانوا فيها فقتله وقبض على إمرأته وإبنيه . وولى الأمر بعد شمعون هركانوس إبنهُ وكان اسمهُ يوحانان وكان قد قتل فى حياة أبيهِ فى بعض الحروب رجلاً جباراً يقال لهُ هركانوس فسماه أبوه باسم ذلك الرجل لأنهُ شبه بهِ فى قوتهِ وبأسهِ وشجاعتهِ.

(خبر هركانوس بن شمعون وهو الخامس من ولاة بنى حشمناى)
(وأول من سمى من المكابيين ملكاً)
(١٣٤ ــ ١٠٤ ق . م)

فلما علم هركانوس بن شمعون (أو يوحنا هركانوس بن سمعان) بما فعلــه تلماى من قتل أبيهِ والقبض على أمهِ وإخوتهِ خاف منهُ فهرب إلى غزة فتبعه تلمــاى ليقتله فدافع عنهُ أهل غزة وقاتلوا تلماى، فمضى تلماى إلى داجون وأقام بها ومعهُ أم هركانوس وإخوتهِ . فلما انصرف تلماى عن غزة عاد هركانوس إلى أورشليم وولى موضع أبيهِ، فلما انتظم أمرهُ واجتمع إليهِ عسكر أبيهِ سار إلى تلماى زوج أختهِ وهو فى داجون فلما حاصره وجدً فى هدم السور، خاف تلماى أن يفتح المدينة فأصــعد أم هركانوس وإخوتهُ على الحصن وأمر أن يقدموا قدام هركانوس . فلما نظرهم شــفق عليهم وأراد أن ينصرف فنادته أمهُ وقالت لهُ يا إبنى لا يمنعك إشفاقك علــىً وعلــى إخوتك من أن تأخذ ثأر أبيك وتقتل قاتله وأقض حق أبيك وحقى وتمم ما أنت فيهِ من هدم السور، ولا تتأخر حتى تكمل عزمك، وذلك أن ما تخافه علينا وتخشاه من هــذا الظالم لابد أن يفعله بنا على كل حال . فلما سمع هركانوس كلام والدته جد فى القتال فأمر تلماى بالزيادة فى عذاب أمهِ وإخوتهِ وحلف أن يلقيهم من أعلى الحـصن إلــى الأرض إن لم يكف عن قتاله فكره هركانوس أن يكون هو سبب قتلهم فكف عن قتاله ثم حضر فى أثناء ذلك عيد المظال فعاد هركانوس إلى أورشليم ليحضر العيد فلما علم تلماى أنهُ قد بعد عنهُ قتل أمهِ وإخوتهِ وهرب إلى بلد بعيد.

وكان ديمتريوس بن سلفانوس المسمى انتيوخوس يحقد على شمعون بن متثيا لأنهُ قتل قواده وأصحابهُ فلما بلغه أن شمعون قد قُتل، سار إلى مدينة أورشــليم فــى عسكر عظيم لمحاربة العبرانيين . وكان ذلك فى السنة الرابعة من مُلكهِ وهى الــسنة الأولى من تولى هركانوس، ونزل هركانوس على المدينة إلى تلك الثغرة فوقفوا عليها ومنعوا أصحاب ديمتريوس من الدخول وخرج من المدينــة جمــع كثيــر فقــاتلوهم فانصرف ديمتريوس عن المدينة إلى موضع بالقرب منها فأقام فيــهِ. فحـضر عيــد المظال فوجه هركانوس إلى ديمتريوس يسألهُ أن يرفع الحرب إلى أن ينقضى العيــد، فأجابهُ إلى ذلك . ثم قال ديمتريوس قد شئت أن يكون لى نصيب فى هذا العيد فأهدى إلى بيت الله ثوراً حسنا قد غشيت قرونه بالذهب وبعث بآلات كثيرة من فضة وذهب مملوءة من الطيب المصفى، وبعث بأشياء كثيرة من الهدايا، فقبلها الكهنة وأحضروها إلى بيت الله . فلما رأى هركانوس والكهنة توقير ديمتريوس لبيت الله وإكرامه فسألوه فى الصلح فأجابهم إليهِ وجاء إلى المدينة واستقبله هركانوس وعظماء الأمةِ وكبراؤهم بالإجلال والإكرام. وصنع هركانوس لديمتريوس وأصحابهِ صنيعا عظيماً وحمل إليهِ ثلاث مئة بدرة من الذهب وتعاهدوا على المسالمة والمعاونة.

وذكروا أن هركانوس فتح كنزا من الكنوز التى كانت فــى أورشــليم، كــان لبعض الملوك من أولاد داود، فأخذ منهُ ثلاث مئة بدرة ومالاً جزيلاً وترك فيهِ مثلــهُ وردهُ إلى ما كان عليهِ من الخفية. وبنى هركانوس ما كان ديمتريوس قد هدمه مــن

السور وأحكم بنيانهُ . ثم انصرف ديمتريوس عن أورشليم متوجها لمحاربة العجم لأنهم كانوا قد عصوا . ومضى معهُ هركانوس فى عسكرهِ، فلقيهم عسكر العجم فهزمهم لديمتريوس وهركانوس وقتلوا أكثرهم وهرب ملك العجم مع من هرب. وأقام ديمتريوس فى الموضع الذى كانت فيهِ الحرب وبنى فيهِ بيتا عظيماً ليكون تذكاراً لـه فى بلد الفرس.ثم سار ديمتريوس من هناك لمحاربة ملك العجم ولكن فى هذه المرة تخلف عنهُ هركانوس يومين لأن يوم السبت حضر واتفق بعدهُ عيد العنصرة. وقيل أن ديمتريوس عندما إلتقى مع ملك الفرس حدثت بينهما حروب كثيرة وشديدة هلك فيها ديمتريوس وأكثر عسكره. فلما بلغ هركانوس أن ديمتريوس قد هلك عاد إلى الشام ونزل فى طريقه على مدينة حلب ففتحها وأخذ من أهلها الخراج ثم عاد إلى أورشليم. وغزا هركانوس السامرة ففتح نابلس وأخرب الهيكل الذى كان سنبلط السامرى بناه فى طور تربل وهدمه إلى أساسهِ وذلك بعد مئتى سنة قد مضت عليهِ منذ وقت بناءه (وهو الذى تقدم ذكره فى أخبار اسكندر المكدونى) وقتل كهنته . ثم مضى هركانوس إلى بلد آدوم التى هى جبال الشراه بلد العيس ففتح بعض حصونها وأخربها وقتل جماعة منهم . ولما طلبوا منهُ الأمان أمّنهم ووافقهم على خراج يحملونه إليهِ، والزمهم أن يختتنوا ويستشرعوا بما فرفضته التوراة فقبلوا ذلك والتزموه ولم يزالوا متمسكين بهِ إلى أن خربت القدس وتفرقت الأمةِ العبرانية. وغزا هركانوس جميع الأمم الذين يجاورون اليهود فقهرهم وأطاعوهُ جميعهم، فلما استقامت أمور هركانوس وأمن من جميع المنازعين لهُ من الأمم وجّه رسولاً من وجوه أصحابهِ إلى صاحب رومية وكتب إليهِ يسألهُ تجديد العهد بينهم وبينه فلما وصل رسول هركانوس إلى صاحب رومية قبله وأكرمهُ، وأجاب هركانوس إلى ما التمسهُ **وكتب إليهِ كتاباً هذه نسختهُ:**

(نسخة كتاب صاحب رومية إلى هركانوس)

من الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ إلى هركانوس ملك اليهود سلام عليك:

قد وصل كتابك الينا وقرأناه وسرّنا وأبهجنا وقرّت بهِ أعيننا، وسألنا رسولك عن أخبارك وعرفنا لرسلك فضلهم فى المعرفة وأكرمناهم وأمرنا بقضاء حوائجهم وقد أمرنا بأن ترد عليكم جميع المدن التى كان فتحها انتيوخوس. وتقدمنا بمكاتبة من فى جميع أعمالنا باكرام رسلك وإعزازهم ووجهنا معهم رسولنا إليك بكتاب معهُ وحمّلناه رسالة يذكر فيها جميع ذلك بأمر الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ . فلما وصل كتاب الروم إلى هركانوس بتسميته ملك اليهود سُمىَّ ملكاً منذ ذلك الوقت، إذ كان قبل ذلك يسمى الكاهن الأكبر فقط وكذلك من تقدمه من أهل بيته الذين ولّوا أمر اليهود. فاجتمعت لهركانوس منزلتا الكهنوت والمملكة وهو أول من سمى ملكاً على اليهود فى مدة البيت الثانى أعنى منذ عودتهم من سبى بابل. ومضى هركانوس إلى سبسطية وهى مدينة السامرة ففتحها وقتل أهلها وهدم حصنها وأخربها وعظم شأن هركانوس وقوى سلطانه واستقام مُلكهِ واطمأن اليهود فى أيامهِ وأمنوا فى جميع مساكنهم.

(خبر حرب هركانوس مع أهل السامرة)

وسار هركانوس إلى سبسطية وحاصر من بها من السمرة(أهل السامرة) مدة طويلة إلى أن اضطرهم إلى أكل الجيف وهم مع ذلك صابرون لهُ لخوفهم من سيفهِ واعتمادهم على من استنجدوا بهِ من المكدونيين والمصريين، ثم حضر الصوم الكبير الذى يحتاج هركانوس أن يكون فيهِ حاضرا فى أورشليم ليقرب فيهِ قرابين هذا اليوم، فترك إثنين من أبنائهِ لقيادة الجيش وهما انتيغونوس وارستوبولوس وأوصاهما بمحاصرة السامرة والتضيق عليهم،وذهب هو إلى مدينة أورشليم. فى ذلك الوقت تقدم انتيوخوس المكدونى لينجد أهل سبسطية فوصل خبره بابنى هركانوس فاستخلفا على سبسطية من يحاصرها وسارا إلى انتيوخوس فحارباهُ وهزماهُ وعادا إلى سبسطية. ووافى من مصر ليثرا بن كليوبتره الملكة لنصرة السمرة فلما وصل خبرهُ بهركانوس سار إليهِ بعد انقضاء العيد فلقيه وقاتلهُ قتالاً شديداً وقتل من رجاله خلقاًكثيراً، وإنهزم ليثرا ولم يعاود أهل مصر بعدها إلى معاونة السمرة، وعاد الملك هركانوس إلى سبسطية وإستمر فى محاصرتها إلى أن فتحها بالسيف وقتل من بقى من أهلها وأخربها وهدم سورها.

(خبر خروج ليثرا بن كليوبتره على أمهِ بمصر)

ثم أن ليثرا بن كليوبتره لما قوى بالمال والرجال عصى على أمهِ كليوبتره وعاونه على ذلك أكبر وجوه الدولة، فعمدت كليوبتره إلى رجلين من اليهود يقال لأحدهما حلفيا والآخر حننيا، فقدمتهما على من بقى معها من عظماء المصريين، وولتهما على جيش مصر فاحسنا السيرة فى العامة وأحكما السياسة لأمور المُلك، وقد كلفتهما كليوبتره إلى محاربة ليثرا إبنها، فسارا إليهِ وحارباه وهزماه وقتلا رجالهِ، فهرب إلى قبرس وأقام بها فى نفر بقوا معهُ.

(ذكر فرق اليهود)

كان اليهود فى ذلك الزمان ثلاث فرق الأولى تسمى الفروسمر وهم الفريسيون ويسمون أيضاً المعتزلة والفرقة الثانية يسمون الصدوقيين نسبة إلى رجل فقيه من أصحاب العلماء يسمى صادوق . أما الفرقة الثالثة فيسمون الحسيديم وتأويل هذا الاسم الصالحون لأنهم كانوا يذهبون إلى العمل بما هو أفضل، وهو الأخذ من هذين المذهبين ما هو أحوط فى الدين وأسلم فى التوقى وهم المشتغلون بالتسبيح المنعكفون على العبادة. وكان الصدوقيون يعادون الفريسيين عداوة شديدة ويباينونهم.

سبب انتقال هركانوس من الفرقة التى كان هو وأبوه منها إلى غيرها:

وكان هركانوس وآباؤه من الفريسيين ثم أنهُ انتقل بعد ذلك إلى الصدوقيين وباين الفريسيين وعاداهم، وكان السبب فى ذلك أنهُ صنع صنيعاً عظيماً ودعا فيهِ سائر قواده وأجناده وأصحابهُ وأحضر حكماء اليهود وهم الفريسيون وحضر هركانوس معهم فأكل وشرب، فلما أخذ الشراب منهُ قال للفريسيين انتم تعلمون إنى واحد من تلاميذكم وإنى أرجع إلى قولكم وأتدبر برأيكم ولا أخالفكم وأنا أسالكم متى علمتم بغلط قد جرى منى وخطاءٍ تعلمونى بهِ وترشدونى إلى الصواب، وإن نصحى يجب عليكم ويلزمكم ولست أخالف فيما تأمرونى بهِ ولا أعصيكم فيما يجب ولا أغفل عنهُ، فأجابوه بالجميل وقالوا قد أعاذك الله أيها الملك من الخطأ ونزهك عن الغلط فأنت المفضل المستقيم الطريقة ومن جمع الله لهُ فضيلة الكهنوت والملك ودعوا لهُ واثنوا عليهِ وكان فى جملتهم رجل يقال لهُ العازر ذو إقدام وجسارة وتعصب فقال حينئذ لهركانوس قد أمرتنا أيها الملك بنصحك وإعلامك بغلط أو خطا أو زلل يتفق لك أو يحدث لكى تمتنع عن ذلك، فإن كنت تريد تسلم ناجيا من الغلط وتفوز من الزلل كما ذكرت يجب أن تكتفى بالملك وتخلع نفسك من الكهانة فإنك لا تصلح أن تكون كاهناً كبيراً لأن أمك كانت سبيت فى أيام انتيوخوس قبل أن تحمل بك وليس خاف عنك أن ولد المسبية لا يجوز أن يكون كاهناً كبيراً ولا يدخل إلى قدس الأقداس وإذ قال العازر هذا القول لم يجاوبه أحد من الفريسيين بل جميعهم أمسكوا عن خطابه لأنهُ قال صدقاً إلا أن هركانوس غضب من ذلك وتمرمرت نفسهِ وانعكس ما كانوا فيهِ من السرور إلى ضده. وكان بحضرة الملك رجل من أكابر الصدوقيين يقال لهُ يوناثان فقال لهركانوس ألم أقل لك أيها الملك لا تثق بالفريسيين فانهم لا ينصحونك ولا يحبونك وقد ظهر لك اليوم صدق قولى بأن الفريسيين هم الذين جعلوا العازر أن يتكلم بما تكلم بهِ، ولذلك لم يمنعوه ولم ينكروا عليهِ ما قال . فأمر هركانوس الفريسيين أن يحكموا على العازر بما يجب عليهِ،وكان يقصد أن يحكموا عليهِ بالقتل،فقالوا لا يجب عليهِ غير ضرب اربعين . عند ذلك غضب هركانوس وانتقل إلى مذهب الصدوقيين وقوى أمرهم وباين الفريسيين وعاداهم، ونادى فى جميع مدن اليهود بأن لا يتعلم أحد من الناس منهم . وقتل جماعة كبيرة منهم ممن خالفوا أمرهُ.

ما جرى من العداوة والحروب بينهما:

وكانت العامة بأسرها وبعض الخواص مع الفريسيين،فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت فى اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا. وقد كان اليهود قبل ذلك متفقين على محبة هركانوس ومن كان قبله من ولاة بنى حشمناى لجميل سيرتهم وجودة سياستهم وحسن برهم فى الأمةِ فلما حدث ما ذكرناه من انتقال هركانوس إلى الصدوقيين وقتل مَن قتل من الفريسيين وإطلاقه لليهود محاربة بعضهم بعضا على المذاهب تفشَت العداوة بينهم وكثرا القتل فيهم فى زمانه وبعد وفاتهِ وكرههُ أكثرهم وأبغضوه وهذا كان السبب فى عداوتهم لهُ وكراهيتهم من بعدهُ أولادهُ.

وكان لهركانوس من البنين ثلاثة الأول ارسطوبولوس والثانى انتيغونوس والثالث اسكندر وكان هركانوس يحب انتيغونوس ويبغض اسكندر حتى أنهُ أبعده عنهُ وأقصاه إلى جبل الجليل وأحب هركانوس أن يعلم من الذى يصلح أن يكون ملكاً من أولادهِ بعدهُ وسأل الله فى ذلك، فرأى فى منامه أن الذى يملك من بعدهُ هو اسكندر فاغتم من ذلك ولم يقدم فى حياتهُ أحداً من أولادهُ وترك الأمر مهملاً ليجرى بعدهُ على ما يؤثره الله عزً وجلً ويريده. وكان أهل يهوذا فى زمان أبيهِ وزمان عمِّيه مجتمعين على محبتهم والميل اليهم والطاعة لهم لمحاربتهم اعداءهم وحسن سيرتهم فيهم ولم يزالوا أيضاً مجتمعين على محبة هركانوس إلى أن جرى منهُ ما جرى من قتل الفريسيين وإباحة اليهود محاربة بعضهم بعضا على الدين، فتولدت بينهم العداوات الدائمة والشرور المتصلة والقتل الكثير وكان ذلك سببا لكراهية اكثرهم لهركانوس. وكانت مدة ولاية هركانوس إحدى وثلاثين سنة وتوفى، وملك إبنهُ ارسطوبولوس.

(خبر ارسطوبولوس بن هركانوس وهو السادس من ولاة بنى حشمناى) (والثانى ممن سمى ملكاً)
(١٠٤ ـ ١٠٣ ق . م)

فلما ملك ارسطوبولوس أظهر التكبر والتجبر ولبس تاجا عظيماً ترفعاً وتعظماً واستصغاراً بتاج الكهنوت المقدس، وقيد أخاهُ اسكندر وقيد أمهِ لمحبتها اسكندر أخاهُ ومال إلى انتيغولوس أخيهِ وقوّمهُ على جميع أصحابهِ واعتمد عليهِ فى أمورهِ وبعث بهِ لمحاربة الأمم الذين عصوه فقهرهم انتيغولوس وردهم إلى طاعتهِ، وعاد إلى مدينة القدس ظافراً غانماً فوجد الملك ارسطوبولوس قد تشكى واعتل بعلة عظيمة فى مدة غيبته فى الحروب. ولما أخبر بعلة الملك لم يمض إليهِ ورأى أن يمضى أولاً إلى بيت الله عزً وجلً ليشكره تعالى على ما رزقه من النصر وما وهبه من الظفر، ويسألهُ أن يعافى أخاهُ الملك، ثم بعد ذلك يمضى إليهِ وكان ذلك فى عيد المظال. وقد حضر اليهود إلى القدس وكان عليهِ جوشن مذهب حسن الصنعة وهو متقلد سلاحه، وكان انتيغونوس هذا شاباً بهياً رائقاً فى الجمال، فلما نظرهُ اليهود وهو يمشى فى صحن القدس بذلك الزى الحسن تعجبوا من بهجتهِ وجمالهِ ورشاقتهِ وبهائهِ وابتدأوا يصفونه وبستحسنونه، وكان فى جملة اليهود شيخ من الفرقة الذين يسمون الصالحين، فلما نظر إلى انتيغونوس يمشى فى القدس والناس ينظرون إليهِ ويتعجبون منهُ قال لتلميذهِ يا ليتنى كنت مت قبل هذا اليوم ولا أرى هلاك هذا الشاب . فقد رأيت أنهُ يُقتل عند برج سطرون.وسطرون المعروفة فى ذلك الوقت هى مدينة كانت فى الساحل فيها برج مشهور ولم يكن هذا الأسم يُعرَف لغيرها.فقال لهُ تلميذهُ هذا لا يصح لأن سطرون بعيدة من مدينة القدس، وقد مضى أكثر النهار وكيف يمكن أن يقتل انتيغونوس هناك فى هذا اليوم . فقال الشيخ الصالح كيف يا ابنى يبطل قولى ويسلم هذا الشاب . ولما مضى انتيغونوس إلى القدس قبل أن يمضى إلى أخيهِ،مضى قوم كانوا يعادون انتيغونوس ويسيئون الظن فيهِ ويحسدونه إلى الملك وقالوا لهُ إن أخاك انتيغونوس قد

عمل على قتلك ولذلك لم يدخل عليك لما قدم إلى المدينة بل مضى إلى القدس ليستميل الناس، وهو هناك مع أصحابهِ بزيهم وسلاحهم يدبرون عليك لما علموا مرضك، فوقع ذلك في نفس الملك ارسطوبولوس وأمر رجاله أن يلبسوا سلاحهم ويقفوا على جميع الطرق التي يوصل منها إلى القصر فيحفظونها وأن يقتلوا كل من أراد أن يدخل إليهِ وهو يلبس زيه العسكرى ويحمل سلاحهُ ولا يتوقفوا عن قتلهِ ولا يستأذنوا فيهِ ففعلوا ذلك . وفى ذلك الوقت وجه الملك رسولاً إلى أخيهِ انتيغونوس يأمرهُ أن ينزع عنهُ ما عليهِ من السلاح ويصير إليهِ ولا يتأخر، وكانت إمرأة ارسطوبولوس تعادى انتيغونوس عداوة شديدة وتروم قتله، فاستدعت الرسول الذى أرسله إليهِ ارسطوبولوس وأعطته مالاً وأمرتهُ ألا يوصل الرسالة إلى انتيغونوس على جهتها بل بعكسها ويقول لانتيغونوس أن الملك يقول لك قد بلغنى حسن زيك وهيئتك فى دخولك إلى القدس وقد أحببت أن أراك بذلك الزى فتصير إلى بزيك وسلاحك ولا تغير شيئاً منهُ وأعجل ولا تتأخر.

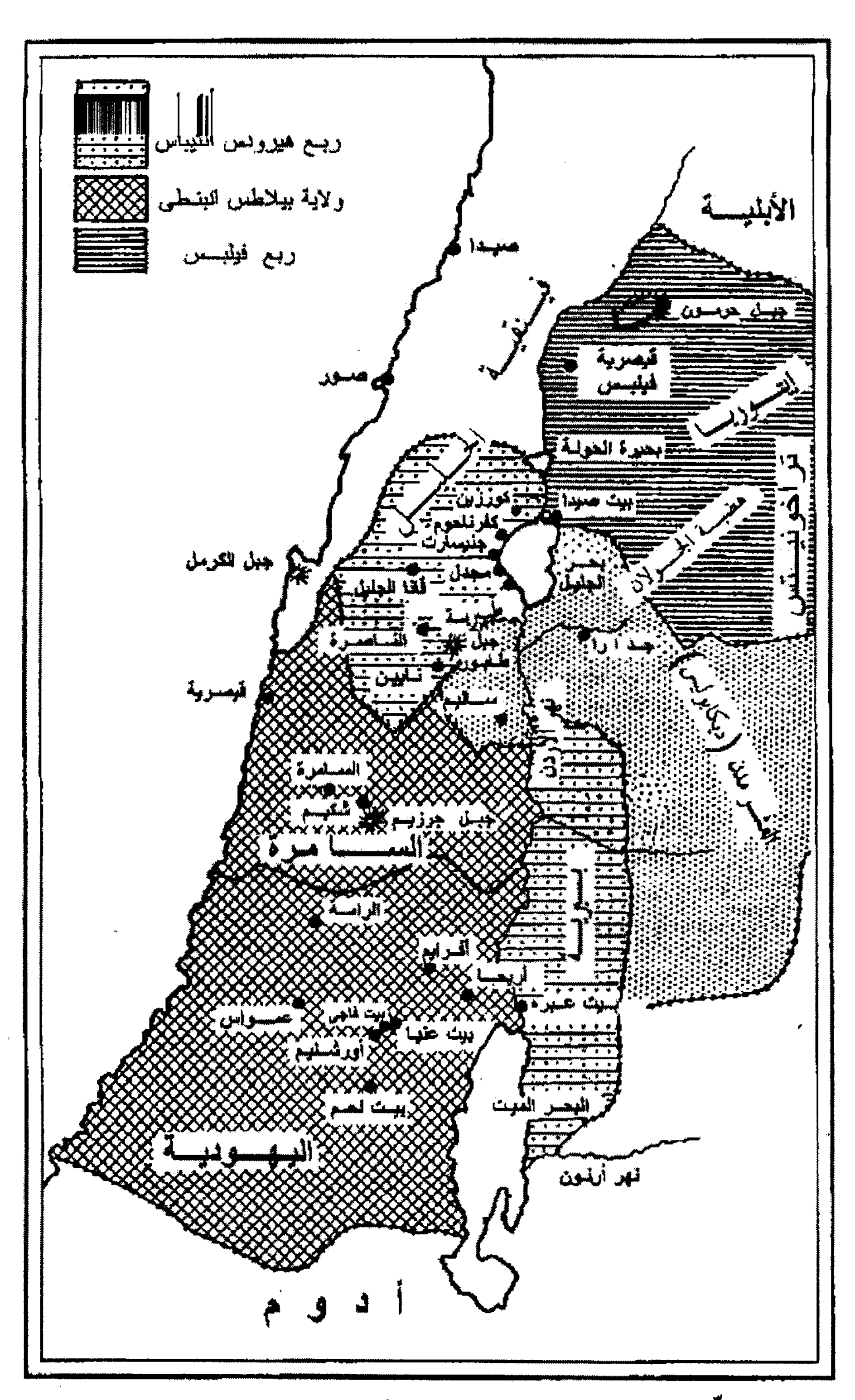
فمضى الرسول إلى انتيغونوس فقال لهُ كما أمرتهُ بهِ الملكة إمرأة الملك ارسطوبولوس، فلم يشك أن الرسالة من الملك فمضى مطمأناً ولم ينزع شيئاً مما عليهِ من السلاح وآلة الحرب، ولم يعلم ما كان من أخيهِ وما قد أمر بهِ من قتل كل من يجئ إلى قصره وعليه شئ من السلاح وآلة الحرب. وكان إلى جانب قصر ارسطوبولوس برج قد بنى فى تلك الأيام وسمى برج سطرون، وهى المدينة التى فى الساحل، لأنهُ كان يشبه ذلك البرج الذى فيها، وأكثر الناس لم يكونوا يعرفوه لقرب عهده . فلما انتهى انتيغونوس إلى البرج وثب عليهِ رجال الملك وقتلوه، وصح عند ذلك قول الشيخ الذى قال أن انتيغونوس فى ذلك اليوم يُقتل عند برج سطرون.

ولما علم ارسطوبولوس بقتل أخيهِ تيقن أنهُ قد خُدِعَ فى أمرهِ وتممت عليهِ الحيلة بالمكر والغش فاشتد غمهُ وتكاثر حزنهِ وصرخ باكياً ولصدره ضارباً بكلتا يديه ضرباً شديداً وقد كانت العلة نهكته وبلغت منهُ فسقطت عروق صدره ونزف من فمهِ دماً كثيراً فأقبل إليهِ غلمانهِ يُعزونهُ ويسكّتونهُ وهو لا يتعزى ولا يسكت، والدم البارز من فيهِ لا ينقطع. فبعثوا بطشت فيهِ من ذلك الدم إلى الطبيب لينظره ويشير بما يصلح من الدواء، فمضى الغلام الذى يحمل الطشت مسرعا، فلما وصل المكان الذى فيهِ قُتِلَ انتيغونوس وقد كان مرصفا بالرخام ودم انتيغونوس قد جمد عليهِ فتزحلق الغلام وسقط الطشت من يده وانهرق الدم الذى كان فيهِ من دم الملك على دم أخيهِ فصاح غلمان الملك على الغلام واستعظموا ما جرى، وعلم ارسطوبولوس بذلك وقال سبحان الحاكم العادل المنصف الذى سفك دم الظالم على دم المظلوم . ثم أقبل على نفسهِ باللوم والتعنيف ولم يزل يبكى ويتأنف ويصرخ ويتأسف ويكثر التندّم على ما فرط منهُ إلى أن مات بعد قليل، فبكى عليهِ جميع قومهِ لأنهُ كان شجاعاً مظفراً مهاباً حسن الأثر فى الأمةِ كثير المكانة فى الأعداء. وكانت مدة مُلكة سنة واحدة وملك بعدهُ أخوهُ اسكندر وصح بذلك ما كان أبوهم هركانوس رآه فى منامه من أمر اسكندر أنهُ الذى يملك بعدهُ.

(خبر اسكندر حناؤس بن هركانوس وهو السابع من ولاة بنى حشمناى) (والثالث ممن سمى ملكاً)
(١٠٣ ــ ٧٦ ق . م)

فلما مات ارسطوبولوس نزع الجند عن أخيهِ القيد وأخرجوه من الحبس فتولى الملك واستقام لهُ الأمر.وبلغ اسكندر أن أهل عكا وأهل غزة قد عصوه بعد موت ارسطوبولوس فسار إلى عكا وحاصرها.فبعث أهل عكا إلى ليطرا بن كليو بتره ملكة مصر يسألونهُ أن يسرع اليهم بالمجئ ليعينهم على اسكندر ويضمنوا لهُ أن يطيعوه. وكان ليطرا قد هرب من أمهِ كليوبتره وأقام فى قبرس، فجاء ليطرا إلى عكا فى البحر ومعهُ ثلاثون ألف رجل لمعاونة أهل عكا . فلما علم اسكندر بمجيئهِ انصرف من عكا، وأما أهل عكا فكرهوا أن يطيعوا ليطرا لأنهم خافوا منهُ ورأوا أنّ اسكندر خير لهم منهُ فأبوا طاعة ليطرا ومنعوهُ من دخول عكا، فعظم ذلك عليهِ لأنهم غدروا بهِ بعد أن طلبوه، فوجّه إليهِ صاحب صيدا يسألهُ على معاونته فى محاربة اسكندر فأجابهُ إلى ذلك. وصل هذا الخبر إلى اسكندر فحمل إلى ليطرا مالاً كثيراً وسأله أن يعاونه على صاحب صيدا ففعل ذلك فمضى اسكندر إلى صيدا وفتحها وإستباحها وعاد إلى أورشليم ظافراً غانماً.

ثم وجه اسكندر إلى كليوبتره ملكة مصر فى السر يقول لها أن ابنك ليطرا الذى عصاك وأنت تطلبينه قد خرج من قبرس وهو مقيم فى بلادى فإن كنت تريدينه فاخرجى سريعا بعسكرك حتى أسير أنا أيضاً إليهِ بعسكرى فيحيط بهِ العسكران ويطبقا عليهِ فتظفرى بهِ . فلما بلغ الخبر إلى ليطرا عظم ذلك عليهِ فسار إلى جبل الجليل فقتل من أهلهِ خلقاً كثيراً وسبى سبيا عظيماً وتوجه إلى اسكندر ليحاربه فنزل على الأردن وبلغ اسكندر خبره فسار إليهِ من أورشليم فى عسكر كبير منهم ستة آلاف جبابرة أبطال ومعهم أتراس من نحاس . وخرج اسكندر فى ذلك اليوم يتكبر ويتجبر ويعجب بنفسه وعسكره ووصل إلى ليطرا وهو نازل على الأردن وحدثت بينهما حربُ عظيمةُ بينهما إنتصر فيها ليطرا على اسكندر فهزمهُ وقتل من عسكرهِ الوف كثيرة وهرب من بقى منهم إلى الجبال والقفار ،وعاد اسكندر إلى أورشليم مكسورا، وكان سبب ذلك اعجابه بنفسه وثقته بعسكره وتوكله على عدته وقلة توكله على الله عزّ وجلّ. وكانت كليو بتره ملكة مصر قد خرجت من مصر تطلب ابنها ليطرا على ما كان اسكندر وافقها عليهِ . فلما بلغ ليطرا خبرها ركب فى البحر وعاد إلى قبرس، وورد الخبر إلى كليو بترة بذلك فعادت إلى مصر . وفى نفس السنة سار اسكندر إلى غزة ففتحها وقتل أهلها لأنهم كانوا عاونوا ليطرا عليهِ وأحرق هيكلا لهم فيهِ صنم يعبدونه وقتل جميع كهنة ذلك الصنم وعاد إلى أورشليم.



خريطة توضّح الولايات المختلفة في أرض فلسطين في أيام المسيح

الفصل الرابع
اسكندر حناؤس بن هركانوس

ثم بعد ذلك اتفق حضور عيد المظال ودخل اسكندر إلى القدس وصعد على المذبح فى وقت القربان على رسم الكهنة فابتدأ قوم من اليهود فى هذا العيد يلعبون بسعف النخل واتصل لعبهم على ما جرت بهِ عاداتهم ورسومهم فرمى أحدهم بتُرُنجة فأصابت الملك، فغضب أصحابهِ وقالوا للفريسيين كيف جسرتم على الملك بهذا وتهاونتم بحقه ولم توقروه ولا احتشمتم من جلالهِ، فقالوا ما فعلنا ذلك تهاوناً بهِ وجرى منا هذا بالقصد لكنه أمر حدث من غير قصد وهذا اللعب هو سُنَّة العيد والمقصود بهِ الفرح والسرور وما جرت العادة أن ينكر هذا . فلم يقبل اسكندر وأصحابهُ هذا الاعتذار منهم لما فى نفوسهم من عداوة الفريسيين ومقتهم. وتردد الكلام بينهم إلى أن شتم بعضهم اسكندر بكلام قبيح، فغضب اسكندر وأمر أصحابهِ أن يقتلوهم، فقتلوا فى ذلك اليوم من الفريسيين ستة آلاف رجل. وأمر اسكندر بعد ذلك أن يبنى حائط يقطع بهِ ما بين المذبح والصحن ولا يقترب أحد من المذبح سوى الكهنة وخواص الأمةِ، وأن تكون العامة فى الصحن والحائط يحجز بينهم. فذادت العداوة بين الفريسيين والصدوقيين واستحكمت المصاخبات بينهم جداً. وعضد اسكندر الصدوقيين على الفريسيين واتصلت الحروب بينهم مدة ست سنين هلك فيها من الفريسيين خمسون الف رجل ثم أن اسكندر اجتهد بعد ذلك أن يولف بينهم ويصلح أحوالهم فلم يتمكن ولا تم لهُ ذلك. حينئذ مضى جماعة من الفريسيين إلى ديمتريوس بن سلفانوس المسمى انتيوخوس وسألوه أن يعينهم على اسكندر وبذلوا لهُ مالاً كثيراً فسار ديمتريوس فى عسكره مع من انضاف إليهِ من اليهود إلى أن نزلوا على نابلس فخرج إليهِ اسكندر لمحاربته فهزمه ديمتريوس وقتل أكثر رجاله فهرب اسكندر إلى بعض الجبال فأقام هناك وتبعه أصحابهِ وجاء إليهِ كثيرون من اليهود الذين كانوا مع ديمتريوس، فلما صار فى عسكر كبير سار إلى ديمتريوس فحاربهُ فهرب ديمتريوس راجعا إلى بلاده . ثم عادت الحروب بين الفريسيين وبين اسكندر فهزمهم وقتل كثيراً منهم وهرب الباقون فتبعهم اسكندر وأخذ من كبراء الفريسيين ووجوههم ثمان مئة رجل فقتلوا وصلبوا بين يديه واستولى بعد ذلك على جميع اليهود وقهرهم . ثم سار إلى ديمتريوس لمحاربته فى عسكر كبير وفتح كثيراً من بلاده فخرج إليهِ ديمتريوس لمحاربته فظفر بهِ اسكندر وقتله . ثم عاد إلى أورشليم بعد ثلاث سنين فاستقبله اليهود بالاكرام وتلقوه بالاجلال والاعظام لما ظهر لهم من بأسه وشجاعته فى محاربة ديمتريوس وظفر اسكندر بجميع أعدائهِ وقهر كل من قاومه ونازعه فاستقام أمر مملكتهِ وعظمت هيبتهُ واعتز سلطانهُ.

(ذكر وفاة اسكندر بن هركانوس)
(٧٦ ق٠م)

ثم أن اسكندر اعتل بحمى الربع فدامتْ عليهِ ثلاث سنين فنهكت جسمهُ وانحفتهُ ولما بلغه أن بعض المدن التي تحت طاعتهُ أن أهلها عصوا عليهِ سار لمحاربتهم وهو عليل وحمل معهُ امرأتهُ وكل حشمهِ وجواريهِ وكان اسم امراته اسكندرة. فنزل على تلك المدينة وحاصرهم فلما قويت عليهِ العلة وقرب منهُ الموت دنت منهُ اسكندرة امرأتهُ وبكت بين يديه وقالت لهُ يا سيدى قد علمت ما بينك وبين الفريسيين من العداوة وابناك صغيران وأنا امرأة ونحن نضعف عن مقاومتهم فما هو رأيك وأى شئ تشير بهِ علينا فقال لها اسكندر اشير عليك إذا أنا قضيت ما على من دين الموت أن تخفى موتى وتقيمى على هذه المدينة حتى تفتحيها فإن أمرها قد قرب، فاذا افتتحتها فافعلى بها ما كنت افعل بامثالها فاذا فرغت من ذلك فعودى إلى أورشليم واحمليني إلى قصرى سرا واستدعى وجوه الفريسيين ومقدميهم فاذا حضروا اكرميهم وخاطبيهم بالجميل وقولى لهم أن اسكندر قد مات وأنا عارفة بعداوته لكم وما قد فعله بكم وأريد أسلمه اليكم لتصنعوا بهِ ما شئتم وكما يحسن فى رأيكم وأكون أنا لكم من بعدهُ كما تختارون وعلى ما تؤثرون ولا أخالفكم فى شئ، فإنك إذا قلت لهم هذا القول لم يفعلوا بى إلا الجميل لأنى أعرف من اخلاقهم الرحمة وإنهم لا يحقدون . وبعد ذلك فهم يؤازرونك على أخذ الملك ويساعدونك لأن العامة تتبع الفريسيين وتذعن لهم وتقبل قولهم فيستقيم أمرك بهم ويبقى الملك بيدك إلى أن يكبر أولادك ويصلحوا للمُلك.

ثم مات اسكندر فاخفت امراته موته كما أوصاها وفتحت المدينة ثم عادت إلى أورشليم فاستدعت وجوه الفريسيين وخاطبتهم بما كان اسكندر أمرها بهِ، وأما هم فاجابوها بالجميل وأظهروا الغم والحزن على اسكندر ثم جمعوا الناس وحملوه بالاكرام والاجلال ودفنوه مع آبائه واستمالوا الناس وعطفوا قلوبهم إلى اسكندرة وأشاروا عليهم أن يملكوها فقبلوا منهم، وملكت اسكندرة على اليهود واستقام أمرها بمعاونة الفريسيين لها وكانت مدة مُلك اسكندر بن هركانوس سبعا وعشرين سنة وخلف ابنين وهما هركانوس وارسطوبولوس.

(أخبار اسكندرة الملكة وابنيها هركانوس وارسطوبولوس)
(٧٦ ـ ٦٧ ق٠م)

فلما ملكت اسكندرة (أو الكسندرا) استدعت وجوه الفريسين ومقدميهم فردت اليهم تدبير الناس وسياسة أحوالهم وقلدتهم القيام بمصالح أمورهم وبسطت أيديهم وأظهرت إعزازهم وأطلقت جميع من كان منهم فى الحبس وأحسنت اليهم، ووجهت إلى كل من كان قد هرب منهم فى زمن هركانوس حميها وزمان اسكندر زوجها فأمّنتهم وردتهم إلى أورشليم، ورجعت عن مقالة الصدوقيين إلى مقالتهم وتمسكت بمذاهبهم فلما كَبُرَ إبناها جعلت هركانوس كاهناً كبيراً لأنهُ كان متواضعا وديعا خيراً، وجعلت ارسطوبولوس وهو الأصغر صاحب الجيش لأنهُ كان بهيا شجاعاً جباراً على

الحروب جسورا، وضمت إليهِ عسكر الفريسيين وجعلتهُ رئيسا عليهم ووجهت إلى جميع الذين كانوا تحت طاعتهم فأخذت رؤساءهم ليكونوا رهائن عندها فدامت طاعتهم لها بذلك وحملهم الخراج والهدايا كل سنة فأمنت وإستقام ملكها وقوى أمرها.

فلما قوى أمر الفريسيين اجتمع رؤساؤهم وجاءوا إلى اسكندرة ومعهم ابنها هركانوس وقالوا لها أيتها السيدة الجليلة قد تحققت وعلمت ما فعله الملك اسكندر سامحه الله من المكروه والأذى بنا وكل ذلك إنما صار برأى الصدوقيين وهم الذين حمّلوه إلى ذلك وعلى قتل ثمان مئة من شيوخنا ومقدمينا وصلبهم ونريد منكِ أن تأذنى لنا أن نقتل من روسائهم عوضاً عمن قتل منا، فقالت لهم اسكندرة افعلوا ما يحلوا لكم، فمضى حينئذ الفريسيين إلى رجل كبير من روساء الصدوقيين اسمهُ دياخبيس وهو الذى كان حمّل الملك اسكندر على قتل الفريسيين، فأخذوه وقتلوه مع جماعة أخرى منهم. حينئذ اجتمع كثيرون من الصدوقيين وجاءوا إلى اسكندرة ومعهم ارسطوبولوس فقالوا لها أنت قد علمت ما لقينا مع اسكندر ملكنا من الشدائد والأهوال فى الحروب وإنّا لم نزل باذلين نفوسنا فى نصرته ومحاربة أعدائهِ حتى غلبهم وقهرهم وقوى مُلكهِ واستقام أمرهُ بنصرتنا لهُ ومحاربتنا لاضداده فكيف تناسى جلالك ذلك ولم تراعى لنا ولا اليسير من حقنا، ولم تذكرى شيئاً من نصحنا وخالص ودنا، ولكنكِ اهملتِنا وطرحتِ جانبنا ولم تحفظى لنا عهداً ولا مودةً ولا نصيحة بل رفعت أقدار اعدائنا وهم الفريسيون وبسطتِ ايديهم علينا حتى بلغوا مرادهم فينا وأنت تعلمين أنهم أعداءُ اسكندر والذين يبغضونه أما نحن فأنصاره، والآن فإن كنت تراعين نصحنا لكم وخدمتنا فى دولتكم فهو اللائق بكِ والأشبه والأكثر نفعا، وقد كان يجب عليكِ أن تراعينا وتحسنى المحافظة لنا بسبب الأمم والممالك الذين يعادونكم فإنهم قد كانوا يهابونكم ببأسنا وما لنا فإذا بلغهم انكم قد ابعدتمونا واسقطتمونا سرّهم ذلك لأنهم يعلمون حينئذ أنهُ لم يبقى معك من تتقوين بهِ، فانهم يطمعون فى مملكتك ولا تأمنين من أن يعصوكِ ويحاربوكِ ثم لا تدرين كيف يكو الحال، وأما نحن فلا نرجع عن طاعتك ولا نختار معصيتك غير أنّا لا نصبر على اذلال الفريسيين لنا واستطالتهم علينا ولا نصبر إلى أن يقتلونا مثل الغنم ونحن نقدر أن ندافع عن أنفسنا فإما أن تكفيهم عنا وتقيدى ايديهم عن أذيتنا وإما أن تطلقى لنا الخروج من المدينة ولنتفرق فى الضياع البعيدة ولا نرى فى أنفسنا وفى اصحابنا ما نكرههُ . ثم بكوا بكاءً شديداً وبكت اسكندرة أيضاً لبكائهم وأعانهم أيضاً ابنها ارسطوبولوس فى الكلام فبقيت اسكندرة حائرة لا تدرى ما تقول ثم غلب عليها ضعف رأى النساء وقلة معرفتهن بالصواب فقالت للصدوقيين اخرجوا من أورشليم إلى حيثما شئتم ولا تقيموا مع الفريسيين فإنهم اعداؤكم ولست آمن عليكم منهم وتوهمت اسكندرة أن الشر ينقطع وكان الأمر بخلاف ذلك . فخرج الصدوقيون من أورشليم وخرج معهم وجوه العسكر وأبطاله وجبابرته وتفرقوا فى الضياع وأقاموا بها وكان ذلك سبب ضعف اسكندرة ومخالفة أقوام كثيرين لها ممن يطيعونها واستطالتهم عليها وسبب ما جرى بعد موتها من المنازعات والحروب بين أولادها هركانوس وارسطوبولوس.

(ذكر وفاة اسكندرة أو الكسندره)
(٦٧ ق . م)

ثم اعتلت اسكندرة العلة التي توفيت بها وكانت مدة ملكها تسع سنوات ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة وكانت حسنة الديانة مستقيمة الطريقة ولم يعرف لهـا زلل ولا خطاءُ ولا شئُ يُذمُ من تدبيرها ولا ما يعاب فى سياستها غير ما جرى منها فى أمر الصدوقيين وأحوالهم وملك بعدها ابنها ارسطوبولوس.

(خبر ارسطوبولوس بن اسكندر وهو الثامن من ولاة بنى حشمناى) (والرابع ممن لقب باسم ملك)
(٦٧ ــ ٦٣ ق . م)

ولما مرضت اسكندرة (الكسندره) ويأس من شفائها ابنها ارسطوبولوس، خرج من أورشليم فى الليل ومضى إلى الضياع التى فيها الصدوقيون فأخبرهم بمرض أمهِ واستنهضهم إلى نصرته ومعونته على أخذ الملك فضمنوا لهُ ذلك. وصل هذا الخبـر إلى أمهِ اسكندرة فخافت منهُ وأمرت بالقبض على إمرأته وإبنيه واعتقالهم. وقوى أمر ارسطوبولوس باجتماع رجال الصدوقيين وميلهم إليهِ ومعاونتهم لهُ. وجاء إليـهِ مـن جبل لبنان وجبل الجليل وغيرهما من بلدان اليهود رجال كثيرون، فسار فى عـسكر عظيم وضرب بالبوق ثم عمل على محاربة أخيهِ هركانوس والفريسيين وبلغهم ذلك، فاشتد خوفهم من ارسطوبولوس. فدخلوا إلى اسكندرة وهى مريضة فذكروا لها شـدة خوفهم من ارسطوبولوس ومن معهُ على ابنها هركانوس وعلى نفوسهم، فقالت لهم أنا على فراش الموت واهتمامى بأمرى أحرى وأولى وما الذى أقدر أن أصنع وأنا على مثل هذه الحال، هوذا رجالنا وعدِدنا وأموالنا فى أيديكم فدبروا الأمر بحسبما يتجه لكم صوابه واستعينوا بالله على أموركم وإلى اليوم كفاءة ثم قضت نحبها.

(ذكر محاربة ارسطوبولوس لأخيهِ هركانوس)

أما ارسطوبولوس فسار فى عسكرهِ ونزل على الأردن فخرج إليهِ أخوهُ هركـانوس بعكسر الفريسيين فتحاربا فانهزم هركانوس وهرب إلى اروشليم فتبعه ارسطوبولوس ونزل على المدينة وأحاط بها العسكر من كل جهة وعمل على هدم الحصن. فخـرج الكهنة ومشايخ اليهود والقوا نفوسهم بين يديه وسألوه أن يكف عن قتالهم وأن يصالح أخاهُ فأجابهم إلى ذلك واستقر الرأى بينهم على أن يكون ارسطوبولوس ملكاً مـسلطا وأخوه هركانوس كاهناً كبيراً فى بيت الله وتحالفا علـى ذلـك وتعاهـدا واسـتقامت أمورهما وأمر الرعية والبلاد وانقطعت الفتن والحروب. ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أفسد أنتيبطرس بين هركانوس وأخيه وأوقع بينهما الشر والعداوة، وكان ذلك سـبب اتصال الحروب والفتن فى الأمةِ.

(أخبار انتيبطرس وهو أبو هيرودس الملك)
(وذكر ما أثاره من الشر بين هركانوس وأخيه ارسطوبولوس)

كان انتيبطرس رجلاً من أولاد بعض اليهود الذين خرجوا من بابل مع عزرا الكاهن وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وبأس وكان فيهِ مع ذلك شرٌ عظيم ومكر ودهاء وحيلة وتلطف وكان موسرا كثير المال والانعام والضياع والمواشى وقد قال قائلون عنهُ هذا، وإن الملك اسكندر بن هركانوس هو الذى ولاه بلد آدوم وهى جبال الشراه فأقام فيها سنين كثيرة. وقالوا إنهُ تزوَّج إمرأة من أهل ادوم وولدت لهُ من البنين أربعة وهم فزائيل وهيرودس وفيروراس ويوسف وأخت لهم سميت اسلوميت. وقد ذكر قوم آخرون من العلماء أن انتيبطرس هذا لم يكن بالجملة من بنى اسرائيل بل كان من عبيد الكهنة المكابيين بنى حشمناى وكان من الأمم المتعبدين للأصنام عسقلانيًا مذهبةُ وثنيًا لا عبرانيًا. ولما مات اسكندر بن هركانوس وملكت بعدهُ اسكندرة عزلت انتيبطرس هذا عن جبال الشراه فأقام بمدينة القدس وقد كان بينه وبين هركانوس ابن اسكندرة مودة اكيدة فلهذا السبب كان عندهُ لا يفارقه فى أكثر الاوقات، فشق ذلك على الملك ارسطوبولوس لعلمه بمكر انتيبطرس ولما أحس انتيبطرس بذلك وشعر بهِ خاف على نفسهِ فانقطع عن مجلس هركانوس وأخذ فى التدبير على قتل ارسطوبولوس والاحتيال فى هلاكهِ، فقصد وجوه الدولة سراً وأقبل يذكر لهم طريقة ارسطوبولوس وظلمة وتغلبه على الملك الذى كان أخوهُ الأكبر زعم أنهُ أحق بهِ منهُ، ويخوفهم من الله عزَّ وجلَّ ويلومهم كناصح لهم كيف يرضون بذلك ولم يزيلوا الظلم ويردوا الحق إلى أهلهُ وعلى الجملة لم يترك انتيبطرس أحداً من وجوه الدولة وكبرائها حتى خاطبهُ بمثل ذلك واستماله إلى طلبة هركانوس ونصرته وأثناه عن ارسطوبولوس وحملهُ على مخالفته بتلطفهِ وخديعتهِ ومكرهِ ومخاتلتهِ ودهائهِ وسوء حيلتهِ، وهركانوس لم يشعر بذلك ولا علم بشئ منهُ . فلما فرغ من موافقة القوم على ما أراد سار إلى هركانوس فى السر فقال لهُ اننى قد علمت وتحققت أن ارسطوبولوس أخاك يريد قتلك لأنهُ يرى أنهُ على غير ثقة من بقاء الملك بيده ما دمت أنت حياً لأنهُ يعلم أنك أحق منهُ لأن الناس يميلون إليك ويعلمو أنهُ ظالم لك فهو لذلك يريد قتلك ويتحيَّن الوقت الذى يتم لهُ ذلك فيهِ فيهلكك فيجب أن تنظر لنفسك وتكون منهُ على حذر فإنهُ إن وجد السبيل إلى قتلك فما يبقى عليك. فلم يمل هركانوس إلى هذا القول من انتيبطرس لفضله وطهارة قلبه وسلامة نيتهِ وسكون سريرته ولأنهُ أيضاً لم يتبين لهُ من أخيهِ أمر ينكره فأقبل انتيبطرس يكرر هذا القول على هركانوس فى كل وقت ويحذره ويخوِّفهُ من أخيهِ واستعان لتأكيد غشهِ بقوم من أصدقاء هركانوس وثقاته وحمل اليهم مالاً وسألهم أن يخاطبوهُ بمثل ذلك، ففعلوا ولم يملّوا من تكرار هذا القول على هركانوس حتى قبله وتمكن فى نفسهِ وخاف من أخيهِ واستوحش . فلما علم انتيبطرس أن كلامه قد أثر وحيلته قد تمت مضى إلى هركانوس وأشار عليهِ أن يخرج من المدينة ويمضى إلى هريمة ملك الاعراب ليأمن على نفسهِ من أخيهِ إذا بعد عنهُ . ومضى انتيبطرس إلى

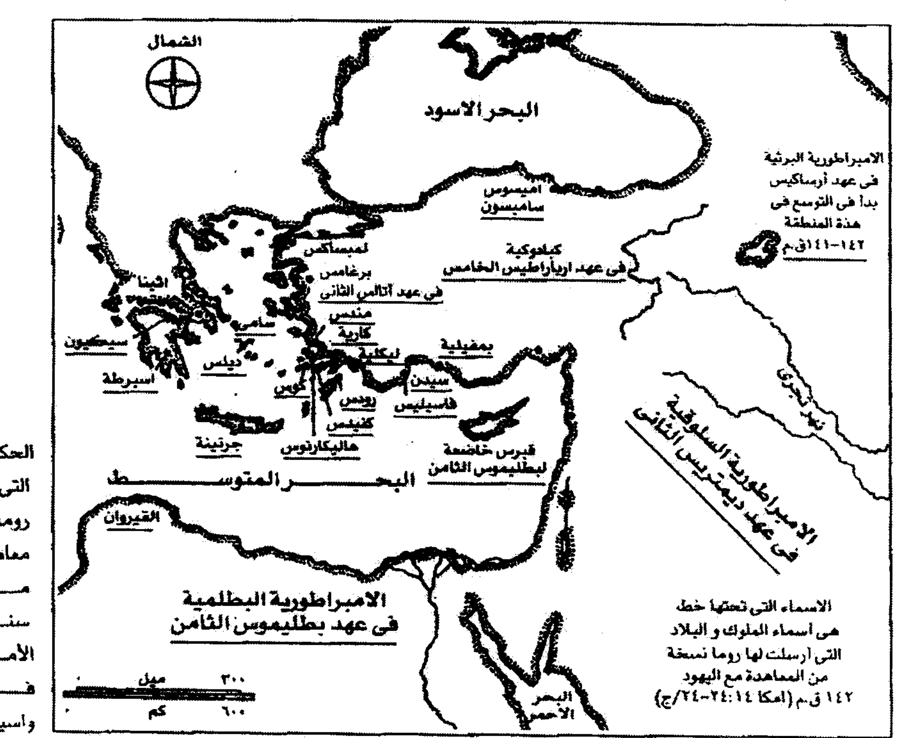
ملك الاعراب فوافقه على مجئ هركانوس إليهِ وأعلمه أنهُ قد رغب فى ناحيته وكـره مجاورة أخيهِ ارسطوبولوس فوفق ذلك ملك الاعراب وسره فأجاب إليهِ لأنهُ كا محبـا لهركانوس فعاهده انتيبطرس على أنهُ لا يسلمه أبدا ولا هركانوس أيضاً إلى من يعاديهما وأن يصونهما ويحميهما ويمانع عنهما . فلما عاهده على ذلك ووثق منهُ عاد إلى أورشليم فأخبر هركانوس بما صنع وأشار عليهِ بتعجيل المسير إلى هريمة ملـك الاعراب فتلقاهما وأكرمهما وأقاما عندهُ أياماً. ثم ابتدأ انتيبطرس يحرك هريمة إلـى محاربة ارسطوبولوس ومعاونة أخيهِ هركانوس على أخذ المُلك فامتنع ملك الاعراب عن ذلك لخوفه مما كان قد جرى عليهِ من ابيهما وذلك أن اسكندر أباهما كان قد هزم ملك الاعراب ثلاث مرات وقتل رجاله واستباح دياره وبلاده، إلا أن انتيبطـرس لـم يزل يشجع هريمة ملك الاعراب ويصغر عندهُ أمر ارسطوبولوس ويذكر لهُ أن أكثر اليهود يمقتونه ويشنآونهُ ويميلون إلى أخيهِ هركانوس حتى أجابهُ هريمة إلـى ذلـك واشرط على هركانوس أنهُ يرد عليهِ جميع ما كان اسكندر أبوه أخذه من ضياعه(أى الغنائم التى اغتصبها من بلاد الإعراب) فضمن لهُ هركانوس ذلك وعاهده عليهِ . ثـم سار هريمة مع هركانوس فـى عـسكر كبيـر لمحاربـة ارسـطوبولوس فلقـيهم ارسطوبولوس فى عسكر كبير أيضاً فلما التقوا إنحاز كثير من رجال ارسـطوبولوس إلى هركانوس حتى لم يبق معهُ إلا القليل . فلما رأى ارسطوبولوس ذلك امتنع عـن المحاربة وهرب فى الليل ودخل أورشليم وتحصن فيها . ثم جاء هركـانوس وملـك الاعراب بعسكرهما ومن انضاف معهما من أصحاب ارسـطوبولوس وتبعـوه إلـى اورشليم وكان أكثر أهلها بل كلهم وأكثر الكهنة مع ارسطوبولوس واستمرت الحروب بين الفريقين وعظمت الفتن ببلاد اليهود إلى أن انتقل كثيرون من أهل الخيـر ومـن قصدوا السلامة إلى مصر.

ومما جرى فى تلك المدة أن عيد الفطير حضر وطلع الكهنة إلـى الحـصن وقالوا لليهود الذين مع هركانوس انتم تعلمون ما اوجبه الله عزَّ وجلَّ مـن الفـرائض والذبائح وليس عندنا من البقر والغنم ما نقربهُ ويلزمكم من هذا الأمر مثل ما يلزمنـا فاتقوا الله ولا تعطلوا فرضهُ وتبطلوا أعياده وتمنعوا قرابينه، وأعطونا من البقر والغنم ما نؤدى بهِ الفرض، فقالوا ما نفعل ذلك إلا إذا اعطيتم لنا لكـل رأس الـف دينـار فرضى ارسطوبولوس والكهنة وعاهدوهم على ذلك فجمعوا المال وانزلوه اليهم مـن الحصن . فلما صار اليهم المال غدروهم وأخذوا المال ولم يعطوهم شيئاً، فعظم ذلـك على الكهنة فدعوا عليهم فضربه الله بغلاء عظيم فهلك منهم كثير.

وكان فى ذلك الزمان شيخ يقال لهُ يوحانان وكان صالحاً تقياً مشهورا بالورع والعبادة وكان أهل عصره يعظموه، وقد اعتقدوه مـستجاب الـدعاء وإن الله يمنحـهُ الإستجابة فى أكثر طلباته، فاتفق أن قوماً من اليهود الذين مع هركانوس وجدوا هـذا الشيخ بقرب المدينة فجاءوا بهِ إلى عسكرهم فقال لهُ مقدمهم قد تحققنا أنـك مقبـول الدعاء ونريد أن تستكفى داعيا على ارسطوبولوس وعلى الكهنة الذين معهُ طالبا من الله أن يظفرنا بهم أجابهم الشيخ ما يجوز أن أدعو عليهم ولا عليكم لأنـك جمـيعكم شعب الله وامته واولئك أيضاً هم أولياؤه سبحانهُ وخدامه وكهنته بل الواجب أن ندعو

لكم ولهم ونستعطفه فى ما يصلح شأنكم ويحسن بهِ حالكم ولما جهدوا بهِ أن يجيبهم إلى ما طلبوه منهُ فلم يجبهم . فلما أكثروا عليهِ وتوعدوه بالقتل رفع يديه إلى السماء وقال أيها الرب العظيم أنت خلقت الخلق وأنت مالكهم وقلوبهم بيديك تصرفها كما تشاء فأسألك أن تصلح قلوب أمتك وقلوب كهنتك وقوم آراءهم واعطف هواجسهم إلى طاعتك ولا تعن بعضهم على بعض فى مكروه لكن كن لهم مساعداً فى الخير والصلاح وأصرف اللهم الشر عنهم وأقض العداوة من بينهم واعطف قلب الواحد منهم للآخر كى يتفقوا على ما يرضيك ويقرب منك ولا تؤازر الشعب على كهنتك ولا تظافر كهنتك على شعبك ليوصلوا مكروها إلى أمتك.

فلما رأى القوم أن الشيخ لم يدعُ بما أرادوا، وثبوا عليهِ فقتلوه. فما آخر الله عقوبتهم إذ وقع الوبأ فيهم ومات منهم خلق كثير.



الحكام و البلاد التى ارسلت لها روما نسخاً من معاهدة الصلح مع اليهود سنة ١٤٢ق.م الأماكن الهامة فى اليونان واسيا و افريقيا

أنطيوخس الثالث (الكبير) ٢٢٣ – ١٨٧ ق.م

سلوقس الرابع
(١٨٧ – ١٧٥/٦)

كليوباترا
زوجة بطليموس الخامس

أنطيوخس الرابع
(إبيفانس)
(١٧٥/٦ – ١٦٣/٤)

ديمتريوس الأول
(١٦٢ – ١٥٠)

أنطيوخس الخامس (أوباطور)
(١٦٣/٤ – ١٦٢)

اسكندر بالاس
(١٥٣ – ١٤٥)

ديمتريوس الثاني
(١٤٥ – ١٤٠؟)
(١٢٩ – ١٢٥)

أنطيوخس السابع
(١٣٨/٩ – ١٢٩)

أنطيوخس السادس
(١٤٣؟ – ١٤١ ؟)

الفصل الخامس

الحكم الرومانى (٦٣ ق . م ــ ١٣٥ ب . م)

من بدء الحكم الرومانى حتى تولى هيرودس الكبير

(٦٣ ــ ٣٧ ق . م)

(أخبار بمبيوس صاحب جيش الروم)

(٦٣ – ٥٧ ق.م)

واتفق فى ذلك الزمان أن بمبيوس صاحب جيش الــروم وعظــيمهم خــرج لمحاربة السريان لأن أهل دمشق وحمص وحلب وما يليها من بلاد سوريا كانوا قــد عصوا الروم، فخرج بمبيوس اليهم ووجه بقائد من قواده يقال لهُ شكاروس إلى دمشق لمحاربة من بها. ومضى إلى حلب وما يليها حيث مضى شكاروس إلى دمشق ففتحها وأقام بها،ولما علم ارسطوبولوس بأن شكاروس قد دخل دمشق وجه إليهِ رســلةُ،كما وجه إليهِ أيضاً هركانوس رسلةُ يسألهُ أن يسير إليهِ ليعاونه على أخيهِ فامتنع شكاروس عن المسير إلى أحدهما بل أنهُ كتب إلى هريمة ملك العرب يأمره بأن ينصرف عــن أورشليم وينهاه عن معاونة هركانوس وتوعده إن خالفهُ أنهُ يــسير إليــهِ بعــساكره ويستأصله. فلما وصل كتابهِ إلى هريمة رحل وعاد إلى بلاده ومضى معهُ هركانوس وانتيبطرس . ثم أن افيفوس عظيم الروم جاء إلى دمشق فارسل إليهِ ارســطوبولوس رسلا وأرسل معهُ هدايا جليلة فى جملتها لسان ذهب من صنعة عجيبة وزن الجميــع خمس مئة بدرة وسأله أن يعاونه على أخيهِ هركانوس ووجه إليهِ هركــانوس أيــضاً بانتيبطرس صاحبه إلى دمشق وسأله أن يعينه على أخيهِ ارسطوبولوس ولم يبعث معهُ هدية فرغب افيفوس فى معاونة ارسطوبولوس بسبب الهدية التى حملها إليهِ لأن رسلهِ كانت قد سبقت إليهِ فلما علم انتيبطرس بذلك خلا بهِ وقال إن الهدية التى حُملت إليــك من ارسطوبولوس لا تسترد منك ولك عند هركانوس اضعافها إذا عاضدته على أخذ المملكة وارسطوبولوس لا يقدر أن يلزم اليهود بطاعتك أما هركانوس فيقدر على ذلك لأن جميع اليهود يطيعونه ويقبلون منهُ فإذا طاعك اليهود صار لك بذلك الذكر العظيم والاسم الكريم بين الملوك ما لم يكن لأحد قبلك من الروم لأن هركانوس الكاهن الأكبر لا يخالفه أحد من اليهود فى ما يقوله . فوقع فى نفس افيفوس كلام انتيبطرس وســره أن يتمم لهُ طاعة اليهود، فقال لانتيبطرس أنا أعاون صاحبك هركانوس إلا أنهُ لابــد من أن أظهر لارسطوبولوس إنى اعاونه عليكم ليطمئن إلى فإنى لست آمنه إذا علــم إنى أعاون أخاهُ عليهِ أن يعصى ويجمع الرجال علينا فلا نقدر عليهِ فأنا أرى أن أعده بالمعونة وأسير معهُ إلى أورشليم فاذا صرت هناك بلّغت صاحبك ما يريده على أنكم تعاهدوننا أن تكونوا تحت طاعتنا وتحملوا لنا الخراج فى كل سنة، فضمن لــهُ ذلــك انتيبطرس وعاهده عليهِ.

ثم كتب بمبيوس كتاباً لارسطوبولوس يأمره أن يصير إليهِ ليوافقه علــى مــا يريده وعاد انتيبطرس إلى هركانوس وأعلمه بما وافقه بمبيوس وأشار عليهِ بلقائــهِ، فسار هركانوس وانتيبطرس إلى دمشق ومعهم جماعة كثيــرة مــن مــشايخ اليهــود

وكبرائهم وسار ارسطوبولوس أيضاً وإجتمع الجميع فى منزل بمبيوس فابتدأ انتيبطرس ومن معهُ من مشايخ العبرانيين وقالوا لبمبيوس أيها القائد الجليل احكم بيننا وبين ارسطوبولوس لأنهُ قد تعدى علينا وتغلب على مملكتنا ودفع أخاهُ هركانوس عن الملك وهو الأكبر سناً واحق بهِ على ما فى شريعتنا ولأنهُ أيضاً ذا سلوك حميد ورجلاً تقياً وحسن الديانة وقد ظلمهُ أخاهُ وظلم جميع الأمم الذين يجاورونهُ وقتل منهم خلقاً كثير وأخذ أموالهم وأوقع بيننا وبينهم عداوة ما أردناها ولا اخترناها وأقاموا الف شيخ من اليهود الذين معهم شهودا لهم يشهدون بصحة قولهم. وقال عند ذلك ارسطوبولوس حقاً إن أخى أكبر منى سناً وأنا ما سعيت إلى المُلك ولا صددت أخى عنهُ ولكن لما رأيت المُلك بعد ابينا قد اضطرب ومن كان يطيعنا من الأمم عصانا وطمعوا فينا ورايت أن أخى لا ينهض بتدبير المملكه وسياستها وخشيت عليهِ من أعدائنا ومن عصانا من الأمم فقمت وقهرتهم ورددتهم إلى طاعتنا وزال ما كنا نخافه منهم وانتظم أمرنا واستقام ملكنا وبهذا رضى أبونا قبل وفاتهِ، وقد أوصى أن أكون أنا متوليا المملكة إذا كبرت لأنى كنت صغيرا حين استكمل حياتهُ ولوالدتنا أوصى بذلك لعلمه أن أخى لا يستطيع النهوض بالمُلك ولا يقدر على تدبيره.

وإن ارسطوبولوس أحضر جماعة كثيرة من اليهود يشهدون بصحة قوله فيما ذكره وكان القوم الذين احضرهم شبابا حسنة صورهم عليهم ثياب بهجة منسوجة بالذهب واللؤلؤ وعليها حجارة نفيسة، فجعل بمبيوس ينظر اليهم ويتعجب من حسن صورهم وجمال منظرهم وظرافة زيهم ورشاقتهم وحركاتهم وازدادت رغبته فى أن تكون اليهود تحت طاعتهُ لما شاهده من ايسارهم وعاينهُ من عظيم قدرهم ورياستهم . ثم قال بمبيوس لهركانوس وارسطوبولوس لا ينكشف لى هذا الأمر واتبينه واعرف حقيقته إلا بعد نزولى إلى أورشليم . ثم ارتحل من دمشق فبعث حينئذ انتيبطرس إلى جميع المدائن التى كان ارسطوبولوس قد قهرها ببأسهِ وشجاعتهِ والزمهم الخضوع لهُ تحت طاعتهِ فوافقهم على أن يلتقوا ببمبيوس متظلمين لهُ ومستعينين لهُ على ارسطوبولوس شاكين ومستصرخين عليهِ ففعلوا ذلك. فطلب بمبيوس من ارسطوبولوس بأن يرد لهم جميع ما أخذه منهم ويكتب على نفسهِ أنهُ لا أمر لهُ عليهم وإنهُ لا يتعرض لهم بذلك ففعل ارسطوبولوس ما أمرهُ بهِ بمبيوس وخرج القوم عن طاعة اليهود. فلما رأى ارسطوبولوس ما فعل بهِ بمبيوس استوحش منهُ وهرب بالليل مع من معهُ من أصحابهِ ومضى إلى أورشليم وتحصن فيها فلما علم بمبيوس بذلك سار فى إثرهِ فنزل فى أريحا ثم سار من اريحا إلى أورشليم فنزل عليها.(١)

فلما نزل بمبيوس على أورشليم خرج إليهِ ارسطوبولوس واعتذر لهُ فقبله بمبيوس وصفح لهُ فقال لهُ ارسطوبولوس أسألك أن تعيننى على أخى ولا تحط قدرى عند قومى ولا تشمت بى أعدائى وتمكنهم منى ولك علىَّ كل ما تريدهُ. فقال لهُ بمبيوس إحمل إلىَّ كل ما فى بيت الله من الأموال والجواهر حتى أحملهُ إلى هيكل المشترى برومية وأنا أبلغ بك إلى ما تحب فقال ارسطوبولوس جميع ما فى الهيكل هو لك فوجّه من يحمله إليك. فوجه بمبيوس قائداً من أصحابهِ فى جماعة من الجند إلى هيكل القدس(هيكل سليمان) لكى يأخذ ما فيهِ فمنعه الكهنة والعوام من ذلك وأخرجوه من

المدينة وقتلوا بعض أصحابهِ، فغضب بمبيوس على ارسطوبولوس وقيده وركب فى عسكره ليهجم على المدينة ويقتل أهلها فخرج إليهِ من المدينة خلق كثير فحاربوه وقتلوا كثيرين من رجاله واغلقوا الابواب ومنعوه من الدخول إلى المدينة.

وبعد مرور عدة أيام وقع فى المدينة بين أصحاب ارسطوبولوس وأصحاب هركانوس شر عظيم وقتال كثير ولما كثرت الحرب بينهم وعلم بمبيوس بذلك تقدم إلى المدينة بعسكره ففتح لهُ بعض اليهود الباب فدخل وقبض على قصر الملك ومضى إلى الهيكل لينهب ما فيه فلم يمكنه ذلك لأن الكهنة اغلقوا ابواب الهيكل وضبطوا طرقه بالرجال، فبعث اليهم بمبيوس بقواده وجنده وأمرهم بمحاربتهم وكان ذلك فى الشهر الرابع وهو شهر تموز فقامت الحرب بينهم وبين الكهنة إلى يوم الصوم وهو اليوم السابع عشر من الشهر،فلما كان يوم الصوم وقد كانت الكهنة فى القدس يقربون القرابين على رسومهم وقد كلوا وتعبوا من القتال والحرب أمر بمبيوس أصحابهُ أن ينصبُوا كبش الحديد على سور القدس وينطحوا بهِ السور، فلما فعلوا ذلك انهدم من السور برج واحد فدخل الروم وقتلوا جماعة كثيرة وقد كان الكهنة فى تلك الساعة يخدمون خدمتهم لله سبحانهُ فلم يمتنعوا من أجل الهيج ولا انزعجوا مضطربين ولا امتنعوا عما كانوا قد ابتدأوا فيهِ من تقريب القرابين وتقدمة الضحايا بل كان الواحد يشجع الآخر ويؤيده قائلين أحدهم لرفيقه يجب أن نتمم خدمة الفرض ولا نعطلها إلى أن نُقتل كلنا فى طاعة الله وكانوا يترددون بين أعدائهم فى الخدمة وإذا سقط أحدهم مقتولا أخذ رفيقه ما معهُ من القربان وإذا قتل هذا أيضاً أخذ الآخر ما معهُ من الخدمة ليتممها إلى أن كملوا خدمتهم وهم يقتلون إلى أن عدم أكثرهم وامتزجت دماؤهم بدماء القرابين وماتوا فى طاعة الله.

وفى ذلك الوقت تذكروا ما تجافوا بهِ على الشيخ يوحانان الذى تقدم ذكره والتمسوا منهُ دعاء بحسب شهوات قلوبهم فامتنع لورعه وتقواه فقتلوه فانتقم الله لدمه وسفك دماء كثيرين منهم. وجاء بمبيوس ودخل إلى هيكل الله مع قواده فلما عاين جمال القدس وبهجته تداخلت فى قلبه هيبته ونظر إلى ما فيهِ من الأموال والجواهر فاستعظم ذلك ولم يأخذ منهُ شيئاً واستدعى من بقى من الكهنة وأمرهم بدفن المقتولين وتنظيف القدس وتطهيره وأن يقربوا فيهِ القرابين على عادتهم ثم خرج بمبيوس فملّك هركانوس

---

(١) قيل أن أريحاإنما سميت بهذا الأسم لأنهُ مشتق من الرائحة وذلك لطيب ريح البلد لكثرة البلسان فيها،وأنهُ كان من قديم الزمان لا يوجد إلا بها.وكان كثير من الملوك قد نقلوا منهُ إلى بلادهم فلم يفلح منهُ شيُ إلا ما نقل إلى مصر،وبقيت أشجار البيلسان فى أريحا حتى خربت القدس فى المرة الأخيرة حيث جف وذبل،ولكنهُ بقى فى مصر حتى هذا اليوم.وقد أخبر بعض العلماء الفضلاء أنهُ وقف على هذا الكتاب يونانياً،وقرأهُ بدقةٍ وتفحص صفحاتهُ وقال عنهُ أنهُ كتاب كبير جداً،وحاشا مصنفهُ يوسيفوس أن يكتب إفكاً أو يميل إلى التعصب وذلك لأنهُ كان فيلسوفاً منصفاً، ما تكلم قط بغرض وإنما اليهود حذفوا من الكتاب أكثرهُ.وذلك أن يوسيفوس عندما كتبهُ فى مدينة رومية باللغة اليونانية،وقد نقل منهُ اليهود إلى اللغة العبرانيةِ ما وافقهم وحذفوا منهُ أكثرهُ سيما أخبار تدل على ولادة ربنا يسوع المسيح وقتل هيرودس لأطفال بيت لحم وعن أعمال يوحنا المعمدان والإشارات الدالة على المصلوب فى أيام طيباريوس قيصر أنهُ هو الإله، وأمور أخرى كثيرة حذفوها.

على اليهود وقيد ارسطوبولوس وقتل كثيرين من أصحابهِ وأزال يد اليهود عن الأمم الذين كانوا تحت طاعتهم ورد بلدانهم لهم وهى المدن والضيع والكور والاعمال من أودية وسهول وجبال كان المكابيون الكهنة بنو حشمناى قد ملكوها بسيوفهم من الأمم وجعل على اليهود خراجا يحملونه إلى رومية كل سنة . ثم ارتحل بمبيوس إلى أورشليم راجعا إلى رومية واستخلف هركانوس وانتيبطرس وجعل معهما قائداً من أصحابهِ يقال لهُ كينانوس وحمل معهُ ارسطوبولوس مقيدا مع ابنين لهُ وتخلف لهُ فى البلد ولد آخر يسمى اسكندر لأنهُ هرب ولم يهتم بمبيوس أن يظفر بهِ.

فلما سار عن أورشليم مضى هركانوس وانتيبطرس وشكاروس إلى العرب ليدعوهم إلى طاعة الروم فلما علم اسكندر بن ارسطوبولوس ذلك وأن هركانوس عمهِ قد خرج عن مدينة القدس جاء ودخل مدينة أورشليم فى السر من الموضع الذى كان مختفيا فيهِ فتلقاهُ أهلها وأكرموه وملّكوه عليهم وبنى ما كان بمبيوس هدمه من سور المدينة واجتمع إليهِ خلق كثير فلما عاد هركانوس ومن معهُ إلى أورشليم خرج اليهم اسكندر وحاربهم فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً.

(خبر كينانوس الرومى)

(٥٧ ــ ٥٣ ق ٠ م)

وكان قائد من قواد الروم يقال لهُ كينانوس قد خرج من بلاد رومية يريد بلاد سوريا فلما بلغه ما فعله اسكندر بن ارسطوبولوس سار إلى أورشليم لمحاربته وإنضاف إليهِ هركانوس ومن معهُ، فخرج إليهِ اسكندر من أورشليم ليحاربهم فهزموه ففر هاربا إلى حصن يسمى اسكندرونة فتحصن فيها، فحضر كينانوس إليهِ فحاصره وضيق عليهِ فخرج إليهِ اسكندر مستأمناً فقبله وأحسن إليهِ . وفى ذلك الزمان هرب ارسطوبولوس اخو هركانوس وأبوا اسكندر هذا من رومية ومعهُ أحد أولادهُ وهو انتيغونوس وجاء إلى بلد اليهودية. فاجتمع إليهِ خلق كثير، ولقى كينانوس وحاربهُ فهزمه كينانوس وقتل أكثر رجالهِ وأخذه مأسورا محمولا إلى رومية فلم يزل محبوسا بها إلى أن تغلب قيصر على ملك رومية وطرد الشيخ منها وقتل أصحابهُ كما سيأتى،ثم بلغ قيصر أن بمبيوس قد جمع العساكر لمحاربته فأطلق ارسطوبولوس من الحبس واحسن إليهِ وضم إليهِ قائدين فى اثنى عشر الف رجل، وأمرهُ أن يمضى إلى بلد الشام وإلى بلد اليهودية فيرد القاطنين بهما إلى طاعتهِ من طاعة بمبيوس ويوافقهم على أن يعينوه على بمبيوس، فلما خرج ارسطوبولوس من رومية خاف بمبيوس فكتب إلى انتيبطرس يأمره بأن يحتال عليهِ ويكفيهُ أمرهُ، فاستدعى انتيبطرس قوماً من وجوه أهل أورشليم وأمرهم أن يمضوا فيلاقوا ارسطوبولوس ويقولوا لهُ أنهم رسل من أهل أورشليم ارسلوهم للقائه والسلام عليهِ وأعطاهم انتيبطرس سما قاتلا وأمرهم بأن يحتالوا حتى يسمّوهُ. فسار القوم إلى ارسطوبولوس فتلقوهُ ببلد الشام، فقبلهم وأكرمهم فأقاموا أياماً، ثم دققوا الحيلة إلى أن أسقوه ذلك السم فمات ودفن ببلد سورية.وكا مدة مُلكهِ إلى أن أسر فى الدفعة الأولى ثلاث سنين ونصف. وكان رجلاً بهياً شجاعاً كريماً مفضالاً، وقد كان كينانوس قبل ذلك كاتب الشيخ صاحب رومية عمل على

اطلاق من بقى من أولاد ارسطوبولوس برومية لأن أمهِ سألتهُ فى ذلك فأطلقهم وعادوا إلى أورشليم. وكان لما بعد بمبيوس عن القدس نقضوا ما كانوا وافقوه عليهِ من الطاعة للروم فسار كينانوس اليهم وحاربهم وإنتصر عليهم وردهم إلى طاعة الروم.

ثم بلغه عن أهل مصر أنهم عصوا ملكهم بطليموس وطردوه وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم فسار اليهم كينانوس ومعهُ انتيبطرس وحاربهم وقتل منهم عدد كبير ورد بطليموس إلى مُلكهِ واستقام أمر أهل مصر وعاد كينانوس إلى أورشليم فجدد المُلك لهركانوس على اليهود وقدم انتيبطرس ورفع منزلته ثم عاد إلى رومية.

(خبر كرسوس الرومى)
(٥٣ - ٤٩ ق.م)

فلما عاد كينانوس إلى رومية عصت العجم على الروم فبلغ الروم ذلك فوجهوا بقائد جليل من قوادهم يقال لهُ كرسوس فسار من رومية بعسكر كبير وجاء إلى أورشليم فدخل بيت الله عزَّ وجلَّ وطالب الكهنة بأن يعطوه جميع ما فيهِ من الأموال. وكان الكاهن الأكبر فى ذلك الوقت رجلاً يقال لهُ العازر وكان صالحاً ذا فضل فقال لكرسوس أن الملوك فى كل زمان يعظمون هذا البيت ويجلّونه. فكيف تختار أنت أن تاخذ منهُ أمواله وكيف تستجيز ذلك وتستصوبه وبمبيوس وكينانوس وغيرهما من عظماء الروم لم يفعلوا ذلم ولا استجازوه ولا رضوه؟ فقال كرسوس لابد لى منهُ ولج فى أخذهِ، فقال لهُ الكاهن عاهدنى أنك لا تمد يدك إلى شئ مما هو للهيكل وأنا أعطيك ثلث مئة منٍّ من الذهب فعاهده كرسوس على ذلك وكان فى الهيكل سبيكة من الذهب قد صنعت على مثال الحية حسنة الصنعة وكانت فى بعض الخزائن ممدودة فى الحائط إلى الحائط قد جعلت هناك ليلقى عليها ما ينزع من ستور القدس ليجدد منها عوضه وكان وزنها ثلث مئة من الذهب ولم يكن أحد يعلم بها غير العازر لأنها كانت مغطاة بما قد طرح عليها من الستور على ممر السنين فاعطاها لكرسوس فلما أخذها نقض ما عاهده وغير فيما قالهُ وقبض على خزائن القدس وأخذ جميع ما كان فيها من المال وكان مبلغ ذلك الفى بدرة، لأنهُ مال كان قد اجتمع منذ زمان البيت الثانى إلى ذلك الوقت من نذور اليهود ومن غنائم قد غنموها ومما كانت الأمم تحمله إلى هيكل الله وأخذ من آلات البيت المقدس مثل ذلك وسار بعد ذلك إلى العجم ليحاربهم فهزموه وظفروا بهِ وبعسكره وقتلوه فى يوم واحد، وغنموا جميع ما كان معهم، ثم غلبوا على جميع بلاد سوريا وعلى بلاد الروم. فلما علم الروم بذلك وجهوا بقائد يقال لهُ كسيلو فى عسكر كبير، فسار إلى بلد الشام وقتل من كان بها من العجم ورد السريان إلى طاعة الروم ثم سار إلى أورشليم فوجد اليهود يحاربون هركانوس وانتيبطرس فنصرهما ومنع عنهما من كان يحاربهما من اليهود وأصلح بينهم . ثم سار إلى العجم أيضاً فقهرهم وردهم إلى طاعة الروم ورد إلى طاعتهم اثنين وعشرين ملكاً كان بمبيوس الكبير قد قهرهم والزمهم طاعة الروم ولكنه لما سار إلى بلاد الشرق عصوه بعد ذلك.

(ذكر ابتداء مُلك قيصر الملك على الروم وتغلبه على الملوك)
(وطرده الشيخ من رومية)
(٤٩ - ٤٤ ق . م)

كان فى رومية رجل من الثلث مئة والعشرين المدبرين الذين مع صاحب رومية الذى يسمى الشيخ وكانت لهُ امرأة حال فلما حضرتها الولادة ماتت قبل أن تلد وكان الولد حينئذ يضطرب فى بطنها فشقوا جوفها واخرجوه فعاش وكبر فسمى يوليوس قيصر لأنهُ ولد فى الشهر الرابع من السنة.

ولما كبر قيصر كان شجاعاً جباراً وفى ذلك الزمان عصى أهل المشرق على الروم وأهل المغرب، فوجهت الروم قيصر إلى المغرب، لما رأوا من شجاعتهِ واقدامه على الحروب ليحارب من فيهِ من الملوك لأنهم كانوا قد عصوا عليهم فسار اليهم قيصر فظفر بهم وفتح فى المغرب فتوحات كثيرة وردهم إلى طاعة الروم . ثم عاد إلى رومية بعزٍ عظيم وأمر قوى، فتداخله الاعجاب والكبر وحدث نفسهِ بالمُلك وطالب أهل رومية أن يسمُّوه ملكاً فقال لهُ الشيخ والثلث مئة والعشرون الذين كانوا مدبرين مع الشيخ أن هذا ليس بممكن فقال لهم لماذا أجابهُ الشيخ والذين معهُ إن اسلافنا الاولين وآباءنا المتقدمين كانوا قد تحالفوا أنهم لا يملكون عليهم ملكاً بسبب ما جرى من تركوين الملك، وجعلوا ذلك عهداً لازما لهم ولأولادهم على ممر الاجيال، ومنذ ذلك الزمان وإلى هذه الغاية لم يعودوا يلقبوا أحد ممن ولى أمرهم ملكاً ولم يطلب ذلك أحد ممن فتح الفتوح وغلب الملوك، وقد مضى بمبيوس الكبير إلى المشرق فغلب اثنين وعشرين ملكاً وفتح مدنا كثيرة وأطاعه اليهود مع عظم أمرهم وشدة بأسهم فما طلب ما طلبت أنت ولا يجوز لنا أن نجيب لما فيهِ حنث وعدول عن تأكيد العهود والايمان ونقض وصايا السلف وشروطهم لما فى ذلك من الخطر والمضرة.

فلم يحتسب هذه الكلمات شيئاً ولا انثنى عن عزمه بل تجرد لقتالهم ومحاربتهم، فطرد الشيخ من المدينة وظفر بالثلث مئة والعشرين المدبرين الذين كانوا معهُ وقتلهم وتغلب على الدولة وسمى ملكاً ولقّب قيصر أيضاً . وكان بمبيوس فى ذلك الوقت بمصر فلما بلغه ما فعل قيصر جمع عسكرهُ وسار إليهِ ليحاربهُ، فلقيهُ قيصر وتحاربا وإنهزم بمبيوس وقتله قيصر واستولى على جميع مُلك الروم وأعمالهم. ثم أراد قيصر أن يمضى إلى مصر لأن قواد بمبيوس وأصحابهُ كانوا قد عادوا إلى مصر وكانوا فى قوة وجمع كبير ورأى أن يمضى إلى بلاد سورية أولاً ليملكها فلما علم متردات ملك السريان بمجيئه استقبله وأعلمه أنهُ طائع ممتثل لأمرهُ فأمره قيصر أن يسير إلى مصر لمحاربة من بها من قواد بمبيوس. فسار متردات كما أمرهُ قيصر وجاء من بلاده حتى نزل على عسقلان وكان هركانوس لما بلغه خبر قيصر ومسيره إلى بلد الشام خاف منهُ لأن هركانوس كان معروفا بطاعة بمبيوس وموالاته فرأى من الصواب أن يفعل أمراً يتقرب بهِ إلى قيصر فوجه بانتيبطرس صاحبهِ بعسكر كبير

صحبة متردات ملك السريان إلى عسقلان فقبلهُ متردات وأكرمه وسارا جميعاً إلى مصر، فلقيهم عسكر المصريين بقوة عظيمة وكانت بينهم حروب استظهر فيها المصريون وإنهزم متردات وأحاطوا بهِ ليقتلوه فاستخلصه انتيبطرس منهم وثبت انتيبطرس ورجاله منتصبا لمحاربة المصريين فهزمهم وفتح مصر ودخل متردات إلى البلد واستولى عليهِ . أما انتيبطرس فأصابه فى الحرب جراحات كثيرة وظهر من صبره وشجاعته ما حمده بسببه متردات وكتب إلى قيصر يخبرهُ بذلك بأن انتيبطرس هو الذى تولى الحرب وفتح مصر،فلما قرأ قيصر كتاب متردات ملك الشام شكر انتيبطرس على فعلهِ وحسن موقعه منهُ وأرسل إليهِ يستدعيه. فصار إليهِ انتيبطرس مع متردات فتلقاه بدمشق فلما رآه أكرمه وقدَّمه ووعده بالجميل . وكان انتيغونوس ابن ارسطوبولوس قد لقى قيصر متظلما من هركانوس عمهِ ومن انتيبطرس وذكَر قيصر بما كان من أمر أبيهِ ارسطوبولوس لما بعث بهِ من رومية لمحاربة بمبيوس، وقال أن هركانوس وانتيبطرس احتالا عليهِ حتى قتلاه لما أراد معاونة بمبيوس وميلهما معهُ ومعاداتهما لك فاستدعى قيصر انتيبطرس فسأله عن ذلك . قال انتيبطرس قد كنت لعمرى محبا لبمبيوس لأنهُ كان صاحب جيش الروم وعظيمهم وكان مستوليا علينا ومحسنا الينا غير إنى لم أحارب المصريين فى هذا الوقت ولا صبرت على ما لقيته من البلاء العظيم فى مكافحاتهم طاعة منى لبمبيوس وهو ميت وإنما فعلت هذا طاعة لقيصر وخدمة لهُ، ثم كشف رأسهُ وبدنهُ فأراهم ما فيهما من الجراحات والآثار الظاهرة وقال هذه تشهد لى أن محبتى لقيصر وطاعتى لهُ تزيد على طاعتى التى كات لبمبيوس كثرة وتوقيراً لأنى كما يعلم كل أحد لم أمض معهُ لنصرتهِ فى محاربة الملك قيصر.

فلما سمع الملك قيصر كلام انتيبطرس واحتجاجه أعجبه ذلك، فقال لهُ ببشاشة وابتسام دامت لك السلامة يا جبار اليهود ولجميع محبيك، حقا يقينا لقد ظهرت شجاعتك وتبينت جبروتك وشهدت هذه الآثار فى جسمك على خالص ودك وإثبات أمانتك وحرصك على طاعتنا، وكثرة اجتهادك مع ما بلغنا فقد قدمتك على جميع أصحابى وعقدت لك الرياسة على جيوشى وعسا كرى وأريد أن تسير معى إلى بلاد المشرق فانى متوجه اليها لمحاربة العجم فتكون معى إلى أن أعود منها وتعود بعدها إلى بلادك. ثم سار قيصر لمحاربة الفرس وسار معهُ انتيبطرس فظهر من شدة بأسهِ وعظم شجاعته وحسن آثارهِ ومناصحتهِ ما زاد فى ميل قيصر ومحبتهِ لهُ وأكثر من إكرامهِ وإجلالهِ. ولما عاد من بلاد العجم رده إلى بلده على أحسن حال وأجلّها، ثم عاد قيصر إلى رومية واستقامت امور هركانوس فى أورشليم وعظم شأنهُ وسار فى الناس أحسن السيرة وأجملها وكان خيراً فاضلا إلا أنهُ كان جبانا متخلفا عن لقاء الحروب وتدبير الجيوش، يميل إلى الدعة ويأثر السكون والهدوء وقد عُرف بذلك وطبع عليهِ واشتهر فيهِ.

(ذكر ابتداء هيرودس بن انتيبطرس)
(٤٨ – ٤٠ ق . م)

ولما رأى انتيبطرس ضعف رأى هركانوس ووهنه وبرودة عزمهِ، استولى على الدولة هو وأولاده فجعل فيلو إبنهُ الأول ناظرا على أورشليم وهيرودس إبنهُ الثانى واليا على جبل الجليل، وكان عمر هيرودس فى ذلك الوقت خمس عشرة سنة وكان أكثر الأمر والنهى لانتيبطرس وأولاده ولم يكن لهركانوس سوى الاسم. وكان فى ذلك الزمان رجل اسمهُ حزقيال شجاعاً جباراً ذا عزٍ وكان قد اجتمع لهُ جماعة مثله وكانوا ينهضون فى كل وقت إلى بلد الشام وديار السريان فينهبون أموالهم ويقتلون منهم ويخربون بلادهم إلى أن عظمت نكاياتهم فيهم وأذيتهم لهم وكان الملك قيصر قد ولى ابن عم لهُ يدعى سفنوس، فلما نظر ما جرى على أهل بلد الشام والاعمال التى تحت نظره من حزقيال وذويه خاف منهُ وكتب إلى هيروس بن انتيبطرس يقول أنت تعرف محبة الملك قيصر لأبيك وإحسانه إليك وطاعة أبيك لقيصر ومناصحته لهُ ومحاربته لاعدائهِ ويليق بك أن تسلك طريق أبيك فى أعماله وقد بلغك ما يفعله حزقيال وأصحابهُ باهل بلدى فأريد من شهامتك أن تحتال عليهِ وتكفينا أمرهُ، فإن الملك قيصر يشكرك على ذلك ويحسن إليك ونحن أيضاً لا نقصر فى مجازاتك . فلما ورد الكتاب إلى هيرودس سار من جبل الجليل فى أصحابهِ فوافى حزقيال راجعا من بلد الشام وهو مطمئن فحاصره هيرودس وقتله وقتل أصحابهِ وكتب إلى سفنوس نسيب قيصر يعلمهُ بذلك فبعث إليهِ سفنوس مالاً كثيراً وحمل إليهِ عظماء الروم هدايا جليلة وأموالا جزيلة، وشكروا هيرودس على ما فعلهُ. فقوى أمر هيرودس وانتشر ذكره وكثرت رجاله وكان لما بلغ اليهود قتل حزقيال عظم عليهم واجتمعوا إلى هركانوس وقالوا لهُ إلى متى تصبر لانتيبطرس ولأولاده على ما يفعلونه وقد رضيت أن تكون المملكة بيدهم ويحكموا فيها ويتصرفون كما يشاءون ويريدون بغير أمرك وليس لك معهم غير الاسم فقط . أما انتيبطرس فإنهُ يتقرب إلى قلوب الملوك بأموالك وإبنهُ فيلو يفعل ما يهوى ويختار فى مدينتك بغير علمك وخلوا من رأيك . وأما إبنهُ الآخر هيرودس فقد استولى على جبل الجليل ولم يقنع بذلك حتى قتل حزقيال الجبار التى كانت الأمم تهابه وتخشاه وتتقيهِ، وكان يحسن إلى قومهِ ولم يكن لهُ ذنب يستوجب بهِ القتل، وانما قتله ليقرب بهِ إلى القبائل الغرباء ويستفيد منهم الأموال والهدايا، وهو فى ذلك ظالم مستوجب القتل فيجب عليك أيها الملك أن تحضره إلى الحكام ليقضوا عليهِ بالجواب. ولم يزالوا يكرروا على هركانوس هذا القول فى كل وقت ويجعلوا أمهات الشباب الذين قتلوا مع حزقيال ونساءهم يتلقَّينهُ كلما عبر فى أبواب القدس ويصرخن ويبكين ويتظلمن إليهِ فى هيرودس ويسألنهُ بنحيب أن ينتصر لدماء المقتولين ظلما بغير سبب . فلما طال ذلك على هركانوس كتب إلى هيرودس يأمره بالحضور بسرعة إلى أورشليم فحضر فى جماعةٍ من أصحابهِ وجاء إلى مجلس الحكم بحضرة السبعين شيخا وعليه لباس موشى وقد أصلح شعرهُ ورصف طرَّتهُ على

جبهتهِ وتقلد سلاحه وأصحابهُ حوله بلباس حسن متقلدين السلاح. ثم حضر هركانوس وهم على تلك الحالة فعظم هيرودس فى نفوسهم وهابوه وتوقفوا عن الحكم عليهِ وكذلك كل من يذمه فى غيبته ويطعن عليهِ ويتكلم بهِ امسكوا عنهُ لما حضر ولم يلفظوا بشئ مما كانوا يتكلمون بهِ قبل ذلك . ثم تردد الكلام بين الشيوخ وبين هركانوس وبين هيرودس إلى أن ابتدأ الحكم يتوجه عليهِ بالحق فلما رأى هركانوس ذلك قال للشيوخ الصواب أن تكفوا عن هذا الأمر اليوم وإذا كان غدا عدنا فنظرنا فيهِ إنما أراد هركانوس بهذا أن يدافع ويمانع عن وجوب الحكم على هيرودس ويفسخ المجلس . وكان شماى تلميذ الشيخ هِلِيل حاضراً فاستعظم ما جرى وقال للشيوخ أنا أعرف أن كل من عليهِ حكم إذا حضر إلى الشيوخ إنما يحضر إلى الحكم وقد لبس السواد وهو شعث الرأس خاضعاً متذللاً لله وقد رأيت أمور هذا الشاب أعنى هيرودس قد حضر بخلاف هذه الصفة وما يفعل شيئاً مما يفعله أحد المذنبين من الخضوع والانخفاض، بل أحضر معهُ أصحابهِ كلهم متدرعين بالسلاح واللباس الحسن وما فعل ذلك إلا من جهة تهاونهِ بالحكم والحكّام ولأنهُ قد عول على أنهُ إن وجب عليهِ حق دفعه عن نفسهِ وقتل من يحكم بهِ عليهِ وما العجب منهُ هو فيما فعل لأنهُ يريد الغلبة وأن يدفع عن نفسهِ القتل وانما تعجبى منكم أيها الحكام كيف تركتموه يمثل لدى مجلس الحكم بهذا الزى ولم تنكروا عليهِ ذلك وتمنعوه منهُ وأبدع من ذلك انكم حشّمتموه ووقّرتموه وعظّمتوه بغير واجب وتوقفتم عن الحكم عليهِ بالجواب، حقا أقول لكم أنهُ سوف يأتى زمان يملك فيهِ هيرودس هذا عليكم ويتحكم بما يريد ويختار فيكم ويسفك دماءكم ويستبيح بيوتكم ونعمكم ولا يُبقى على هركانوس الذى حاباه ودفع عنهُ الحكم بل يقتله ويأخذ الحكم منهُ . ثم نهض هركانوس إلى منزله وانصرف الشوخ وجميع من حضر ذلك المجلس فلما كان فى تلك الليلة خرج هيرودس من المدينة وذهب إلى بلد الشام إلى سفنوس صاحب قيصر وأقام عندهُ فأكرمه سفنوس وقدمهُ على جميع السريان.



مائدة خبز الوجوه ومذبح البخور

(ذكر مراسلة هركانوس ملك اليهود لقيصر ملك الروم)
(ونسخة العهد الذى كتبهُ لهُ قيصر)

وأرسل هركانوس إلى قيصر ملك الروم رسلا وكتب معهم إليهِ كتابا يسأله أن يجدد العهد الذى بينه وبين الروم فلما وصلت رسل هركانوس إلى قيصر أكرمهم وأمرهم بالجلوس بحضرتهِ بخلاف سائر من كان يرد إليهِ من رسل الملوك وقضى حوائجهم وأحسن اليهم وأجاب هركانوس عن كتابهِ وكتب إليهِ عهداً وهذه نسخته:

"من قيصر ملك الملوك إلى روساء الروم الذين فى صور وصيدا سلام عليكم اعلموا أن كتاب هركانوس بن اسكندر وصلت إلى فسرنى ورودها وذكره من محبتهِ ومحبة قومهِ لهُ ولأمة الروم وقد عرفت صدقهِ لأنهُ وجه بصاحبه انتيبطرس فارس اليهود وجبارهم مع متردات صاحبى فحارب جيوش المصريين وردهم إلى طاعتى واستخلص متردات صاحبى من الموت . ثم سار قدامى إلى بلد العجم ففتح قدامى فتوحات كبيرة ولم يتأخر فى المساعدة لاصحابة والنصيحة لى وقد أمرت بأن يحمل جميع الساحل من غزة إلى صيدا ما لنا عليهم من الخراج فى كل سنة إلى بيت الله العظيم الذى فى أورشليم وأمرت أن أهل صيدا يحملون إلى بيت الله هذا نفسهِ مع خراجهم عشرين الف مد حنطة فى كل سنة وأمرت أن ترد اللاذقية وسائر أعمالها وكل ما كان بيد اليهود إلى شط الفرات مع ما كان المكابيون بنو حشمناى فتحوه من جانب الفرات الآخر يرد جميع ذلك إلى هركانوس بن اسكندر ملك اليهود لأنهُ مما اخذوه آباؤكم بسيوفهم وكان بمبيوس قد تعدى فى ذلك باخراج هذه المواضع عن يد ارسطوبولوس وهركانوس وهى من الآن لهركانوس ولمن بعدهُ من الملوك وهذا العهد فهو عنى وعن كل ُملك يملك على الروم بعدى فمن خالفه ونقضه أو غير شيئاً منهُ كانت اللعنات حالة عليهِ ونازلة بهِ وبأولاده وبلاده فإذا قرأتم كتابى هذا فإنسخوه فى الواح من نحاس بلسان الروم واليونانيين وعلّقوا الالواح فى هيكل الهنا العظيم ديوس أى المشترى فى صور وصيدا ليراها كل أحد فيعلم حينئذ ما جعلت لهركانوس واليهود من المواثيق والعهود.

(خبر قتل قيصر هذا ملك الروم)
(٤٤ ق . م)

ولما استقام مُلك قيصر واطمأن من جميع الجهات وثب عليهِ قائدان كبيران من أصحاب بمبيوس كانا قد صارا معهُ احدهما يسمى كيساوس والآخر بروتس فقتلاه وإستولى كيساوس على المملكةِ، وجمع عسكرا عظيماً ثم خاف على نفسهِ من الإقامةِ فى رومية، فعبر البحر وجاء إلى بلاد آسيا ففتحها، ثم جاء إلى بلاد يهوذا وطالبهم بسبعين بدرة فجمعها انتيبطرس وبنوه من بلدان اليهود وحملوها إليهِ فأخذها ومضى إلى مكدونية فأقام بها خوفا من أهل رومية.

(خبر قتل انتيبطرس)
(٤٣ ق م)

ثم أن روساء اليهود عملوا على قتل انتيبطرس وأوقفوا على ذلك قائداً كبيـراً من قوادهم يقال لهُ ملكيا، وذلك بأن وشى إلى صاحب شراب الملـك وأعطـاهُ مـالاً جزيلاً وسلم إليهِ سما قاتلا وطلب منهُ أن يسقيه لانتيبطرس إذا حضر مجلس الشراب عند هركانوس الملك ففعل الساقى. فلما تجرع انتيبطرس كأسا ممزوجـة اسـتكدت أمعاءهُ إلى الخروج فمات شر ميتةُ فسبحان الحاكم الذى لم يغفل عن حـق المظلـوم حتى انتقم لهُ من الظالم إذ كافأ انتيبطرس بما فعله بأرسطوبولوس. وكما سـمَّهُ فـى الشراب ولم يشعر كذلك سُقى كأسا مهلكة . فلما مات انتيبطرس لم يكن لهركـانوس علم بشئ مما جرى فى أمرهُ ولا كان لهُ رأى بالجملة فى هلاكه . فلمـا بلـغ إبنـهُ هيرودس ما جرى على أبيهِ من ملكيا جاء إلى أورشليم ليقتله فمنعه عن ذلك أخـوهُ فيلو لأنهُ علم أن ذلك يثير فتناً ويسبب هياجاً وأشار أن يقتلهُ بالحيلة.

(خبر قتل ملكيا)

فمضى هيرودس إلى كيساوس فعرّفهُ ما فعلهُ ملكيا، فقال لهُ إذا صرت إلـى صور وحضر عندى هركانوس وحضر عندهُ ملكيا فثب عليهِ وأقتلـه فلمـا صـار كيساوس إلى صور سار إليهِ هركانوس وملكيا معهُ وحضرا جميعاً بحضرة كيساوس فى دعوةِ دعاهم كيساوس فيها مع جميع خاصة أصحابهِ وقد كان تقدم كيساوس إلـى خاصة غلمانه أن يمتثلوا ما يأمرهم بهِ هيرودس. وحضر هيرودس وأخوه فى جملـةِ خاصة هركانوس وقد كان هيرودس قد إتفق مع عدد من الغلمان عل قتـل ملكيـا إذا غمزهم عليهِ فلما أكل هركانوس وأصحابهُ وشربوا، ناموا فى وقـت الظهـر، فلمـا استيقظوا من نومهم قدم هركانوس إلى من فرش قدام باب المجلس الذى نـاموا فيـهِ فرشاً تحت السماء وجلس عليهِ وأمر ملكيا بالجلوس معهُ وأجلس هيـرودس وأخـاه أيضاً ووقف غلمان كيساوس قدام هركانوس فغمزهم هيرودس على ملكيا فبطشوا بهِ للوقت وقتلوه. فخاف هركانوس جداً وغشى عليهِ فلما تنحى غلمان كيساوس ونحـى ملكيا المقتول أفاق هركانوس فسأل هيرودس عن سبب ما جرى من قتل ملكيا، فقـال هيرودس ما عندى من ذلك علم ولا أدرى ما السبب فيهِ فامسك هركانوس ولم يُعِد فى ذلك شيئاً.

ثم ورد الخبر على كيـساوس أن كينـانوس ابـن أخـى قيـصر المقتـول وانطونينوس صاحب جيشه قد خرجا من رومية لمحاربتهِ فى عسكر كبيـر يـصعب احصاؤها لكثرتها. فسار مسرعا إلى مكدونيا فلقيه كينانوس وانطونينـوس فحـاربوه وظفرا بهِ وقتلاه وملك كينانوس مكان عمهِ قيصر وسُمىَ اغـسطس لأنـهُ زاد فـى سلطانه وملكهِ على من تقدمهُ وسمى أيضاً قيصر باسم عمهِ فصار كثير مـن ملـوك الروم بعدهُ يسمون بهذا الأسم أعنى قيصر واغسطس . فلما عرف هركـانوس ملـك

اليهود بقتل كيساوس وملك اوغسطوس وانطونينوس صاحب جيشهِ أرسل رسلا بهدايا جليلة فيها تاج من ذهب مرصع بالجواهر النفسية وكتب إلى اوغسطس يسألهُ تجديد العهد الذى كان بينه وبين قيصر المتوفى وأن يأمر باطلاق كل من سبى مأسورا من اليهود فى أيام كيساوس وأن يأذن لهم ولجميع اليهود الذين فى بلد اليونانيين وبلاد آسيا فى الرجوع إلى بلادهم وإن لا يعارضوا فى ذلك ولا يمنعوا منهُ. فلما وصلت الرسل والهدايا إلى اوغسطس أكرم الرسل وقبل الهدية وأجاب هركانوس إلى طلبهِ وكتب **إليهِ كتاباً وهذه نسخته:**

"من اوغسطس قيصر ملك الملوك وانطونينوس صاحب جيشه إلى هركانوس ملك اليهود السلام عليك قد وصلنا كتابك وسررنا بهِ وأمرنا لكم بما طلبته فيهِ من تجديد العهد والمكاتبة إلى جميع أعمالنا التى من الهند إلى بحر أوكيانوس الذى فى المغرب والذى منعنا أن نبتديكم بالكتابة وتجديد العهد اشتغالنا بمحاربة كيساوس الظالم الذى تعدى على قيصر الملك وقتلهُ، فلم نجد بدّاً من محاربتهِ والمطالبة لهُ بدم قيصر إلى أن ظفرنا الله بهِ فقلناه واستأصلنا جميع أنسبائهِ وأعوانهِ الظالمين وخلصنا بلاد آسيا منهُ بعد أخذهِ لها وإهلاكهِ أهلها بظلمهِ وسوء سيرتهِ. فليعظم سرورك أيها الملك هركانوس وجميع الكهنة الذين فى هيكل الله وسائر اليهود بذلك واقبلوا الهدية التى أرسلناها إلى الهيكل الجليل وإدعوا ببقاء الملك اوغسطس وسلامته. وقد كتبنا إلى سائر أعمالنا بأن لا يبقى سبى من سبى اليهود إلا ويطلق ويفسح لهم بالرجوع ولا يعارضهم أحد فى العودة إلى وطنهم وأرض آبائهم وذلك بأمر قيصر الملك وأمر انطونينوس صاحب جيشه" .

ثم أمر اوغسطس بمكاتبة عُمّالهِ بصور وصيدا بأن يردوا ما أخذوه من بلاد اليهود فى أيام كيساوس وأن يسالموا اليهود ولا يعارضوهم فى شئ من أمورهم ويمتثلوا إلى جميع ما كان قيصر رسمه فى عهدهِ الذى كان كتبه لهم . ثم سار اغسطس إلى رومية ودخلها وإحتلّها وملك بها، وسار انطونينوس صاحب جيشه إلى بلاد سورية أعنى الشام وسارت كليو بطرة ملكة مصر إلى انطونينوس وتزوج بها وكانت حكيمة متأدبة عالمة بالسحر والخواص حاوية علوم اليونان فاستمالت انطونينوس وملكت قلبهِ حتى أنهُ كان لا يخالفهما فى شئ مما تريدهُ. وفى ذلك الوقت مضى جماعة من أورشليم من رؤساء اليهود وأكابرهم إلى انطونينوس فتظلموا إليهِ فى هيرودس وفى فيلوا أخيهِ فسأل انطونينوس هركانوس وكان حاضراً عندهُ عما قالوا فكذّبهم هركانوس وأثنى على هيرودس وأخيه بالجميل لخوفه منهم وخشيتهِ هيبتهم، فسر انطونينوس ذلك ووافقهُ لأنهُ كان محباً لهيرودس وأخيهِ ولأبيهما. فأمر بالقبض على القوم الذين تظلموا فيهما وقتل جماعة منهم وزاد فى إكرامهِ لهيرودس وأخاهُ. ثم تظلم إليهِ قوم آخرون فى هيرودس فى وقت آخر وهو فى صور فلم يقبل لهم قولا بل قتل منهم وحبس الباقين ورفع شأن هيرودس وأخيه وأحسن اليهما وردهما إلى أورشليم على أحسن حال . وسار انطونينوس إلى بلاد العجم فقهرهم وصنع ما أراد فيهم ثم عاد إلى رومية.

(ذكر خروج انتيغونوس ابن ارسطوبولوس على عمهِ هركانوس)
(واستغاثتهِ بملك الفرس)
(٤٠ ــ ٣٧ ق . م)

فلما عاد اغسطس وانطونينوس إلى رومية مضى انتيغونوس مع جماعة من اليهود إلى ملك العجم فوعدهُ أنهُ سوف يرسل لهُ الف بدرة وثمان مئة جارية ابكارا من اكابر اليهود ورؤسائهم مقابل أن يعينه على أخذ الملك من عمهِ هركانوس وإن يسلمه إليهِ ويقتل هيرودس وفيلو أخاهُ. فوافقهُ ملك الفرس وأجابهُ إلى ذلك وسار معهُ فى عسكر كبير فجاء إلى أرض سورية وفتح مدنها وقتل من كان فيها من ولاة الروم وأصحابهُم وأقام بأرض الشام ووجه بقائد من قواده بعسكر كبير مع انتيغونوس إلى أورشليم وأمرهُ بأن يحسن السياسة ويظهر الرفق والجميل إلى أن يحتلَّ المدينة ويملكها ثم يقبض على هركانوس وعلى هيرودس وفيلو أخيهِ ويسلم المملكة إلى انتيغونوس ففعل القائد ما أمرهُ ملك العجم وسار مع انتيغونوس إلى أورشليم وأظهر أنهُ لم يأت لشئ من الامور سوى الموانسة لانتيغونوس ليدخل إلى بيت الله الههُ ليسجد فيهِ مصليا ثم يعود إلى بلاده راجعا فوافق أهل المدينة ذلك ولم يمنعوهم من الدخول بعد أن عاهدوهم وتوثقوا منهم فلما دخلوا المدينة غدروا وامتدوا فى القتل والنهب فهرب هيرودس إلى قصر الملك هركانوس وأغلقهُ ومضى فيلو أخوهُ إلى الحصن وأحكم ضبطهِ ومنع من كان خارج المدينة من العجم من الدخول اليها وعاد إلى من كان منهم فى بلاط المدينة فقتلوا بعضهم وهرب من بقى منهم إلى خارج المدينة حيث أصحابهم فلما رأى قائد ملك العجم أنهُ لم يبق لهُ حيلة وإن الذى أرادهُ لا يتم لهُ فيما بعد ارتأى أن يلاطف اليهود فيخدعهم فارسل إلى هركانوس وإلى هيرودس واخيه يستميلهم ويعتذر لهم مما جرى ويذكر لهم أنهُ لم يكن علم لهُ بذلك وإنهُ أيضاً قد شاهد من فضلهم وعظم بأسهم ما عظم بهِ فى نفسهِ قدرهم وإنهُ قد رغب لصاحبه فى أن يكونوا معهُ وأصحابا لهُ وأن يشير عليهم أن يأثروهُ على انطونينوس وإنهُ يجتهد أن يؤكد الحال فيما بينهم وبين صاحبهِ ملك العجم وحلف لهم على ذلك وعاهدهم عليهِ فأما هيرودس فلم يركن إلى قولهِ ولا وثق بهِ ولا قبلهُ، وأما هركانوس وفيلو فمالا إلى ملاطفاتهِ وانخدعا إلى كلماتهِ وخرجا إليهِ فاكرمهما وأظهر لهما الجميل وارتحل عن أورشليم وأخذهما معهُ . فلما وصلوا إلى بلاد الشام قبض عليهما أما فيلو أخو هيرودس فإنهُ قتل نفسهِ وأما هركانوس فقيدهُ وأمر انتيغونوس ابن أخيهِ أن يقطع أذنهُ حتى لا يصلح أن يكون أيضاً كاهناً. ثم عاد ملك العجم أيضاً إلى بلاده وحمل هركانوس معهُ فلما وصل إلى هناك أطلقه من القيد وأحسن إليهِ، وإستمرَّ مقيما فى بلاد العجم إلى أن استدعاه هيرودس وكان من أمرهِ ما سنذكرهُ فيما بعد.

ثم وجه ملك الفرس بصاحبهِ مع انتيغونوس ليملكهُ على اليهود فى أورشليم، فلما علم هيرودس بذلك وبلغه ما جرى على هركانوس وعلم بموت فيلو أخيهِ خاف أن يقيم فى أورشليم فأخذ أمهِ وزوجته مريم بنت ارسطوبولوس وأمها اسكندره وباقى عائلته وتوجه بهم إلى جبال الشراه وكان أخوهُ يوسف ابن انتيبطرس مقيما فيها، فأمر

هيرودس أن يجعل نساءهُ وعياله فى القلعة التى هنالك ويعد لهم ما يحتاجون إليهِ، وخلّف أكثر رجاله مع يوسف أخيهِ وأمرهم بحفظ عياله ومراعاتهم . ثم سار إلى مصر ليمضى إلى رومية فأكرمتهُ ملكة مصر كليو بطرة وانعمت عليهِ بمال كثير وأعطتهُ سفناً ورجالاً لتكون عوناً لهُ. وركب فى البحر إلى رومية فنزل عند صديقهُ انطونينوس صاحب جيش قيصر فأكرمه انطونينوس ولقيهُ بالجميل ثم أحضره قدام اغسطس قيصر وأعلمه بجميع ما عمله انتيغونوس وملك العجم فلما وقف الملك اوغسطس على ذلك اتفق رأيهُ ورأى انطونينوس ورأى الشيوخ برومية أن يملّكوا هيرودس على اليهود.

(خبر هيرودس لما ملكته الروم على اليهود)
(٣٧ – ٤ ق . م)

فاحضروا هيرودس وامروا بأن يجعل التاج على رأسه وأن يركب فى مدينة رومية ويضرب بين يديه بالابواق وينادى قدامهِ بأن اغسطس قد ملّك هيرودس على اليهود وبلد القدس ففعل بهِ ذلك وعاد إلى حضرة اغسطس ثم ركب اغسطس وانطونينوس وهيرودس وساروا إلى منزل انطونينوس لأنهُ كان قد صنع صنيعاً عظيماً دعاهما فيهِ ودعا الشيخ وسائر شيوخ رومية وكبراءها فاكلوا وشربوا وفرحوا مسرورين بمُلك هيرودس وعاهده اغسطس قيصر عهداً كُتِب فى الواح نحاسٍ وجُعِل معلقاً فى هيكل معبودهم لينظره الناس فى كل وقت ويعرفوا مما كُتِب أن ذلك اليوم أول مُلك هيرودس وجُعل من بعد ذلم أحد التواريخ التى يؤرخ فيها.

ثم سار انطونينوس فى البحر فى عسكر عظيم لمحاربة العجم وسار هيرودس معهُ فلما وصلا إلى انطاكية مضى انطونينوس مع أكثر العسكر إلى بلاد العجم ومضى هيرودس فى البحر مع بقية العسكر إلى الشام إلى محاربة انتيغونوس بن ارسطوبولوس، فلما علم انتيغونوس بذلك مضى إلى جبال الشراه ليقبض على عيال هيرودس وعلى أخيهِ يوسف وكانوا فى القلعة. فنزل عليهم انتيغونوس وحاصرهم ومنع عنهم الماء، فاشتد بهم العطش فعمل يوسف على الهرب وعمل القوم الذين فى القلعة على أن يفتحوا لانتيغونوس ففيما هم فى ذلك أتاهم فى تلك الليلة مطر عظيم وامتلأ منهُ جميع الأوانى والبراميل التى عندهم وشربوا فقويت قلوبهم وصلحت أحوالهم، وقام يوسف وثبت القوم، وإرتحل انتيغونوس عن القلعة ولم يستطع دخولها، وبلغ هيرودس الخبر فمضى إلى جبال الشراه ووافى انتيغونوس هناك وحاربهُ وخرج يوسف وأصحابهُ وحاصروا انتيغونوس فهلك أكثر عسكرهِ وهرب إلى مدينة القدس فتحصن فيها، فتبعه هيرودس فى عسكر عظيم من آل يهوذا اجتمعوا إليهِ من كل جهة لما وقفوا على عودته فاشتد عضده بهم وقلت حاجته إلى عسكر الروم. فلما بلغ هيرودس إلى مدينة القدس أغلق انتيغونوس أبوابها فى وجهه وتحصن بها وحاربهُ وأرسل إلى وجوه عسكر الروم مالاً جزيلاً وسألهم إلا يعاونوا هيرودس على محاربتهِ ففعلوا ذلك فما استضر هيرودس بذلك لكثرة من كان قد اجتمع إليهِ من اليهود، وطالت الحرب بين هيرودس وبين انتيغونوس ولم يتمكن أحدهما من الآخر.

الفصل السادس

(ذكر عودة انطونينوس من بلاد الفرس بعد قتلهِ ملك الفرس)
(ولقاء هيرودس لهُ)
(٣٥ - ٣١ ق. م)

أما انطونينوس فإنهُ ظفر بملك الفرس وقتلهُ وملّك عليهم بعدهُ من أراد ورد الفرس إلى طاعة الروم ثم عاد من بلاد الفرس، فنزل على الفرات فلما علم هيرودس بعودته استخلف أخاهُ يوسف مع قواد الروم لمحاربة انتيغونوس ومحاصرته فى مدينة القدس ومضى هو إلى انطونينوس فلما لقيه هنَّأهُ بالظفر وطلب منهُ أن يعينهُ على انتيغونوس، فأكرمهُ انطونينوس ووجه معهُ قائداً كبيراً من أصحابهِ يقال لهُ سيساوس فى عسكر كبير وأمرهُ أن يمضى معهُ إلى مدينة القدس وكتب إلى السريان المقيمين ببلاد الشام وكل الشعوب من دمشق إلى الفرات ومن الفرات إلى بلاد ارمينيه يقول لهم أن اغسطس ملك الملوك وانطونينوس صاحبهُ والكهل الذى برومية قد ملّكوا هيرودس على آل يهوذا وهم يأمروكم أن ترسلوا مع هيرودس سائر رجالكم الشجعان لمعونتهِ فإن خالفتهم ذلك كنتم أعداءً لنا . ثم سار انطنينوس إلى مصر على طريق الساحل وسار هيرودس مع سيساوس ومع عسكر الروم والسريان إلى أورشليم. وكان لما بلغ هيرودس إلى دمشق وُرد إليهِ كتاب يخبره أن فوقاس صاحب جيش انتيغونوس يحارب يوسف أخاهُ وقواد الروم الذين معهُ وقتل منهم الوفا كثيرة وقتل يوسف أخا هيرودس وأدخل بجمجمته إلى انتيغونوس فاشتراه أخوهُ فزدو بخمسين بدرة ودفنهُ وإن انتيغونوس وفوقاس صاحب جيشه قد سارا لمحاربته فلما بلغ هيرودس ذلك خلّف سيساوس مع عسكر الروم بدمشق وسار مع اثنى عشر الف رجل إلى انتيغونوس وفوقاس فلقيهما فى جبل الجليل فجرت بينهما حروب كثيرة وإنهزم انتيغونوس وهرب إلى القدس. وثبت فوقاس لمحاربة هيرودس وقد كان فوقاس فارساً شجاعاً جباراً من الأبطال مختاراً، إلاّ أن الحرب لما عظمت بينهما قُتِل فوقاس وأكثر رجالهِ وأخذ فزدو رأس فوقاس فقدمهُ لهيرودس فأمر بدفنه . ثم وافى سيساوس صاحب انطونينوس فسارا جميعا إلى مدينة القدس فنزلا عليها وجرت بينهما وبين انتيغونوس حروب كثيرة. فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس الذين كانوا فى بعض الابرجة فعلم بذلك قوم من أصحاب هيرودس فنصبوا السلالم وصعدوا فقتلوا الحراس ونزلوا إلى المدينة ففتحوا الابواب ودخل هيرودس وأصحابهُ وسيساوس وعسكر الروم فقتلوا مقتله عظيمة ولم يبقوا على أحد، فعظم ذلك على هيرودس وقال لسيساوس إذا قتلت قومى فعلى من تملّكنى فأمر سيساوس أن يرفع القتل ويكف. وحمل هيرودس مالاً كثيراً إلى سيساوس ليمنع الروم من النهب فمنعهم وأمرهم برد ما قد نهبوه من المدينة فردوه، وبعث سيساوس بتاج عظيم هدية لبيت الله عزّ وجلّ ليغفر لهُ عن جرمه إذ حارب مدينة قدسهِ فى هذه المرة فى الشهر الرابع وهو تموز فى السابع عشر منهُ وهو يوم الصوم.وأمر سيساوس بالقبض على انتيغونوس فقيّدوه وأحضروه لهُ وسار بهِ إلى مصر وسلمه إلى انطونينوس صاحبهِ، فحمل هيرودس مالاً كثيراً إلى انطونينوس

وسأله أن يقتل انتيغونوس فقتله وذلك فى ثالث سنة من مُلك هيرودس وهى السنة الثالثة أيضاً لانتيغونوس فلما قتل انتيغونوس أمن هيرودس واطمأن إذ لم يبق لهُ أحد **ينازعه من بنى المكابيين من آل حشمناى فملك على اليهود بقوة وأحسن إلى من كان** يميل إليهِ وقتل كل من يعانده وأخذ اموالهم ونعمهم، ثم غزا جميع الأمم الذين كانوا عصوا اليهود وخالفوهم فردهم عنفاً واقتساراً والزمهم حمل الخراج إليهِ غصباً وإجباراً فكثر ما لهُ وعظم قدره واعتز مُلكهِ وأمر حُراس مدينة القدس بفتيش كل من يخرج منها وكل ما وجدوه من فضة أو ذهب مع أحد أخذهُ وحملهُ إليهِ وأمر بتفتيش جنائز الموتى وأخذ ما احتيل باخراجه من المال فيها فأخذ مالاً عظيماً وجمع ما لم يجمعه ملك من ملوك البيت الثانى.

(ذكر عودة هركانوس من بلد الفرس وكيف قتله هيرودس الشرير)
(٣١ ق . م)

قد كنا تقدمنا فذكرنا أن ملك العجم قبض على هركانوس الملك وحمله إلى العراق وإنهُ أطلقهُ بعد ذلك وأحسن إليهِ وأقام بالعراق مع اليهود الذين كانوا هناك على أحسن حال وأجلّها، فخاف هيرودس من أن يفكّر هركانوس فى أن يُرجِع المُلك إليهِ فأراد أن يقتلهُ ويأمن شرّه. فحمل إلى ملك العجم هدية حسنة وكتب إليهِ يذكر لهُ فضل هركانوس عليهِ وشوقه إليهِ ويقول لهُ أن هركانوس عندى بمنزله الوالد المشفق لأنهُ ربّانى وأحسن إليّ وإلى أبى من قبلى وله على حقوق كثيرة وواجبات ليست بيسيرة، وأنا مضيت إلى رومية وتكلفت لقاء الحروب العظيمة لكى انتصر لهُ من انتيغونوس ابن أخيهِ الذى تعدى عليهِ وظلمهُ حتى أخذت بحقهِ منهُ وكفيتهُ أمرهُ، وإذ قد استقامت أحوالى فأنا أشاء أن أكافئهُ على إحسانهِ وأقضيهِ ما يجب لهُ علىّ من الايادى والافضال . ثم سأل ملك الفرس أن يأذن لهركانوس بالعودة إلى أورشليم ولا يمنعه من ذلك. وقال إنك إن منعتهُ ولم تطلقهُ استغثت بالروم على محاربتك كل وقت. فلما وصل الكتاب والهدية استدعى هركانوس وقال لهُ إن هيرودس قد استدعاك منى فإن احببت واخترت أن تمضى إليهِ فاذهب فإنى لست أمنعك غير إنى انصحك وأرى لك أن لا تتوجه إليهِ ولا تمضى نحوه فإن طلبهُ إياك ليس حتى يحسن إليك كما زعم وإنما مقصوده أن تقع بين يديهِ فيقتلك لكى يستريح منك فينبغى لك أن تحذره ولا تثق بهِ ولا تطمئن إليهِ فإنهُ رجل خبيث ذو مكر وهذه مشورتى وأنت أبصر بهِ بما ينفعك أو يضرّك.

ثم اجتمع مشايخ اليهود الذين هناك فمضوا إلى هركانوس وقالوا لهُ أنت شيخ كبير وقد علمت أنهُ لا يجوز لك فيما بعد أن تكهن بسبب العيب الذى قد أعابك بهِ إبن اخيك وهيرودس ذو خبث ودهاء وما طلبك لمحبة ولا استدعاك لمودة بل خوفه وحذره من حال تتفق لك فتعود إلى المُلك فأراد أن يستريح منك لأن المعروف من أخلاق الناس والمعلوم من سجاياهم على ممر الزمان وفى كل وقت وأوان أنهم لا يكافئون من أحسن اليهم فى زمان خملهم وتعذر أحوالهم ولا يوفون بالجميل الواصل اليهم فيما سلف ولا يحافظون عليهِ ولا يتذكرونه وذلك أن تيه السلطة وزهوها يغير

قلوبهم وينسيهم الوفاء والحفاظ، وأحوالك عندنا مستقيمة وأنت فيما بيننا مكرم ومعظم وموقر، كما أنهُ يحق علينا إجلالك فإذا مضيت إلى أورشليم لا تدرى كيف يجرى أمرك ويكون هيرودس متحكماً فيك فاثبت عندنا ولا تسلمهُ نفسك أما هركانوس فلم يمل إلى نصحهم ولا أذعن لقولهم بل سار من العراق إلى أورشليم لعظم شوقهِ إلى بيت الله عزً وجلً ولأنهُ كان ذا طوية سليمة لم يتهم هيرودس بل كان يراه بمنزلة الولد. فلما قرب من أورشليم استقبله هيرودس وأظهر إكرامه وإجلاله وإعزازه وكان يسميه فى مجلسه بحضرة كل أصحابهِ أبى ووالدى ولا يذكرهُ إلا بالتعظيم والتكريم وفى السر لزيادة مكرهِ مدبرٌ فى إبادتهِ ومحو أثرهِ فلما شعرت اسكندرة وإبنتها مريم إمرأة هيرودس بما يجتهد فيهِ هيرودس من قتل هركانوس جاءتا إليهِ واخبرتاه بأنه مهتم فى قتلهِ فأشارتا عليهِ أن يكتب كتابا لملك العرب يذكر فيهِ خوفه من هيرودس وإنهُ يريد أن يهرب إليهِ ويكون فى جوارهِ ويسألهُ أن يوجه إليهِ من يأخذهُ سراً فلما الحّتا عليهِ وأكثرتا من تحذيرهِ وتخويفهِ كتب حينئذ إلى ذلك الملك كتاباً يسألهُ فيهِ أن يرسل رجالا فى السر ينتظرونه فى موضع كذا وكذا من المواضع القريبة من المدينة إلى أن يخرج اليهم ويسيرون بهِ إليهِ . ثم استدعى رجلاً من وجوه يهوذا ووثق بهِ على هذا السر لأن ذلك الرجل كان ماقتا لهيرودس شديد البغضة لهُ لأنهُ كان قد قتل أخاهُ وسلب ماله وأهلك منازلهُ فمن هذه الجهة مال هركانوس إليهِ وأخبرهُ بما عول عليهِ من الذهاب إلى ملك العرب وسأله أن يمضى إليهِ بكتابه ليرسل إليهِ قوماً من أصحابهِ ليحملوه إليهِ وسأل الرجل كتمان ذلك وعاهده عليهِ فضمن لهُ الرجل تبليغ قصده فى هذا الباب ثم تناول من يده الكتاب فلما أمسك الكتاب فى يده خاف أن يبلغ خبره لهيرودس فيقتلهُ ويبيدهُ، وعلم أنهُ إن مضى إليهِ بالكتاب أمن شره وربما يتخذ عندهُ وجاهة ودالة فمضى إليهِ بكتاب هركانوس وأعلمهُ بأمره فشكر هيرودس ذلك الرجل على ما فعل وقال لهُ إمض بالكتاب إلى ملك العرب فإذا أخذت الجواب فأرجع إلىً بهِ وإعلمنى بمكان الرجال الذين يسيًرهم معك إلى هركانوس، ففعل الرجل ما أمرهُ بهِ هيرودس ومضى إلى ملك العرب وأوصل إليهِ كتاب هركانوس وأدًى رسالتهِ فأجابهُ ملك العرب إلى ما طلب وسُر بمجيئه إليهِ وكتب رداً على رسالة هركانوس وسلمهُ للرسول وبعث معهُ جماعة من الرجال وأمرهم أن يقيموا فى مكان مستور بقرب المدينة إلى أن يخرج اليهم هركانوس فيسيرون بهِ فسار القوم مع الرسول إلى هيرودس وأعلمه بمكان القوم وأوقفهُ على كتاب ملك العرب إلى هركانوس فقرأ هيرودس الكتاب ووجه من قبض على العرب وأتوا بهم إليهِ . ثم أحضر السبعين شيخا الذين يحكمون الاحكام وأحضر هركانوس قدامهم هل ارسلت إلى ملك العرب رسولاً أو كتبت إليهِ كتاباً أو طلبت أن تهرب إليهِ فقال لا فأمر هيرودس بإحضار الرسول الذى أرسله إلى العرب وبكتابهِ الذى كتبهُ إلى ملكهم والرجال الذين أرسلهم ملك العرب ليأخذوه فقُرئَ الكتاب بحضرة الجماعة وأفشى الرسول السر الذى كان هركانوس استودعه من القول فلم يستطيع الرسول والرسل الذين أتوه أن ينكروا لكن بيًنوا واشهروا أن سبب مجيئهم ليأخذوا هركانوس كما أمروا فلم يقدر بعد ذلك هركانوس على الانكار بل لزم الاقرار إختياراً وإضطراراً، فأمر هيرودس بضرب

عنقهِ أمام الجميع ولم يجسر أحد أن يسألهُ فيهِ أو يذكر إحسانهِ إليهِ فيكافئهُ لأنهُ كان قاسياً عنيفاً لا عطوفا، زاهيا عاتيا لا مرفقا متأنياً ولو كان وفيا لما كان يجب أن يتناسى إحسانه إليهِ فقتله قتلاً يرثى بهِ بالمخاتلة والمكر ولم يراع احسانه إليهِ ولا اشفاقه عليهِ وعلى أبيهِ قبلهُ. وقُتِل هركانوس وعمره ثمانون سنة وهو آخر من مَلِك على أمَّة اليهود من الكهنة وكانت مدة مُلكةِ أربعين سنة وكان إنساناً خيِّراً وديعاً دينا حسن السيرة ولم يكن من ملوك حشمناى أحمد طريقة منهُ ولا أصلح سيرة.

(ذكر قتل هيرودس وارسطوبولوس)(١)
(٣٥ ق . م)

كان ارسطوبولوس هذا من أحسن الناس صورة واجملهم طلعة وكانت أُختهِ مريم امرأة هيرودس مثلهُ فى الحسن والجمال، وكان الناس الذين يشاهدونهما يذهلون من زيادة بهائهما ويقولون كأن ما ولد ارسطوبولوس ومريم بشر ولو أن ملاكا يلد الناس لكانوا هولاء. وكان هيرودس شديد المحبة لمريم فلما قتل جدها هركانوس عظُمت بغضتها وبغضة اسكندرة أمها لهُ وشعرا بعداوتهِ وكانت اسكندرة تريد أن يكون ابنها ارسطوبولوس كاهناً كبيراً موضع هركانوس جده فكره هيرودس ذلك لأنهُ خاف أن تميل الناس إليهِ لفضلهِ ودينهِ ومحبتهم لهركانوس جدهِ فاجتهد هيرودس وحرص أن ينقل الكهنوت عن ذلك البيت أعنى بيت حشمناى حتى لا يبقى لهم مقدم ولا رياسة خوفاً من أن يكون ذلك سببا لرجوع المُلك اليهم، فأخذ رجلاً من عوام الكهنة فقدمه وجعله كاهناً كبيراً فى بيت الله. فعظم على اسكندرة وارسطوبولوس ابنها ذلك وعلى ابنتها مريم إمرأة هيرودس وزاد ذلك فى بغضتهما لهُ، وكان بين اسكندرة وبين ملكة مصر كليو بطرة مودة أكيدة ومحبة قديمة فحملت إليها اسكندرة مالاً وهدايا وكتبت إليها تسألها مسألة وهى أن انطونينوس زوجها يكتب إلى هيرودس فيأمرهُ أن يعزل ذلك الكاهن الذى قدمه ويقدم ارسطوبولوس ابنها كاهناً كبيراً فى موضعه ففعلت كليو بطرة ذلك وسألت أنطونينوس أن يكتب كتابا إلى هيرودس يأمرهُ بعزل ذلك الكاهن ويقدم ارسطوبولوس وبعث الكتاب مع رسول قاصد لاجابة هذه الطلبة. فلما وصل إلى هيرودس الكتاب امتنع من ذلك وقال لرسول انطونينوس إن اليهود لا يرون أن يعزلوا كاهناً من مرتبته بعد تقدمه ولا يرون أيضاً أن يجعلوا غيره فى موضعهِ ما دام حيا ولا يجوز لنا أن نخالف سنتنا ولو أردنا أن نفعل ذلك لمنعتنا الناس منهُ ولم يجيبونا إليهِ وكتب إلى انطونينوس بمثل ذلك. وكان رسول انطونينوس مدة اقامتهِ فى أورشليم إذا نظر شخص ارسطوبولوس واختهِ مريم إمرأة الملك هيرودس يتعجب من حسنهما وجمالهما فقال لامهما اسكندرة أنا أريد أن تصورى لى صورتهما حتى أمضى بها إلى انطونينوس فإنهُ إذا رآها حسن موقعهما منهُ وبلغت بذلك ما تريدين.

---

(١) ارسطوبولوس هو اسكندر بن ارسطوبولوس بن اسكندر بن هركانوس الأول.وارسطوبولوس هذا هو ابن اسكندرة إبنة هركانوس الملك الذى قتلهُ هيرودس الشرير.

ففعلت اسكندرة ذلك لنقص رأى النساء ونزارة عقولهنّ ولحرصها على تقدم ابنها. فلما أخذ رسول انطونينوس الصورة أرسلها إلى سيدهِ وكتب تحت الصورة ما ولد ارسطوبولوس انسان بل ملاك باشر اسكندرة وأولدها إيّاه فلما وصلت الصورة إلى انطونينوس استحسنها جداً واشتاق أن يرى ارسطوبولوس وكتب إلى هيرودس يذكر لهُ احسانه إليهِ ونصرته لهُ على أعدائهِ وتمليكه على اليهود ثم سألهُ أن يوجه لهُ بسرعة ارسطوبولوس وقال أنك إن أخّرتهُ عن المجئ ومنعتنى عن النظر إليهِ كان ذلك سببا لوقوع النفور والعداوة بينى وبينك. فلما وصل الكتاب إلى هيرودس عظم عليهِ وحصل لهُ فكر وهم فى انطونينوس ولماذا طلب ارسطوبولوس طلبا هكذا حثيثا إلا لما يقبح ذكرهُ فكَرِهَ ذلك وأنف منهُ. فبادر بعزل الكاهن الذى كا قدمه فيما سلف وولى ارسطوبولوس موضعه وكتب إلى انطونينوس يقول لهُ إنى زعم قد امتثلت ما أمرتنى بهِ وقبلت ذلك من تقديم ارسطوبولوس، وما كنت توقفت عن المبادرة فى ذلك إلا لأنى احتجت لملاطفة الكهنة وتدبير أخلاقهم وترقب العامة أيضاً وسياستهم لأن عادتهم ماجرت أن يُخلع كاهن من رتبتهِ ويتقدم غيره فى حياتهِ فلما تم ما أردتهُ من سياسة الأمر وتدبيره انتهيت إلى ما امرتنى بهِ من تقديم ارسطوبولوس وولايتهُ الكهانة فلا يجوز لهُ أيضاً بعد تولى هذه الرياسة أن يسافر عن أورشليم إلى موضع بعيد وليس هو ملكاً بل كاهن يجب عليهِ أن يلازم خدمة الهيكل ولا يفارقهُ. ومتى الزمتهُ أن يخرج عن المدينة أنكر ذلك جميع اليهود ولم يرضوا ولم يطلقوا لهُ ذلك وما نأمن أن يهيج بسبب ذلك حرب وفتنة.

فلما وصل كتاب هيرودس إلى انطونينوس بذلك كف عن معاداة ارسطوبولوس ولم يرفضه بعد ذلك، وتمم هيرودس ما بدأ بهِ من خلع الكاهن الذى أقامه وقدم ارسطوبولوس وجعله كاهناً وكان ارسطوبولوس ابن ست عشرة سنة ولم يكن اليهود يستجيزون أن يعزلوا الكاهن عن رتبتهِ إلى أن يموت وابتدأ بمخالفة ذلك انتيوخوس المسمى افيموس فإنهُ عزل الكاهن الذى كان فى ذلك الوقت وقدم غيره، وقد فعل انتيغونوس مثل ذلك وقطع أذن عمهِ هركانوس حتى أعابه وبعدها ما فعله هيرودس هذا من خلع الكاهن الذى كان ولاّه وتقديم ارسطوبولوس ابن اسكندرة، وانما فعل ذلك رغما ليرضى اسكندرة وليقطع الشر ويزيل الخصام من بيتهِ، فما انقطع ذلك لعظم عداوة اسكندرة وابنتها لهُ . فلما رأى ذلك هيرودس خاف من اسكندرة أن تدبر عليهِ المؤامرات وتحتال فى افساد قلوب العامة عليهِ فوكل أحدهم لكى يراقبها ويتجسس عليها من حيث لا تعلم ويرفع اخبارها إليهِ .ثم إن اسكندرة كتبت إلى كليوبطرة تشتكى من هيرودس وتسألها أن تساعدها عليهِ، فأشارت عليها كليوبطرة بأن تحتال فى الخروج من أورشليم وبعثت اليها سفناً وخداماً يكونون معها. فأقام الخدام مع السفن فى يافا وأرسلوا إلى اسكندرة يعلمونها بذلك، وحاولت اسكندرة الخروج من المدينة فلم يتم لها ذلك، فصنعت تابوتين مثل توابيت الموتى ودخلت فى الواحد وأدخلت إبنها ارسطوبولوس فى الآخر وأمرت أن يُحمل التابوتان إلى خارج المدينة مثلما تحمل الموتى الذين يحملون من أورشليم إلى القبور، وكان اليهود يدفنون فى موضع يسمى جيرون خارج المدينة على أنها إذا صارت خارج المدينة مضت إلى

يافا وركبت فى البحر إلى مصر. فمضى خادم من خدّامها وهو الذى كان هيـرودس أمرهُ بأن يرفع إليهِ أخبارها فأخبر هيرودس بذلك، فلما أخرج التابوتان مـن المدينـة بعث هيرودس من يقبض عليهما وردهما إليهِ وأمر بفتحهما، فلما نظر اسكندرة وابنها غضب عليهما وعاتبهما على ما فعلاه ثم صفح لهما وصرفهما إلى منزلهمـا . ثـم حضر عيد المظال فأتى جميع الناس إلى أورشليم ودخلوا بيـت الله علـى عـاداتهم السابقة فطلع ارسطوبولوس على المنبر كما يعمل روساء الكهنة وقد لبس ثياب القدس الجليلة، ولما نظر الناس إليهِ عجبوا فيهِ وسرهم تقدمته عليهم وظهر من ميلهم إليـهِ ومحبتهم لهُ على هيرودس جداً. وخاف هيرودس أن يقوى أمر ارسطوبولوس بميـل الناس إليهِ ومودتهم لهُ فيغلبه على الملك فعمل على قتله. وكان مـن عـادة ملـوك أورشليم أن يخرجوا بعد عيد المظال إلى منتزهات وبساتين لهم فى اريحـا فيقيمـون فيها أياما، فخرج هيرودس إلى اريحا على عادتهِ ونزل فـى قـصرهِ هنـاك ومعـهُ ارسطوبولوس وجميع أهلهُ وغلمانه ووجوه أصحابهِ، ولما حضروا فى اريحا جلـس هيرودس فى مجلسه وجلس ارسطوبولوس إلى جانبهِ وجلس غلمانه وأصحابهُ علـى طبقاتهم، ثم حضر الطعام فجلسوا وأكلوا وشربوا وكان لهم فى ذلـك اليـوم سـرور عظيم، فلما كان بعد الشراب خرج هيرودس يتمشى فى البستان وينظر إلى المياه التى تجرى فيهِ وخرج ارسطوبولوس يمشى معهُ فبادر الغلمان إلى بركة الماء ليسبحوا فيها ويلعبوا فإذا هيرودس قد تقدم اليهم وقال لهم إذا نزلتم إلى الماء لتـسبحوا فاسـتدعوا ارسطوبولوس وأميلوه إلى أن ينزل معكم فاذا نزل الماء فاسبحوا معهُ ولاعبوه طويلا ثم غرّقوه ولا تفارقوه إلى أن يموت، ففعل الغلمان ما أمرهم بهِ هيـرودس وغرّقـوا ارسطوبولوس وأصعدوه من الماء وهو ميت. فلما علم الناس بموتـهِ اشـتد غمهـم وحزنهم عليهِ وندم هيرودس على قتلهِ وبكى عليهِ بكاءً مراً مفرطاً لما رآه مائتا، وأمر بدفنهِ وبالغ فى إكرامهِ وإجلالهِ. ومات ارسطوبولوس وهو ابن سبع عشرة سنة وكانت ولايته الرياسه على الكهنوت دون السنة . فذادت بغـضة اسـكندرة وابنتهـا مـريم لهيرودس ولأمهِ ولأختهن وكانت أم هيرودس من آل آدوم وكانت مريم إمرأتهُ تعيِّرها بذلك وكان هيرودس يعلم بذلك ولا ينكره على مريم ولا ينهاها عنـهُ لمحبتـه لهـا وموضعها فى نفسهِ. وإستغلت مريم محبة هيرودس لها وإستمرّت علـى شـتم أمـهِ وأختهِ مما تسبب فى ذيادة العداوة بينهن. وكان فى اخت هيرودس شر مفرط ومكـر ودهاء وحيلة ولم تكن مريم كذلك. ولم يزل الشر بينهما إلى أن تمت لأخت هيرودس الحيلة والتدبير على مريم وكان من أمرها ما سنذكره فيما بعد فى مكانهِ.

(ذكر خروج انطونينوس الخليفة بمصر على الملك اوغسطس)
(٢٩ ـــ ٢٠ ق . م)

كانت كليوبطرة ملكة مصر إمرأة حكيمة ساحرة عارفة بضروب الزينة وصنوف التصنّع بصيرة بكلما يعجب الرجال من النساء حتى كانت لتصنّعها مثل الجارية الشابة فى الحسن والظرافة وهى مع ذلك إمرأة كبيرة السن. فلما تزوجت انطونينوس صاحب جيش اوغسطس ملك الروم ملكت قلبه وسيطرت عليهِ وكان يطيعها فى كل ما تريدهُ منهُ ولا يخالفها، فحمّلتهُ على قتل كثيرين من الملوك بغير سبب وأخذ بلادهم وأموالهم وأسر جماعة من نسائهم وأولادهم وحمل جميع ذلك إلى كليوبطرة فجعلتهم لها عبيداً وتحكمت فى أموالهم وبلدانهم بما أرادت وكان ذلك سبب بغضة الأمم لانطونينوس وعدواتهم لهُ. واتصل الخبر بذلك إلى الملك اوغسطس فغضب وأنكره وطلبت كليوبطرة من انطونينوس أن يقتل هيرودس ملك اليهود فتوقف عن ذلك لعلمه بموضعه من الملك اوغسطس، ولكنها شجعتهُ على معصية اوغسطس قيصر ومحاربته وسهلت عليهِ ذلك، فقبل منها وأظهر الخلاف على اوغسطس وجمع العساكر والعدّه، وعمل على المسير إليهِ لمحاربته، ووجه إلى هيرودس يستدعيه للمسير معهُ لمحاربة اوغسطس الملك فسار إليهِ هيرودس فى عسكر كبير وعدة حسنة، فلما وصل إلى مصر قال لهُ انطونينوس قد خشيت أنك إن سرت معى وبعدنا كلانا عن الديار أن يستولى على المملكة من نخلفه وراءنا من الأمم ويخرجوا عن طاعتنا، والصواب أن تعود أنت إلى بلادك فتقيم فيها وتكون عوناً لنا وتراعى أعمالنا فإن الأمم الذين حولنا يهابونك ويتقونك، وقد بلغنا أيضاً عن العرب أنهم قد عصوا وأظهروا الخلاف علينا فامض من هنا قاصدا اليهم وحاربهم إلى أن تفرقهم وتردهم إلى طاعتنا.

ثم سار انطونينوس إلى رومية وخرج هيرودس متوجها إلى الشام وكانت كليوبطرة تعادى هيرودس وتريد هلاكه لأسباب عدة منها أنها كانت تريد أن تظفر بمملكته وتستولى عليها كما استولت على غيرها من الممالك،كما أن اسكندرة ابنة هركانوس كانت كل وقت تسألها فى قتله وغير ذلك من الأسباب. فلما عاد هيرودس من مصر ليحارب العرب كما أمرهُ انطونينوس وجهت معهُ كليوبطرة قائدا يقال لهُ انثياون فى عسكر كبير وأظهرت لهيرودس أنها إنما وجهت بهِ لمعاونته على العرب، وتقدمت لهُ فى السر بأن يحتال على هيرودس ويوافق العرب على أنهُ يتاخر عنهُ إذا التقوا فاذا اشتد القتال أطبق عليهِ هو وأصحابهُ من ورائه وأطبقت عليهِ العرب من قدام فيهلكونه، ففعل كما أمرتهُ كليوبطرة ووافق العرب عليهِ فقُتِل من اليهود فى تلك الموقعة الوف كثيرة، وقاتل هيرودس ومن كان معهُ من أصحابهِ فى ذلك اليوم قتالاً عظيماً شديداً إلى أن خرجوا من بين الجيشين وقتلوا من العرب ومن أصحاب انثياون خلقاً كثيراً ومضوا إلى أورشليم وأقاموا فيها. وحدثت زلزلة عظيمة فى تلك الأيام فى جميع بلدان اليهودية لم يكن مثلها من زمان عزيا الملك فهلك بها خلق كثير من الناس والبهائم وفزع هيرودس وجميع اليهود وخاف خوفاً شديداً واتفق رأيهم على مسالمة

جميع الأمم الذين حولهم فراسلوهم فى ذلك فأجابوهم جميعهم للمسالمة إلا ملك العرب فإنهُ امتنع وقتل رسل هيرودس وظن أن رجال هيرودس قد هلكوا فى الزلزلة وإنهُ انما راسله فى الصلح لضعفه وخوفه منهُ فطمع لذلك فى أنهُ يغلب اليهود ويقهرهم وجمع أصحابهُ ليسير إليهم ويحاربهم.فلما وصل ذلك الخبر إلى هيرودس جمع اليهود من بلدانهم وقال لهم قد علمتم ما فعل ملك العرب من قتله رسلنا ومقابلته ما بذلناه من الجميل بضده وذلك شئ لم يفعله غيره ولا يجوز لنا أن نمسك عنهُ لما فى ذلك علينا من العار والنقص، لأن الأمم إذا بلغهم ذلك طمعوا فينا وإجترأوا علينا ومازلتم تبادرون إلى محاربة الأعداء بحمية الدين ونصرة الأمةِ فيجب أن تتجردوا لله عزَّ وجلَّ فى هذا الوقت وتتعصبوا لهُ ولهولاء المقتولين ظلما، وتزيلوا طمع اعدائكم فيكم وتنفوا العار عن انفسكم فإن قلتم إن هذه الزلزلة قد اضعفت قلوبنا وأهلكت رجالنا فإنكم تعلمون أنها لم تهلك أحداً من رجال الحرب إنما اهلكت الأشرار دون الاخيار وأصلحت القلوب، ويجب عليكم إذ قد خلَّصكم الله من الهلا ك ونجاكم من التلف أن تزيدوا فى طاعتهِ ونصرة دينهِ ومجاهدة أعدائهِ وقد علمتم ما كان جرى لنا مع العرب واتفاقهم مع انثياون على هلاكنا وإن الله نصرنا عليهم وخلصنا منهم فثقوا بالله عزَّ وجلَّ وتوكلوا عليهِ وأجروا على عاداتكم وعادات اسلافكم واغزوا هذا العدو قبل أن يغزوكم وابدأوا بهِ قبل أن يبدأ بكم فإن الله عزَّ وجلَّ ينصركم ويعينكم. فلما سمع القوم كلام هيرودس قويت قلوبهم واتفقت كلمتهم وآراؤهم على محاربة العرب وضمنوا لهيرودس أنهم لا يتخلفون عنهُ. فشكر الله عزَّ وجلَّ وشكرهم وأمر بتقريب قرابين كثيرة . ثم سار إلى العرب فى عسكر عظيم فحاربهم دفعات فكان الظفر لهُ فى جميعها وقتل من العرب خلقاً كثيراً، فإنسحب العرب وعسكرهم وامتنعوا من الحرب، فحاصرهم هيرودس خمسة أيام ولم يترك أحداً يخرج من العسكر فعطشوا عطشاً شديداً وأرسلوا إلى هيرودس رسلاً وهدايا وسألوه أن يرفع عنهم الحرب ويطلق لهم الخروج إلى بلادهم ويسمح لهم بشرب الماء فلم يظهر هيرودس لرسلهم ولا قبل هديتهم ولا أجابهم إلى ما طلبوه منهُ . فلما اشتد بهم العطش عملوا على أن يخرجوا إليهِ جميعهم فيحاربوا عسكر هيرودس فإما أن يغلبوهم وإما أن يُقتلوا ولا يموتوا بالعطش، فخرجوا إلى هيرودس وحاربوه فغلبهم هيرودس فقُتِل منهم تسعة آلاف رجل واستباح ديارهم وأموالهم وخرب مواطنهم، فذُل القوم عند ذلك وطلبوا من هيرودس الأمان فأمنهم ووافقهم على مال يحملونهُ إليهِ كل سنة وعاد إلى أورشليم ظافراً غانماً ولم تخالفهُ العرب بعد ذلك.

(خبر وقعة انطونينوس مع اغسطس)

وأما انطونينوس فإنهُ سار إلى رومية فلقيه اوغسطس قيصر فى عسكرهِ فحاربهُ فانهزم انطونينوس فظفر بهِ اوغسطس فقتله وغنم عسكره وسار متوجها من رومية إلى مصر. فلما علم هيرودس بمسيرة إلى مصر أيقن بالهلاك ولم يجد بداً من

لقائهِ وأوصى أصحابهِ بما أراد. وبعث بأمهِ واختهِ مع يوسف أخيهِ إلى القلعة فى جبل الشراه وبعث بمريم وامها اسكندرة إلى حصن يسمى اسكندرونة مع يوسف زوج أختهِ ورجل من أهل صور يقال لهُ سومى وأمرهما أن يقتلا مريم وامها أن بلغهما أنهُ قد قتل فى طريقهِ واستحلفهما على ذلك سراً وأمرهما بكتمانهِ ثم سار إلى اوغسطس قيصر وحمل معهُ هدايا كثيرة وقد كان اوغسطس عمل على قتله من أجل أنهُ صاحب لانطونينوس ومن أعز أصدقاءهُ، وسمع أنهُ كان أراد معاونتهُ عليهِ . فلما وصل هيرودس إلى اوغسطس أمر بازالة التاج عن رأسهِ وإحضاره . فلما حضر سلّم على اوغسطس وهنأهُ بالظفر ثم قال أيها الملك أن كنت سخطت على وأمرت بازالة التاج عن رأسى من أجل إنى كنت محبا لانطونينوس الذى كان صاحبك ولأنى أردت معاونته عليك، فحقا أقول إنى كنت أحبه وأوقرهُ لأنهُ أحسن إلى وجعل التاج على رأسى الذى أزلتهُ أنت عنهُ، ولو كان حيا دمت على محبته ولم أنتقل عنها وقد كان استنهضنى إلى معونته وسارعت إليهِ كما كان يسارع كل وقت إلى نهضتى ومعونتى ولا يتخلف عنى فإن كان ذنبى عندك أيها الملك إنما هو حسن وفاءى وحسن محافظتى لمن أحسن إليَّ ومعونتى لمن استعان بى فإنى لا إنكر ذلك ولا أعتذر عنهُ، وإن كان ذنبى إنى عاونتهُ على ملكك فقد علمت إنى لم اكن معهُ وقت محاربته لك ولم أجرد سيفى فى وجهك لأنى فارقت انطونينوس من مصر وسرت إلى العرب واشتغلت بمحاربتهم ولقد ساءنى تأخرى عنهُ، ولو كنت معهُ لبذلت نفسى فى نصرته ولو هلكت كان ذلك أفضل لى من أن يظن بى الناس إنى خذلت صديقى وتخلفت عنهُ وقطعت بهِ فى وقت حاجتهِ إليَّ، فيقولون عنى قلّة الوفاء وسوء المكافأة فلا يرغب أحد فى مودتى، ولعمرى أن انطونينوس لم يهلك إلا بسوء رأيهِ فى قبوله من كليوبطرة الساحرة ولقد أشرت عليهِ أن يقتلها فلم يقبل والآن أيها الملك إن كنت قد أزلت التاج عن رأسى فما أزلت عنى عقلى ولا إختيارى فإن ابقيتنى فإنى مها دمت حيا أحب من يحبنى وأكرم من أحسن إليَّ واحافظ عليهِ، فأعجب اوغسطس كلام هيرودس وقال إن كنا غلبنا انطونينوس برجالنا فنحن نغلبك بالاحسان إليك ونستميلك بالإنعام عليك لأنك تستحق ذلك بما ظهر من وفائك وحسن محافظتك، وعلمنا أن انطونينوس ما كافأك بما تستحق منهُ كما لم يكافئنا نحن على احساننا إليهِ، ولم يشكر انعامنا عليهِ بل قبل رأى كليوبطرة الساحرة وعدل عن الصواب وخالف الواجب وجحد النعمة، ونحن نرى أن نحسن إليك وننعم عليك لما تقدم من طاعتك لنا وخدمتك فى دولتنا ومحاربتك أعداءنا، ثم أمر اوغسطس أن يجعل التاج على رأس هيرودس وأكرمه وأحسن إليهِ ثم سار إلى مصر وهو معهُ فقتل كليوبطرة ملكة مصر بالإسكندرية ووهب هيرودس جميع ما كان انطونينوس جعله لها . ثم عاد اوغسطس قيصر إلى رومية وعاد هيرودس راجعا إلى أورشليم.

(ذكر قتل هيرودس امرأتهُ مريم وامها اسكندرة)

كان يوسف زوج أخت هيرودس وسومي الصوري اللذان ذكرنا أن هيرودس كان قد أرسل معهما إمرأتهُ مريم وامها اسكندره إلى حصن اسكندرونة عند مسيرهِ إلى اوغسطس قيصر قد اخبرا مريم بما كان هيرودس أمرهما بهِ من قتلها وقتل امها إن هلك في طريقهِ. وقد كانت مريم تبغض هيرودس وأهله وتعاديهم بعد أن قتل جدّها هركانوس وأخاها ارسطوبولوس، فلما سمعت ما أخبرها بهِ يوسف زوج أختهِ وسومي الصوري تزايدت عداوتها وبغضتها لهيرودس، فلما عاد هيرودس من طريقه وجدها من التنكر لهُ والانقباض عنهُ على اضعاف ما كان يعرف فساءه ذلك، فأقبل يلطف بها ويستميلها بجهدهِ ويتلافى قلبها وهي مقيمة على عملها، فلما كان بعد أيام جرى بينهما وبين أخت هيرودس كلام فاستطالت مريم عليها وشتمتها، فمضت اخت هيرودس إليهِ فشكت لهُ مريم وكذبت وأضافت قائلة لهيرودس قد بلغنى أن يوسف زوجي ارتكب الفحشاء مع مريم فى غيبتك وأمكنته فى نفسها فلم يقبل هيرودس قولها ولا أثّر فى نفسهِ لعلمه بطهارة مريم وعفافها ولمعرفته بكثرة مقت أختهِ لها وأنها تعاديها وتطلب هلاكها . ثم أن هيرودس خلا مع مريم فى بعض الاوقات وأقبل يعاتبها ويستميلها ويذكر لها موضعها فى قلبه ثم سألها عن السبب الذى أوجب ما تجدد من بغضتها لهُ وانقباضها مع ما هو عليهِ من محبتها والميل اليها، فلما كرر القول عليها بمثل ذلك قالت لهُ إذا كنت عندك بهذه المنزلة وكنت من المودة لى على ما ذكرت فلِم أمرت يوسف زوج أختك وسومى الصورى بقتلى وقتل والدتى لما مضيت إلى أوغسطس قيصر، فهل رأيت أحداً من الناس يقتل من يحبهُ فلما سمع هيرودس ما قالت مريم وقع فى نفسهِ أن أختهِ صدقت فيما قالت وأخبرتهُ عنها وذلك أنهُ ظن أن يوسف لم يخبر مريم بما إستأمنهُ الملك إليهِ وأمرهُ بكتمانهِ إلا لتمكنهِ منها وبعد حال حدثت لهُ معها فقام للوقت غاضباً وكره مريم وجافاها، وعلمت أخت هيرودس ذلك فسرّها وأرادت أن تتمم ما بدأت بهِ إذ قد وجدت سبيلا، وحصل لها وقت مناسب فاستدعت خادما من الخدّام الذين يتولون شراب هيرودس فوهبتهُ مالاً وأعطته سما قاتلاً وقالت لهُ إمض بهذا السم إلى الملك هيرودس وقل لهُ إن مريم دفعته وقالت لى أن أجعله فى شراب الملك فإنهُ شئ يشعل قلبهِ إلى محبتي والميل إليَّ وما تجرأت أن أفعل ذلك ولا رأيت أن أخفى عن الملك ففعل الخادم ما أمرت بهِ أخت هيرودس. فغضب هيرودس وأمر بأن يجرَّب ذلك السم فى بعض المجرمين الذين وُجب عليهم القتل . فلما سقى منهم الرجل الذى شربهُ مات لوقتهِ فأمر هيرودس عند ذلك بقتل يوسف وسومى فقُتِلا وأمر أن تعتقل مريم إلى أن يحضر الحكام السبعون شيخا فينظروا فى أمرها . فلما علمت أخت هيرودس بذلك كرهت أن يتأخر أمر مريم إلى أن يحضر الحكام لأنها خافت أن تفحص الحكام عن القضية فتظهر براءة مريم وكذبها هى فتهلك هى وتخلص مريم، فدخلت على هيرودس ومعها قوم يؤكدون كلامها وقالت أيها الملك إن كنت أخرت قتل مريم فى هذا اليوم لا تقدر أن تقتلها بعد ذلك لأن أهل بيتها وعبيدهم إذا علموا أنك

تريد أن تقتلها منعوك عن ذلك ولم تأمن من فتنة تجرى وأمر كبير. واقبلت هى ومن استعانت بهِ يضيّقون على مريم ويقرفمنها ويذكرونها بالقبيح وبكل ما سمج من الحديث ويشيرون على هيرودس بتعجيل قتلها، حينئذ قال لهم قد جعلت أمرها اليكم فاصنعوا بها ما أحببتم وللوقت خرجت أخت هيرودس كمن ظفر بغنيمة عظيمة فوجهت بخدامها اخرجوها من الموضع الذى كانت قد اعتقلت فيهِ بالهوان الشديد والعنف والتهديد وذهبوا بها إلى خارج المدينة لتقتل ووقّفت لها أخت هيرودس نساء كثيرات فى الطريق ليشتمونها ويسمعنها القبيح ويثلبنها بما فظع من الكلام ويذكرنها بالزنا وهى ساكتة لا تجيب واحدة منهن بحرف ولم يتغير وجهها ولا اضطربت مشيتها ولا ظهر منها خوف ولا جزع بل كانت فى صبرها وقلة جزعها مثل سائر أهلها وذويها المكابيين الذين كانوا يُعرفون بالشجاعة والإقدام على الموت ثم مدت عنقها فضربت رقبتها وانصرفت من الدنيا ولم يعرف لها نظير فى النساء فى زمانها لما كان قد اجتمع فيها من الحسن والجمال والاخلاق الحميدة على الكمال وما حسن من الشيم وظرُف من الخصال مع العفاف والعقل وحسن التديّن والطهارة وكرم النفس وجودة السلوك ولم يكن فى أخلاقها شئ ينكر غير كبر كان فيها وهو كان السبب فى استطالتها على هيرودس وأهله ثم أن هيرودس ندم على قتل مريم امرأته أعظم ندامة ولحقه من الأسف والجزع والحزن عليها ما نهك جسمهُ فمرض مرضاً شديداً إلى أن قارب الموت، ثم عوفى وبلغه عن اسكندرة أم مريم أنها كانت قد دبرت على قتلهِ فى مرضه فأمر بقتلها فقُتِلت. وكان لمريم ابنان من هيرودس اسم الواحد منهما اسكندر والآخر ارسطوبولوس وكانا فى رومية عندم قتلت امهما لأن هيرودس كان بعث بهما إلى هناك ليتعلما خط الروم ولغتهم.

(بعض الاحاديث عن هيرودس)

لما قتل هيرودس زوج أختهِ يوسف ازوجها بعدهُ لرجل من الادوميين يقال لهُ كرسوس ووِلاه بلاد آدوم وكان أهل آدوم فى ذلك الزمان يختتنون ويحفظون دين التوراة لأن الملك هركانوس الأول كان قد الزمهم ذلك فالتزموه وثبتوا عليهِ فرد الصنم الذى كانوا يعبدونهُ قديما وأمرهم بعبادته وعمل على مخالفة هيرودس . ثم وقع بينه وبين أخت هيرودس شر وكرهتهُ وسألت أخاها أن يطلّقها منهُ ففعل ذلك. وكان قوم كثيرون من أولاد الملوك المكابيين بنى حشمناى قد هربوا من هيرودس إلى بلاد آدوم فسترهم كرسوس زوج أختهِ اثنتى عشرة سنة فسعت بهم أخت هيرودس إلى اخيها هيرودس فأمر بطلبهم والقبض عليهم ثم قتلهم وقتل كرسوس زوج أختهِ وقتل من وجوه اليهود وروسائهم ومقدميهم وعلمائهم خلقاً كثيراً حتى لم يبق فيهم من يعاندهُ ولا من يعارضهُ ولا يجسر أن ينكر عليهِ شيئاً مما يفعله فتمكن مما يريد وخالف كثيراً من وصايا التوراة وبنى فى أورشليم بناية حسنة وصور فيها جميع الملوك الذين غلبهم وقهرهم واتخذ ميدانا وجعل فيهِ عجلا تجرها الخيل للمسابقة وجمع فيهِ أنواعا كثيرة من السباع والوحوش وكان يأمر بالقاء الناس لهم حتى تأكلهم وهو يبصرهم

وتفترسهم بحضرتهِ وكان يأمر الناس بمصارعتها فمن غلبها أحسن إليهِ وأعطاه مالاً كثيراً فقصده من كل أمةٍ من كان لهُ بأس ومرارة نفس وكان صلحاء اليهود وعلماؤهم يكرهون كثيراً من أفعال هيرودس وينكرونها ولا يظاهرونه لخوفهم منهُ . ثم أن قوماً منهم تعصبوا لله وعولوا على قتلهِ فلم يتم لهم ذلك. ووقف هيرودس على ما أرادوا أن يفعلوا فقتلهم.

وكان هيرودس يمشى بين الناس متنكرا فيقف على أخبارهم ويسمع ما يذكرونهُ بهِ فيعرف من يحبهُ ومن يبغضهُ فيحسن إلى محبيه وينعم عليهم ويأسى إلى مبغضيه ويهلكهم، فعظمت هيبتهِ فى نفوس الناس وخافوه واتقوه. وكان قد أخذ على جميع اليهود العهود على طاعتهُ وموالاته واستحلفهم بالايمان الغليظة والمواثيق على ذلك فملكهم بذلك وتحكم فيهم بما أراد وأكرم شيوخ الفريسيين هليل وشماى وأصحابهُما لأنهُ كان يثق بمودتهم وهم كانوا شاروا على الناس أن يملكوه فكان يراعى لهم ذلك ويقربهم ويكرمهم وكذلك شيوخ الطائفة الذين يسمون الصلحاء فإنهُ كان يكرمهم ويحسن اليهم من أجل شيخ منهم يقال لهُ مناحيم، وكان مناحيم هذا رجلاً صالحاً حكيماً فاضلاً ويقال أن هيرودس فى صباه كان يتردد إلى مجلس الحكماء والعلماء ليتعلم منهم فمر يوما بمناحيم هذا وهو فى صحن القدس فلما رآه مناحيم قام بين يديه ثم سجد لهُ وقال يحيا الملك إلى الأبد فظن هيرودس أنهُ يهزأ بهِ فغضب وشتمهُ، فضحك مناحيم وقبض على هيرودس وأقبل يضربهُ بيدهِ على ساقيهِ على سبيل المزح . ثم قال أيها الصبى أنك ستملك على أمة الله عزّ وجلّ ويعظم أمرك فاذا ملكت اذكر هذا الضرب الذى ضربتك ولتكن لك علامة فيما بينى وبينك تذكر بها كلامى هذا وما أخبرتك بهِ وأعلم أنك ستعمل فى مدة ملكك خيراً وشراً وأنا أشير عليك وأوصيك أن ترغب فى الخير وتزهد فى الشر وتتركه على إنى أعلم أنك لا تقبل وصيتى ولا ترغب إلا فى الشر . ثم عاد مناحيم فضرب هيرودس على ساقيه وتركه فمضى وهو يبكى. فلما كبر هيرودس وملك على اليهود تذكّر كلام مناحيم وما كان قد أنبأهُ وأخبرهُ بهِ فى صباه فاستدعاه وقال لهُ قد صح ما كنت أخبرتنى بهِ من المُلك وقد علمت فضلك وحكمتك وأنا أسألك أن تخبرنى كم بقى من عمرى وكم مدة ملكى فسكت الشيخ ولم يجبهُ، فخاف هيرودس أن يكون الشيخ إنما سكت ولم يجبهُ لعلمهِ أن مدة مُلكهِ تكون قصيرة فلم يحب أن يخبره بذلك، فأعاد مسائلته فما أجابهُ، فقال لهُ هيرودس ترى إنى أملك عشر سنين فأجابهُ الشيخ نعم وعشرين سنة وثلاثين وزيادة فقال هيرودس فكم مقدار الزيادة فلم يجبهُ بشئ ففرح هيرودس بما أخبرهُ بهِ الشيخ من طول مدتهِ وأحسن إليهِ وإلى أصحابهِ وأعطاهم مال كثير. وبنى هيرودس مدينة صومورون على حدودها وآثارها القديمة وسماها سبسطية وبنى فيها قصراً حسنا لاغسطس الملك وبنى أيضاً مدينة قيصرية وتباهى فى حسنها وبنى فيها أيضاً قصراً حسناً وبنى بقربها خاناً عظيماً وبنى مدناً كثيرة وحصوناً منيعة وذلك من آثارهِ المحمودة التى ذُكر بها وشُكر عليها . ومما حُمِد عليهِ من أفعالهِ أيضاً ما فعلهُ فى سنة المجاعةُ وذلك أنهُ حدث فى السنة الثالثة عشرة من مُلكهِ جوع شديد عظيم فى كل بلدان الأمم الذين فى طاعة هيردوس فأضر ذلك بالناس وأحجف بهم وقدح فيهم وكان

ببلد مصر وبأرض الروم رخاء وخصب وكثرة رخص وسعة فأخرج هيرودس من خزانتهِ أموالا جزيلة وبعث بها مع رسلهِ إلى مصر وسيَّر معهم سفنا وأمرهم أن يشتروا بتلك الأموال غلات ويحملوها فى السفن، ففعلوا ووصلت السفن إلى يافا وإلى قيصرية، وكتب إلى الملك اوغسطس يخبره بعظم الجوع والقحط فى بلادهِ ويسألهُ أن يحمل إليهِ غلة فأهدى إليهِ اوغسطس غلات كثيرة، ثم كتب اوغسطس إلى صاحبه بمصر يأمرهُ بأن يحمل الغلات إلى بلد اليهود ويبيعها بسعر رخيص فكثر الطعام بالشام واتسع الناس وصلحت أحوالهم وأقام هيرودس عدد كبير من الخبازين وأمر أن يخبزوا دائما كل يوم وأجرى على جميع الشيوخ واليتامى والأرامل والعميان والمرضى والمنقطعين من الخبز ما يكفيهم فى كل يوم وأجرى على الشباب وبقية المحتاجين الحنطة ما يكفيهم ولم يقطع هذه الجراية عن الجميع حتى فرغت المجاعة وفرج الله عزَّ وجلَّ عن الخلق. وقد ذُكِر أن هيرودس فرَّق على خمسة آلاف رجل قصدوه فى طول هذه المدة من غير اليهود أموالا كثيرة وفرَّق من الحنطة ثمانين الف حمل فشكره اليهود والأمم وجميع أهل مملكته على ذلك واثنوا عليهِ وهان عليهم كل ما جرى منهُ وعظمت سمعتهِ وجلَّ قدره عند جميع الأمم الذين بلغ اليهم خبره . ولما استدام أمر هيرودس وقوى سلطانه وأمن على جميع بلاده ورعيته ولم يبق لهُ من ينازعهُ من جميع الأمم الذين يجاورونهُ وقع فى نفسهِ أن يهدم الهيكل الذى بالقدس ويبنيه مثل البناء الأول الذى بناه سليمان بن داود الملك، فجمع اليهود على اختلاف طبقاتهم وذلك فى السنة الثامنة عشرة من مُلكهِ . ثم قال لهم إن الله عزَّ وجلَّ قد أحسن الينا وبسط ملكنا وأمن بلادنا وسلّطنا على كثير من الأمم العظيمة والملوك الجبابرة حتى قهرناهم وأطاعوا بأجمعهم لنا إلا ملوك الروم فإن الله عزَّ وجلَّ سلّطهم على جميع الدنيا وجعل ملوك الأرض تطيعهم، ومع ذلك فهم محبون لنا ومحسنون الينا وجميع أمورنا مستقيمة لا خلل فيها ولا نقص وبلادنا عامرة ولم يبق لنا مدينة ولا موضع مذكور إلا وقد أعدناه بمعونة الله تعالى إلى ما كان عليهِ من كمال العمارة وحسن البنيان إلا بيت الله عزَّ وجلَّ الذى هو أشرف المواضع وأجلها فإنهُ لم يرجع إلى ما كان عليهِ، وذلك أن آباءنا الذين عادوا من السبى فى زمان كورش الفارسى بنوا بيت الله عزَّ وجلَّ على المقدار الذى رسمه لهم كورش ولم يمكنهم مخالفته لأنهم كانوا عبيد الفرس وتحت أمرهم ولم يمكنهم أيضاً أن يتباهوا فى بنائه لقصور ايديهم فى ذلك الوقت وتعذر كثير من الامور عليهم، ثم صاروا بعد ذلك فى طاعة الملوك اليونانيين وكانوا مقهورين تحت الأذى والمكروه إلى أن خلصهم الله عزَّ وجلَّ على يد الكهنة المكابيين بنى حشمناى ولم يقدر بنو حشمناى أن يغيِّروا بنيان الهيكل لإشتغالهم بالحروب المتصلة ومقاومة الأعداء ونحن فقد كفانا الله كل ما نخافهُ ومكننا كل ما نريد، وقد بنينا كثير من المدن وتناهينا فى حسن بنيانها وكمالهِ وبهائهِ ليعظم بها قدركم ويحسن من جهتها ذكركم إذ كان جميع ما نفعله منسوبا اليكم وفخرهُ وجمالهُ عائداً عليكم، ولا يجوز لنا أن نكون قد اجتهدنا فى بنيان هذه الاماكن وتناهينا فى حسن صنعتها ونترك بيت الله عزَّ وجلَّ شعثاً ناقصاً عما كان عليهِ من البهجة ونحن قادرون على تغييره بما قد أعطاه الله لنا من كثرة النعة وسعة الملك. وقد أحببتُ أن

أنقضهُ وابنيهُ على حدوده الأولى وأجتهد فى حسن بنيانه وكمال صنعته وتقديم ذلك على جميع اشتغالنا ونبذل فيهِ جهدنا فإن بيت الله عزَّ وجلَّ هو عماد ديننا وبه شرفنا وفخرنا وعمارته هي أجل ما نتقرب بهِ إلى ربنا ونشكر نعمته عندنا فما الذى ترون فى ذلك. فأمسك القوم ولم يجيبوا هيرودس بشئ لأنهم خافوا أن يهدم الهيكل فلا يقدر أن يتمم بناءه فقال لهم هيرودس قد علمت الذى تخافون منهُ وأنا لا أهدم شيئاً من الهيكل إلا بعد الفراغ من تحصيل ما يحتاج إليهِ من الحجارة والخشب والفضة والذهب والجوهر وحجارة المرمر والنحاس والحديد وغير ذلك من الأصناف والعدد والآلات ولم يزل يستعد بذلك يوماً فيوماً إلى أن تكاملت المواد التى يحتاج اليها جميعاً فى مدة ست سنين وحينئذ أحضر عشرة آلاف صانع بخلاف من يتبعهم وأختار من الكهنة الف رجل ليتولوا بنيان قدس الاقداس الذى لا يجوز أن يدخله أحد غيرهم . فلما نظر الناس إلى جميع الاصناف من الآلات والعدد والمؤن وسائر المواد قد حضرت ولم يبق منها شئ نشطوا إلى البنيان واتفق رأيهم عليهِ فهدم هيرودس بيت الله إلى أساسهِ وجدد جميعهُ وبناهُ على حدودهِ الأولى وزاده فى مواضع منهُ زيادات كثيرة وبناهُ أحسن بنيان وأتقنهُ وأكملهُ وأنهاهُ وأجملهُ . وأما شرح ذلك على هيئتهِ وتفصيلهِ ووصف ما صنعه هيرودس فمكتوب فى كتب اليهود ومدون فى سيرهم وأخبارهم . وذُكر أن هيرودس بنى القدس فى مدة سنين وإن المطر فى تلك السنين لم يكن يسقط نهارا بل ليلاً وذلك لئلا يبطل الناس من العمل فينقطع وكان ذلك معونة من الله عزَّ وجلَّ لما أراد من كمال هذا البنيان وتمامهِ. فلما كمل جميع البنيان أمر بتقريب القرابين الكثيرة وأوعز الناس باستعمال السرور والابتهاج والطرب سنة كاملة وكان الناس فى جميع بلدان اليهودية فى مدة هذه السنين فى سرور متصل وفرح دايم يسبحون الله ويشكرونه على إحسانهِ.

(ذكر قتل هيرودس ولديه اسكندر وارسطوبولوس)

(٧ ق . م)

قد تقدم أن هيرودس كان قد بعث ولديه ليتعلما لسان الروم ولغتهم وخطهم وكانا فى رومية عندما قتل هيرودس امهما مريم فلما بلغهما خبرها ساءهما ذلك جداً فعادا من رومية إلى أورشليم وعندما لقيا هيرودس أباهما لم يكرماه كما يجب لهُ لما حصل فى نفوسهما من بغضتهِ بسبب قتلهِ امهما، فانقبض عنهما هيرودس وجفاهما. وكان اسكندر متزوجا بابنة عمهِ وكان لهيرودس إمرأة قبل مريم يقال لها رسيس وكان لها منهُ ابن يقال لهُ انتيبطرس وكان هيرودس قد ابعدها وابعد ابنها هذا انتيبطرس لمحبته مريم وولديها فلما قتل مريم وانحرف عن ابنيها نقل رسيس إمرأتهُ الأولى إلى قصرهِ وقرَّب انتيبطرس ورد إليهِ جميع أمرهُ وجعله ولى عهدهِ والملك من بعدهِ فخاف انتيبطرس من أخويهِ ابنى مريم أن ينازعاه فى الملك من بعد أبيهِ وإن يعينهما الناس على ذلك ويميلوا اليهما لشرف امهما مريم لأنها كانت بنت أجلاء الكهنة وأشراف الملوك وكانت رسيس أم انتيبطرس من بنات عامة اليهود فأراد انتيبطرس أن يستريح من أخويهِ فى حياة أبيهِ ففكر فى عمل مكيدة عليهما فقال لابيه

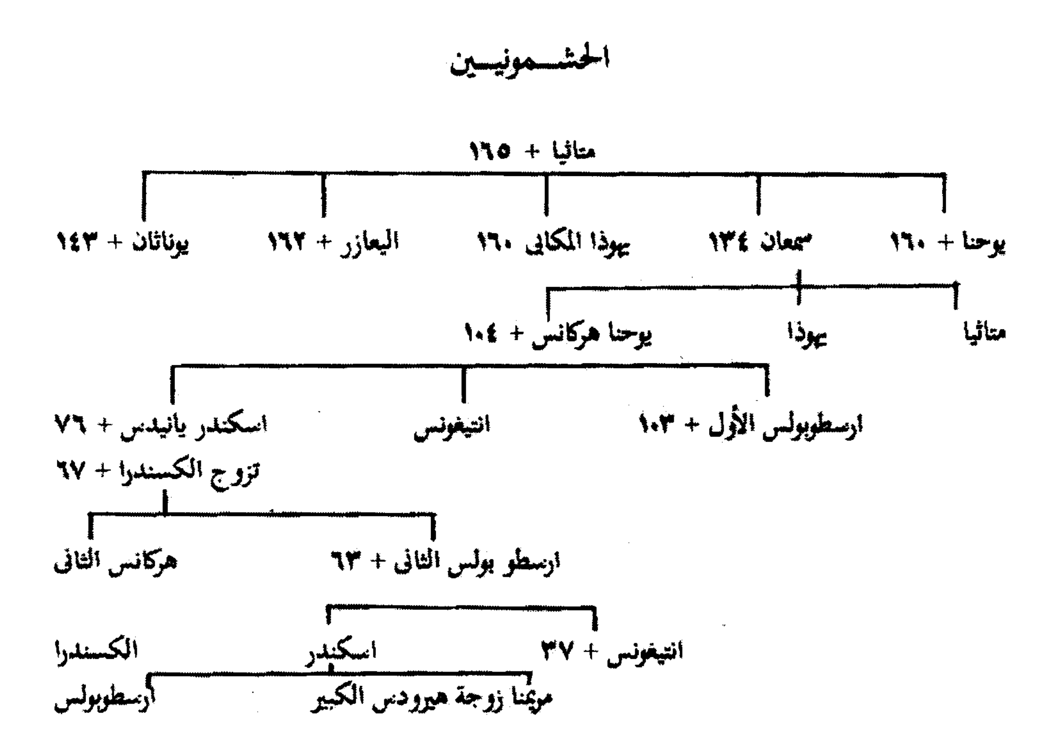
هيرودس إن اسكندر وارسطوبولوس يقولان أنهما أحق بالمُلك منى لأنهما أجل منى وهما يعاديانك ويبغضانك ويريدان قتلك من أجل أنك قتلت امهما وقدمتنى عليهما ولم يزل يكرر هذا القول على هيرودس ويجعل قوماً آخرين يقولن لهُ مثل ذلك إلى أن أثر فى نفسهِ فانقبض عن اسكندر وارسطوبولوس . ثم أن هيرودس سار إلى رومية إلى الملك اوغسطس فأخذ معهُ اسكندر إبنهُ فلما حضر بحضرة اوغسطس شكاه إليهِ وقال أنهُ يعادينى بسبب أُمهِ ويريد قتلى فقال اوغسطس لاسكندر لِمَ أحوجت أباك إلى أن يشكوك . فقال اسكندر أيها الملك حزنى على أمى التى قُتِلت بغير ذنب ما انكرهُ لأن البهائم فضلا عن الانسان العاقل المميز تحن إلى اماتها وتحبها وتألفها وتحزن عليها فى حال فقدها إياها وتستوحش وتتشوق نحوها وقد تراها ترن إلى فراقها، وأما ما ذكره عنى من طلبى قتل أبى فإنى أنكِرهُ وذلك كما أنهُ يجب على من الحق لأمى كذلك يجب لأبى لأن الله عزّ وجلّ قد جعل وجوب حقهما بالسوية وما كنت بالذى أجمع على نفسى بالعاجل المصيبة بوالدى جميعاً مع ما أصير إليهِ فى الآخرة من العذاب الدائم والعقاب الاليم الداهر ولكن أخى انتيبطرس هو الذى يريد يُغضب أبى علىّ بما يتقوّل بهِ علينا من الكذب ليقتلنا كما قتل مريم والدتنا، ثم بكى بكاءً شديداً فرق لهُ اوغسطس قيصر وجميع الحاضرين بكوا لبكائهِ ،فأمر حينئذٍ اوغسطس هيرودس أن يعود لإبنيه إلى ما كان لهما عليهِ وإن يقربهما ولا يبغضهما ولا يقبل قول من يطعن عليهما وأمر اسكندر أن يقبّل رجلى أبيهِ ففعل وأمر هيرودس بأن يضم اسكندر إليهِ ويقبّلهُ ففعل ثم أمر اوغسطس لهيرودس بجوائز وصلاتٍ كثيرة، فأقام فى رومية أياماً ثم عاد إلى أورشليم واستحضر وجوه أصحابهِ ومشايخ اليهود واستحضر بنيه الثلاثة اسكندر وارسطوبولوس وانتيبطرس ثم قال للحاضرين إن الله عزّ وجلّ قد وسع مملكتى وكبّرها وقد رأيت أن اقسمها على بنى الثلاثة بالسواء بحيث لا يكون لواحد منهُ على الآخر أمر ولا اعتراض فى شئ فاشهدوا علىّ بذلك وارضوا بما رضيت بهِ ثم إنى آمركم معشر أصحابى ورعيتى أن تطيعوهم ولا تدخلوا بينهم إلا فيما يصلح أحوالهم ويؤلف قلوبهم وإحذروا أن تدخلوا بينهم فى شئ يوقع العداوة والوحشة ولا تتكلموا عندهم ما يعود بالمضرة عليهم فإن الكلام يحرك قلب الانسان كما تحرك الرياح مياه البحر ولا تجالسوهم على الشراب ولا تكثروا معهم الانس والحديث فإن كثرة انسكم بهم يدعوهم إلى أن يطلعوكم على اسرارهم فإذا وقفتم عليها الجأكم ذاك إلى أن تتقربوا إلى كل واحد منهم بنقل أخبار الآخر إليهِ فيحدث لذلك من الشر بينهم ما يكون سبباً لهلاكهم وهلاككم، ثم التفت إلى بنيه وقال لهم إنى أوصيكم بطاعة الله وطاعتى فإن بذلك تطول أعماركم وتنجح أموركم وتنالوا الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة ثم ضمهم إليهِ وقبلهم وأمر الناس بالانصراف.

فلم ينفع ما عمله هيرودس ولا صلحت قلوب بنيه لأن انتيبطرس كان يريد أن يكون الأمر لهُ وحده حسبما كان أبوه جعله قبل ذلك وكان اسكندر وارسطوبولوس يريان أن انتيبطرس لا يستحق أن يكون نظيرا لهما وكان فى انتيبطرس شر عظيم ومكر ودهاء ولم يكن فى أخويهِ ذلك وكان يظهر لهما الاكرام ويلقاهما بالجميل وهو منطو على عداوتهما وبغضتهما وكان قد جعل عليهما عيونا ورقباء ومستجثين

يرفعون إليهِ اخبارهما فى كل وقت وجعل من يرفع عليهما إلــى هيــرودس بــالحق والباطل من كلام يُغضبهُ عليهما وإذا حضر هو عند هيرودس أبيــهِ لا يــذكرهما إلا بالجميل والثناء عليهما ويُكذّب من يتكلم عليهما بالسوء دهاءً منهُ وتحكما فى الشر فكان هيرودس أبوه لا يتهمه فى أمرهما ولا يشك فى محبتهِ لهما وكان هو فى الــسر لا يفتر ولا يدع الاحتيال فى مضرتهما والاغتيال عليهما والتوصل إلى مكروههمــا . ثم أن انتيبطرس أقبل يلطّف بعمهِ فيروراس وعمتــهِ ســالومى وســألهما أن يقــولا لهيرودس أن اسكندر وارسطوبولوس يريدان قتله وقتل انتيبطرس وطلب اليهمــا أن يمكنا من نفسهِ ذلك. وكان هذان يعاديان اسكندر وارسطوبولوس بسبب امهما مــريم، ففعلا ما أمرهما بهِ انتيبطرس ودخل انتيبطرس إلى هيرودس فقال لهُ مثل ذلك وقوى المكيدة بأقوام آخرين كانوا يمقتون الاخوين فجعل هؤلاء يدخلون إلى هيرودس كقوم ينصحونهُ ويؤكدون عندهُ تحقيق ما رفع إليهِ عنهما ففعل الوشاة ذلــك والقــوا إلــى هيرودس ما أغضبهُ وأخرجهُ عليهما فاعتقلها وقيدهما . فلمــا وصــل ذلــك الخبــر بارخلاوس ملك كبدوكية حمى اسكندر جاء إلى أورشليم يتلطف فى خلاص صــهرهِ. وكان ارخلاوس هذا رجلاً حكيما فاضلاً فلما أتى إلى هيرودس أظهر لهُ من الــسخط على اسكندر والغم بما وصل بهِ عنهُ دون أن يزيد عليهِ، ثم قــال ارخــلاوس إلــى هيرودس إنى إنما جئت إلى ههنا لأنظر إن كانت إبنتى إمرأة اسكندر علمت بما أراد زوجها أن يفعل ولم تخبر الملك قتلتها، وإن كانت لم تعلم بذلك فرّقت بينها وبينه . ثم أقبل ارخلاوس يستميل هيرودس ويلاطفه ويكثر الحضور عندهُ إلــى أن أنــس بــهِ هيرودس ومال إليهِ وكان لا يفارقه فى أكثر أوقاتهِ . فلما علم ارخلاوس بميله إليــهِ وثقتهِ بهِ قال لهُ فى بعض الأيام إنى تأملت أمرك أيها الملك فوجــدتك لمــا كبــرت واحتجت إلى الدعة والرفاهية وراحة القلب قد حصلت على ضد ذلك من الهم والغــم وشغل القلب، ثم تأملت أمر ابنيك اسكندر وارسطوبولوس فوجدتك لم تقصر بالإحسان اليهما ولم يبق أمر يريدانهُ إلا وقد بلّغتهما إيّاه، وعلمت أن الذى بلغك عنهمــا مــن طلبهما قتلك غير صحيح وإن الذى أخبرك بذلك فقد كذب ولم يرث لك أنت ولا شفق عليهما، وإذا كان قد تم لهذا القائل أن تمكن منك مع تقدمة ســنّك وفــضلك وحنــوّك وكثرة تجربتك ومعرفتك بالناس حتى قبلت قولهُ ونقلك عن حب الوالد وإشفاقهِ إلــى القساوة والحنق على ولديك فهو أولى بأن يتمكن منهما ويؤثر كلامه فيها لما هما عليهِ من الحداثة وقلة التجربة بالامور والمعرفة بمكر الناس وشــرهم . فقــال هيــرودس لأرخلاوس يبدو أن الأمر كما ذكرت فمن الذى خدعهما وحمّلهما على ذلــك، فقــال ارخلاوس هو فيروراس أخوك . ثم أخبرهُ بما وقف عليهِ من ذلك فقبل هيرودس قول ارخلاوس وغضب على فيروراس أخيهِ وأبعدهُ فخاف فيروراس على نفسهِ من أخيــهِ فمضى إلى ارخلاوس واعترف بذنبه وسألهُ أن يصلح لهُ قلب هيرودس أخيهِ ويزيــل ما فى نفسهِ عليهِ . قال ارخلاوس أنا أفعل ذلك بعد أن تعاهدنى أنك تحكــى للملــك وتخبرهُ بكل ما تعرفهُ فى أمر ولديهِ،فعاهدهُ فيروراس على ذلك . ثم أن ارخــلاوس حضر عند هيرودس بعد أيام فقال لهُ إن أهل الرجل منهُ بمنزلة أعضاء جسدهِ فكمــا يجب على العاقل إذا مرض بعض اعضائه أن يلّطف فى إصلاحهِ بالدواء ولا يبــادر

بقطعهِ فينحل جسمه ويزيد مرضهُ والمهُ، كذلك يجب عليهِ إذا اخطأ بعض أهلهُ أن يصلحهُ ويقبل عذره ولا يُعجِل بعقوبتهِ أو بقتلهِ وينبغى للعاقل أيضاً إذا سخط على بعض أهلهُ وهجرهُ ألا يطيل بعدهُ منهُ ويُداوم فى عتابهِ ويطيل هجرهِ فيوحشهُ منهُ ويجد عدوه الطريق إلى الدخول بينهم بما يفسد حالهم وفيروراس هو أوخوك وعضو من أعضائك وقد هجرتهُ وسخطت عليهِ وهو معترف بذنبهِ ويعتذر منهُ ويسأل الملك أن يعفو عنهُ ويصفح لهُ وقد توسل بى إليك أيها الملك لأسألك أن ترضى عنهُ وأنا أسأل الملك أن يجيب سؤالى فيهِ ويصفح عنهُ. فقال هيرودس قد أجبت سؤالك فيما سألت ثم أمر بإحضار فيروراس أخيهِ فلما أحضروه سقط بوجههِ واعترف بذنبهِ وأخبر الملك بأنهُ هو الذى إحتال عل ولديه وأخبرهُ عنهما مالاً حقيقة لهُ حتى سخط عليهما . فقال لهُ هيرودس ما الذى حمّلك على ذلكن فقال لهُ لأنك فرّقت بينى وبين جاريتى فلانه وأخذتها منى وأنا كاره، فقال هيرودس لارخلاوس قد صفحت عن فيروارس أخى بمسألتك وشكرت ما صنعت لأنك داويت بلطفك ما عرض لاحوالنا من الفساد حتى انصلحت واستقامت كما يلطّف الطبيب بمداواته جسم العليل المريض حتى يصلح ويبرأ . ثم أمر هيرودس باطلاق اسكندر وارسطوبولوس إبنيهِ ورضى عليهما وأمر لارخلاوس بمالِ وهدايا كثيرة وأمر جميع قواده وأصحابهُ أن يهدوا إليهِ هدايا كثيرة وانصرف ارخلاوس راجعا إلى بلدهِ فشيّعه الملك هيرودس إلى موضع بعيد ثم ودّعه وعاد إلى أورشليم ومضى ارخلاوس إلى بلدهِ. فلما رأى انتيبطرس أن أباه قد أطلق أخويهِ ورضى عليهما ساءه ذلك وأقبل يدبّر عليهما ويحتال فى قتلهما، فحمل إلى رجل من خواص هيرودس مالاً وسأله أن يتلطف فى اسخاط الملك عليهما ويؤكد لهُ أنهما يريدان قتلهُ، ففعل الرجل كذلك وتلطّف فيهِ واجتهد حتى غير قلب هيرودس على ابنيه اسكندر وارسطوبولوس وأوحشهُ منهما فسخط عليهما وأمر بأن يعتقلا ويقيّدا، ثم أن هيرودس مضى إلى الساحل فحملهما معهُ مقيدين مضيقاً عليهما، فرق لهما جميع من كان مع هيرودس من قوادهِ وأصحابهِ واغتموا عليهما ولم يتجرّأ أحد منهم أن يسألهُ خوفا من أن يتّهمهُ فى أمرهما، وكان فى العسكر شيخ من جملة القواد وكان ابن هذا الشيخ صديقا لاسكندر بن هيرودس ومخالطهُ . فلما رأى الشيخ سوء حال اسكندر وأخيه وما يجرى عليهما ساءهُ ذلك جداً وحملهُ على الغم بأمرهما مع ادلالهِ بمنزلتهِ عند الملك أن صاح بأعلى صوتهِ فى العسكر قد ذهب الاشفاق وقلّت الرحمة وبطل الحق وتغيّب العدل وعدم الانصاف من العالم . ثم قال لهيرودس يا من يبغض أحباءه ويحب مبغضيه وأعداءه كيف غاب عنك الصواب معَ معرفتك وفضلك حتى قبلت من اعدائك الذين يحمّلونك على قتل أولادك وهدم اركانك وإنما يريدون أن تبقى وحيداً فريداً ثم يدبرون على هلاكك بعد ذلك. فتبادر أعداء اسكندر وارسطوبولوس إلى هيرودس فقالوا لهُ أيها الملك إن هذا الشيخ لم يتكلم بهذا الكلام لمحبتهِ لك ولا لمودته لبنيك ولكنه أراد أن يظهر ما فى قلبه من عداوة الملك وبغضتهِ ويطعن على رأيهِ وسياستهِ ويشنعهُ عند جنده ورعيتهِ بحيث أنهُ يظهر أنهُ ناصح مشفق وهو عدو مبغض منافق ومشاق ولقد صح عندنا أن هذا الشيخ إتفق مع مزيّن الملك على قتلهِ وضمن لهُ عند اسكندر وأخيه مالاً كثيراً فأمر هيرودس بالقبض على

الشيخ وعلى إبنهُ وعلى المزيَّن وعاقبهم ليعترفوا بما قيل عنهم فما قالوا شيئاً . فلما اشتدت العقوبة على إبن الشيخ وكان صبياً حدثا ولم يحتمل العذاب فإعترف على نفسهِ بما تجنى بهِ القوم السعاة من الكذب ليدفع عن نفسهِ وعن أبيهِ مضض العقوبة فما نفعه ذلك حيث أمر هيرودس بقتله وقتل المزيَّن ثم أمر بأن يحمل اسكندر وارسطوبولوس إلى سبسطيه فيُقتلا هناك وأمر أن يصلبا فصُلبا. وكان اسكندر قد أنجب ابنين اسم الواحد تركان واسم الآخر بأسم اسكندر أبيهِ ولدهما من إبنة ارخلاوس ملك كبدوكية وخلف ارسطوبولوس ثلاثة بنين اسم الواحد كاسم أبيهِ ارسطوبولوس واسم الآخر اغريباس وهو الذى ملك بعد انتيبطرس بن هيرودس واسم الثالث هيرودس باسم جده وخلّف أيضاً ابنين.



الفصل السابع

(ذكر قتل انتيبطرس بن هيرودس وموت هيرودس)

ولما قُتِل اسكندر وارسطوبولوس ابنا هيرودس فـرح انتيبطـرس أخوهمـا بهلاكهما وبلغ ما كان يريده فيهما، فلما تبين للناس منهُ ذلك أبغضوه وكرهوه جداً إلا أن انتيبطرس بكل هذا لم يكف عن الشر ولا توقف عن السلوك الردىء والتخابث ولم يكتف بقتل الأخوين حتى قصد أولادهما أيضاً بالمكروه والأذى، وذلك أن هيـرودس لما قتل إبنيهِ ندم على قتلهما لما تبيَّن بطلان ما قيل عنهما لهُ فتعطف على أولادهمـا وقرَّبهما إليهِ وعنى بإصلاح أحوالهما . ثم جمع قواده وأصحابهُ فقال لهم قد كبـرت وقرب الموت منى وإذا رأيت أولاد ابنى المقتولين عظم غمى وحزنى وبكت عينـاى لأنى أنا الذى جرحت نفسى بنفسى وقتلت ولدى بسوء رأيي وحصلت بعدهم على الغم والأسف والحسرة وقد اشتدت رحمتى لأولادهما لصغرهم ويتمهم، ورأيت أن اسندهم إلى من يكتفلهم ويكفيهم ويقوم لهم مقام الأب . ثم قال لفيروراس أخيهِ قد رأيـت أن أزوِّج ابنتك لتركان بن اسكندر وتضمهُ إليك . وقال لانتيبطرس وأنت يا ابنى أريد أن تزوج ابنتك لابن أخيك ارسطوبولوس وتقوم لأولاد اخيك مقـام أبـيهم فمـا امكـن فيروراس وانتيبطرس أن يخالفا هيرودس،فأجاباهُ بقبول ما أمرهما وهمـا كارهـان لذلك.فأخذ هيرودس أيديهما وصافحهما على ذلك وعقـد الزيجـة بحـضرة النـاس وأشهدهم عليهما فسر الحاضرون بما فعل هيرودس ووافقهم . أما انتيبطـرس فكـرة ذلك ولم يسرهُ لعداوتهِ لإخوتهِ ولاولادهما ولأنهُ خاف أن يقوى أمـر تركـان بـن اسكندر بفيروراس حميه وارخلاوس ملك كبدوكية جدهِ فحمل إلى فيـروراس عمـهِ أموالاً كثيرة وسألهُ أن يحتال فى إبطال ما عقدهُ هيرودس من الزيخة بينهُ وبين تركان بن اسكندر ففعل فيروراس ذلك ولم يزل يحتال ويلطِّف ويسأل هيرودس ويخدعهُ حتى فسخ الزيجة وأبطلها . ثم أن هيرودس وجه بابنهِ انتيبطرس إلى رومية ليسلِّم علـى قيصر الملك اوغسطس ويجدد معهُ عهداً، فبعد مسير انتيبطرس هذا بلغ هيرودس أن فيروراس أخاهُ يدبِّر على هلاكهِ، فأثَّر ذلك فى نفسهِ من غير أن يحققهُ، فسخط عليـهِ وأبعده وأمرهُ أن يلزم بيتهِ ولا يدخل إليهِ أحد . ثم أن فيروراس مرض بعلة المـوت، فلما يأس من نفسهِ وجه إلى هيرودس أخيهِ يسألهُ المسير إليهِ ليراه قبل موته ويوصيهِ بمن يخلف من أهلهِ وولدهِ، فرق لهُ هيرودس وسار إليهِ فلما رآه هيرودس على تلـك الحالة بكى بكاءً مراً ووعده بالجميل فى أهلهِ وولدهِ ثم انصرف. ومـات فيـروراس فاغتم عليهِ هيرودس وبالغ فى إكرامهِ ودفنهِ مع آبائهِ ثم أن هيرودس أراد أن يتحقق ما كان قد بلغ عنهُ فقبض على خدام أخيهِ وجواريه فعاقبهم فأقرَّت واحدة من الجوارى أن فيروراس وانتيبطرس كانا يجتمعان عند رسيس أم انتيبطرس إذا انـصرفا مـن مجلس الملك هيرودس فيجلسان عندها فى مجلس قد أعدتهُ لهما أكثر الليـل يـشربان

ويدبِّران على الملك،ثم قالت ولقد سمعت انتيبطرس يقول لفيروراس فى بعض الليالى إن هذا الملك كالسبع الردىء ذو خلق أسدى لا يرحم أحداً لأنهُ قتل إمرأتهُ التى كان يحبها وقتل أولادهُ وأهله والواجب أن نبتعد عنهُ وإلا فلا ننجو منهُ ولا نفلت من توحشهِ ورداءتهِ فإذا فررنا منهُ وحصلنا حيث لا يقدر علينا دبرنا على هلاكه واحتلنا فى قتلهِ فاننا إن لم نسارع بذلك ونبدأ بقتلهِ قتلنا هو كما قتلهم، وهو يزعم أنهُ قد جعل لى الملك من بعدهُ وهوذا كما ترونهُ إلى هذه الغاية كالشاب القوى وأنا قد شبتُ وما ادرى من يموت فينا قبل صاحبهِ وأولاد أولادهِ المقتولين قد كبروا وهوذا يقربّهم إليهِ ويدنيهم منهُ وأنا أعلم أنهُ لا يريد لى خيراً لأنهُ مبغض وماقت لجميع أهلهُ وهو قد أبعدك وأنت أخوهُ ولم يراع موضعك منهُ وخدمتك لهُ ونصحك إياه بل جافاك وطرحك بغير سبب ولقد أمرنى أن اهجرك ولا اكلمك ووعدنى أنهُ يعطينى مئة بدرة، فقال لهُ فيروراس الأمر على ما ذكرت ولسنا نأمن شرهِ ولا نثق منهُ والصواب أن تستريح منهُ قبل أن يقتلنا . ثم قالت الجارية بانهما اتفقا على أن يمضى انتيبطرس إلى رومية ويقيم فيروراس مع الملك فيحتال عليهِ حتى يقتله . ثم يعود انتيبطرس من رومية فيملك المُلك.

فلما سمع هيرودس كلام الجارية علم أنها قد صدقت وذلك أنهُ كان قد أمر إبنهُ انتيبطرس بألاّ يكلم عمهِ فيروراس ووعده بالملك وكان ذلك سرا بينهما ولم يُعلِم بهِ أحد غيرهما، فاطلق الجارية وجميع خدام فيروراس وجواريه وقبض على خازن انتيبطرس إبنهِ وعاقبهُ ليقر بما وقف عليهِ من تدبير انتيبطرس ولدهُ وفيروراس أخيهِ على قتلهُ، فأقر الخازن بأن انتيبطرس كان قد وجه صديقا لهُ إلى مصر حتى أتاهُ من هناك بقارورة سم فدفعها إلى فيروراس وقال لهُ إذا مضيت أنا إلى رومية فاحتل أنت على أبى حتى تقتله بهذا السم فانى أكره أن يكون ذلك وأنا حاضر فينسب ذلك إلىَّ فضمن لهُ فيروراس ذلك وأخذ منهُ قارورة السم ودفعها إلى إمرأتهُ وأمرها بأن تحتفظ بها فارسل هيرودس إلى إمرأة فيروراس أخيهِ يأمرها بالحضور لديه بذلك السم فخافت المرأة من هيرودس فأخذت القارورة معها والقت ذاتها من مكان عال لتموت فلم تمت بل توهنت وترضضت وتألمت بعض أعضائها فحُمِلت إلى هيرودس فى تلك الحالة فأمرها أن تحكى لهُ بالصدق كل ما تعرفهُ عن خبر أخيهِ . ثم تهددها إلى أن اخبرت ذلك فقالت أيها الملك لو كان زوجى فيروراس باقياً فى الحياة لما كشفت لهُ سراً إلى الابد ما دمت ولو جلبت على عقوبات مبرحة وتعذيبات وتلويات قادحة بل كنت أفديه بنفسى وأبدل دونهُ مهجتى وأما الآن فاذ قد مات وفات وأمنتُ عليهِ من سائر المكاره والآفات الصائرة إليهِ من بنى ادم فانى أخبرك أيها الملك عنهُ وذلك أنهُ استدعانى فى اليوم الذى مات فيهِ بعد مجيئك إليهِ وانصرافك من عندهِ فقال لى قد رأيت ما تفضل بهِ أخى علىَّ من مجيئهِ إلىَّ وبكائه لما رآنى وما وعدنى بهِ من الجميل فى من أخلفهُ بعدى وقد كان ذلك الظالم انتيبطرس الغاش خدعنى وكان يغوينى فحمّلنى على قتل أخى وأعطانى سماً قاتلا أسمَهُ بهِ وقد كنت قاربت أن أفعل ذلك وأقتل أخى إبن أمى وأبى وأوجب وأولى من سائر الخلق حقاً على والآن فاسرعى وائتينى بقارورة السم التى دفعها إلى انتيبطرس الباغى وإقلبى السم الذى فيها

أمامى لئلا يظفر بهِ انتيبطرس من بعدى فيقتل أخى ففعلت أنا ما أمرنى بهِ وتركت من ذلك السم قليلا فى قارورة لأريه لسيدى الملك إذا سالنى عنهُ لأنى كنت خائفة من هذا اليوم، ثم أخرجت القارورة لهيرودس فأمر بأخذها والاحتفاظ بها ثم أمر بأن تحمل المرأة إلى منزلها وتقدم الاطباء بمداواتها، وكتب إلى انتيبطرس إبنهُ يأمره بالعودة من رومية ولا يتأخر. فعاد انتيبطرس ومعهُ رسول من عند الملك اوغسطس يسمى اوراس إلى هيرودس فلما صار إلى مدينة قيصرية بلغه أن عمهِ فيروراس قد مات وأن هيرودس قد سخط على أمهِ رسيس ومنع أن تسمى سيدة فخاف انتيبطرس أن يكون هيرودس قد وقف على ما كان بينه وبين عمهِ ولذلك سخط على أمهِ وابعدها ومنعها أن تسمى سيدة فأراد أن يهرب فمنعه من كان معهُ من خدام هيرودس وغلمانهِ لخوفهم من هيرودس ولأنهم أرادوا أن يرجعوا إلى اهلهم ومنازلهم وقالوا لانتيبطرس أنك إن هربت حققت قول أعدائك فيك ولا تقدر أن تنجو من أبيك ولا تطمع أنك تفوتهُ لأنهُ يتطلبك حيثما اتجهت وأية ناحية قصدت ولا يقدر أحد أن يمنعهُ منك ولا يدفعهُ عنك ومن أصوب الآراء أن تمضى إليهِ وتحتج عن نفسك فإنهُ إذا رآك وسمع كلامك قبلهُ وأزال ما فى نفسهِ منك، فقبل انتيبطرس قولهم ومضى إلى أورشليم فلما وصل إلى البلد لم يستقبلهُ أحد لأن الخبر شاع أن هيرودس الملك ساخط عليهِ فامتنع بعض الناس من لقائهِ خوفا من الملك، وأكثر الناس كانوا يمقتونه فما أثروا لقاءهُ. ووجه هيرودس أقواما يتوكلون بانتيبطرس . فلما رأى انتيبطرس ذلك أيقن بحصوله فى الاسواءِ وخاف على نفسهِ ثم دخل إلى المدينة ومضى إلى أبيهِ فلما رآه ميَّل وجهه عنهُ وقال لهُ إبعد عنى يا فاقد كل صلاح . تنحَّ عن وجهى يا عديم كل خير، إمض من قدام عينيَّ يا ملعون. وفى الغد أحضر مع رسول اوغسطس الملك واحتج عن نفسك إن كانت لك حجة . فلما كان فى غد ذلك اليوم أمر هيرودس بإحضار قوادهِ وأصحابهِ فحضروا على طبقاتهم وحضر رسول الملك اوغسطس وأحضر هيرودس كل من كان قد أقر على انتيبطرس بما أراد أن يفعله، فلما حضروا التفت هيرودس إلى رسول الملك اوغسطس فقال لهُ سمعت يا اوراس باقبح ما فعل ابنى انتيبطرس إذ طلب هلاكى وأراد أن يقتلنى فقال لهُ رسول الملك لا تعجل أيها الملك وتأمل هذا الأمر وابحث عنهُ حتى تقف عليهِ صحيحا حقيقاً، فأمر هيرودس بإحضار كتاب من أم انتيبطرس إليهِ وقُرئَ بحضرة الناس وكان فيهِ أنهُ قد انكشف للملك تدبيرك على قتلهِ فأحذر أن تعود إلى أورشليم إلا ومعك عسكر قوى من الروم فانك لا تخلص منهُ إلاّ بمحاربتهِ.

ثم أمر هيرودس بإحضار انتيبطرس فلما حضر طرح نفسهِ على رجلى أبيهِ وأقبل يبكى ويتضرع فلما رأى الحاضرون أن يتكلموا فى حق انتيبطرس بالجميل ويسألوا الملك أن يصفح عنهُ منعهم هيرودس أن يتكلموا وأمرهم بالصمت والسكوت فسكتوا، ثم أقبل على رسول اوغسطس فقال لهُ لا يجوز لمن وقف على أفعال انتيبطرس وظلمهِ أن يرحمهُ ويسأل فيهِ وقد تمنيت أن أكون بغير ولد فإن ذلك كان خيراً لى من أن أقتل ولدى مثل هذا الظالم ولقد علمت إنى قتلت ولدى ظلما وانهما كانا بريئين ولكن هو الذى حمّلنى على قتلهما بشرهِ وكذبهِ، ولم يفعل ذلك لسوء سبق

منهما إليهِ بل حسداً لهما لما علم أنهما أفضل منهُ وأولى بالملك وقد كنت غلطت لما قدمته عليهما وجعلت لهُ الملك دونهما لأنهُ صار لذلك عدواً لهما يطلب هلاكهما ثم خدعهما بمكرهِ وشرهِ حتى حملهما على عداوتى، ثم خدعنى بحيلته وكذبه حتى قتلتهما وأحزنت نفسى وفرحتهُ وقتلت ولدىَ ظلما حتى أرضيتهُ ثم صرت أبكى عليهما وهو يضحك وأحزن على قتلهما وهو يفرح، وكيف لا أبكى ويعظم حزنى وأنا أنظر إلى نسائهما أرامل وإلى أولادهما يتامى ولا أقدر على تلافى ما فرط ولارد ما قد فات .

ثم أنهُ لم يكتف بذلك من قتلهِ اخوتهُ حتى أخذ فى التدبير على قتلى ولم ينتظر أن يميتنى الله بأجلى مع علمه بكبر سنى وقرب الموت منى بل طلب أن يتعجل للملك بقتلى ويكافئنى على الاحسان إليهِ بالاساءة ولم يتق الله عزَّ وجلَّ فى اخوتهِ ولا فىَّ، ولم يراعِ احسانى إليهِ لأنى مكنتهُ وقدمتهُ على اخوتهِ الذين كانوا أولى بالملك والتقدم منهُ وسلَّطته على الأموال والرجال وبسطت يدهُ ورفعت قدرهُ وبلَّغته ما يفوق أملهُ وبعثتهُ إلى الملك اوغسطس ليقرب من قلبه ويحظى بشرف المنزلة عندهُ ومازلت مجتهدا فى كل ما يصلح حاله ويقوى أمرهُ وعزمهُ وهو مع ذلك مجتهدُ فى مكروهى ويعاملنى بالمكر والخديعة ويظهر للناس أنهُ ينصحنى ويحفظنى من أعدائى وهو أشر الناس علىَّ وأشدهم عداوة لى فلا تغتر يا اوراس لخصوعه ولا تقبل كلامه ولا ترحم بكاءه فإنهُ معتاد الكذب والخديعة وما كنت بالذى أرحمه وهو لا يرحم اخوتهُ ولا يرحمنى، ولو علمت من جميع أولادى وأهلى أنهم يريدون قتلى لم ارحمهم ولا أبقى على أحد منهم.

ثم أمسك هيرودس عن الكلام وبعد ذلك رفع انتيبطرس رأسه عن الأرض قليلا مثل الأسير الذليل والمريض الذابل ثم تكلم بخضوع وانكسار فقال يا أبى قد سمعت مقالتك وفهمت كلامك وجميع ما قد ذكرته فهو حجة لى وقد أظهرت براءتى من حيث أردت أن تبين ظلمى لأنك قلت إنى كنت احفظك من أعدائك وأحرسك ممن يطلب هلاكك ولو كنت أريد قتلك لما فعلت ذلك، وأما ما وصفته من احسانك إلىَّ فأنا معترف بجميعه وهو أكبر حججى فى إبطال ما ذكر عنى من إرادتى قتلك لأن أكثر ما يحمل الانسان على قتل صاحبهِ شيئان أحدهما أن يأمن من سوء كان يخافه منهُ . والثانى أن ينال خيراً قد كان منعه عنهُ . أما السوء فما رأيته منك قط ولا خفتهُ وأما الخير فلم يبق شئ مما يتمناه الانسان إلا وقد بلغته منك لأنك ملَّكتنى وقدمتنى على اخوتى ورفعت قدرى وأغنيتنى وأكدت حالى عند الملك اوغسطس حتى حظيت عندهُ وأكرمنى لما مضيت إليهِ وقدمنى على جميع رسل الملوك الذين وردوا إليهِ وكنت مع ذلك أكثرهم مالاً وأحسنهم حالا وأجلهم قدرا وإنما نلت جميع ذلك بنعمتك وجاهك فأى شئ بقى من الجميل لم تفعله بى حتى تظن بى إنى اعاديك بسببه فأطلب قتلك من أجله لأناله، ولو كنت أشر الناس طبعا واشدهم لك عداوة وبغضا، لقد كان احسانك الكثير يصلحنى لك ويضطرنى إلى محبتك ويمنعنى عن طلبى مكروهك ومع ذلك لم يبلغ بى الجهل وقلة المعرفة إلى أن يغيب عنى ما أوجبه الله علىَّ من حقك حتى اتعرض لقتلك واسخط الله عزَّ وجلَّ ويحل بى اليم عقابهِ ولو لم يردنى عن ذلك الخوف من الله لصدنى عن ذلك الاعتبار بأخوىَّ والخوف مما أصابهما لما ارادا قتلك بأن الله

عاجلهما بالعقاب ولم يمهلهما فأظهر لك أمرهما حتى قتلتهما ولعمـرى أن احسانك الكبير إليَّ كان هو السبب فى عداوة أخوىَّ لى حتى أرادا قتلى وقتلك، وأما أنا فكيف تظن بى إنى كنت اعاديهما واريد قتلهما وأنت قد قدمتنى عليهما وجعلت لـى الملـك دونهما فلم يبقَ لى حال اعاديهما عليها وأريد قتلهما من أجلها ولو كنت أريد قتلك لما اجتهدت فى تأكيد محبة الملك اوغسطس لك لما حضرت عندهُ واثنيته عـن معاونـة سيلاون عليك بعد أن كان سيلاون قد حمل إليهِ الهدايا والاموال الكثيـرة وسـأله أن يقويه بالرجال ليحاربك وأنت تعرف بأس سيلاون وشجاعتهُ، أو ليس أنا الذى أخذ من قد كمن لك لكى يقتلك واتيت بهِ إليك حتى قتلتهُ، فلو كنت أريد قتلك لم أفعل شيئاً من ذلك وكنت قد بلغت غرضى فيك بحيث لا ينسب لى ولا اعاب بهِ وقد علمـت إنـى أخطأت على نفسى بمضى إلى رومية وبعدى من حضرة الملك لأن أعداءى وحسادى تمكنوا منى فى غيبتى ومن الكذب على والاحتيال فى مكروهى فانهم صوروا عنـدك الباطل بصورة الحق فقبلته منهم ولو إنى كنت حاضرا لما تم لهم ذلك على إنى مـا مضيت إلى رومية إلا بأمرك وأنت الذى ارسلتنى فاثرت طاعتك وخدمتك وثبت عند الملك اوغسطس واجتهدت فى ابطال ما أراد سـيلاون مـن محاربتـك وإن يثنـى اوغسطس عن محبتك وانما فعلت ذلك لاشفاقى عليك ونصحى لك والملك اوغسطس يشهد لى بما سمعه من كلامى الجميل فيك وما شاهده فى اجتهـادى ونـصحى فـى توقيرك واكرامك وما عاد بمسرتك وإن كتبت إليهِ تسأله عن ذلـك فهـو سـيخبرك بصدقى وصحة قولى، ومع ذلك فأنت تعرف محبة اوغسطس لك ولو أنهُ رأى منى فى أمرك ما يكرهه لم يرض بهِ ولا أخفاهُ عنك ومع ذلك فلو كنت استسهلت ركـوب هذه المعصية العظيمة والامر الفظيع لما امهلنى الله إلى هذه الغاية وسلمنى من الآفات فى البر والبحر وخلصنى من حوادث السماء والارض فإن الله عزَّ وجلَّ لـم يمهـل العصاة لما أسرفوا بل عاجلهم بما استحقوه من العقوبة وقد علمت أن ابشالوم لما ظلم داود أباه وطلب قتله عاجله الله بالمكافاة حتى هلك، ولو أنهُ كان وصل إلى أبيهِ لـسلم ولم يهلك، وها أنا قد جئت إليك ولو إنى اردت اهرب لما بعد علىَّ الهروب وكان لى فى الأرض سعة. وقد أشفق داود على إبنهُ الذى طلب قتله ظاهراً فأوصى أصحابهِ ألا ينالوه بسوء وانما جميع ما بلغك عنى هو قول أعداء وحساد لم يظهـر لـشئ منـهُ حقيقة، فإن أمهلتنى وأخرتنى إلى أن يتحقق أمرى فهو الأشبه بك والأولـى بفـضلك وعدلك وإن لم تفعل ذلك وأردت قتلى فاقتلنى أنت بيدك فانى استسهل المـوت فـى طاعتك ومرضاتك. فإن قلت كيف اقتل ولدى وهو لحمى ودمى فليس منك ولا مـن لحمك ودمك من أراد قتلك وسعى فى هلاكك ولم يشفق عليك . ثم بكـى انتيبطـرس بكاء شديداً فرق لهُ الحاضرون لما سمعوا من كلامه وبكوا لبكائه ما خلا هيـرودس ونيقولاوس كاتبهُ وكان نيقولاوس محبا لابنى هيرودس المقتـولين عارفـا بخـصال انتيبطرس وفعاله الشريرة وسوء نيتهِ ودهائه وغشهِ.

فأمر هيرودس نيقولاوس بالكلام لأنهُ لم يوهل انتيبطرس بجواب شـئ ممـا اعتذر منهُ وتكلم بهِ فقال حينئذ نيقولاوس يغركم أيها الحاضرون ما تسمعونه من كلام انتيبطرس وخضوعه وتذللهِ وبكائهِ وإنما جميع ذلك تماكر منهُ وتخابث وبمثـل هـذا

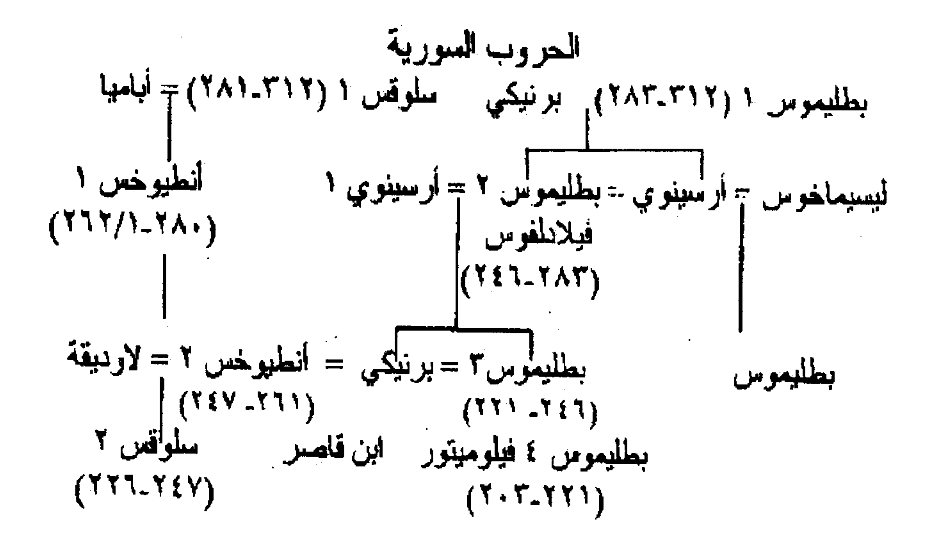
المكر قتل أخويه وغيرهما واحتال على فيروراس أخى الملك بما لا يشك فى صحتهِ ولا حجة لهُ فيهِ ولو أن انتيبطرس أنصف نفسهِ لما كان لهُ سبب يدعوه إلى قتل أبيهِ لكنه لما استبطأ موت أبيهِ أراد أن يقتله ليتعجل لهُ الملك وأنتم فتبكون على الاخوين النفيسين المقتولين ظلما وترحمونهما وتتوجعون لهما فذاك أولى وأحق من أن ترحموا انتيبطرس وتتوجعوا لهُ بعد ما ظهر من شره وظلمهِ وينبغى أن تنظروا لملككم ولأنفسكم ولأولادكم. إن انتيبطرس أن خلص من القتل لم يبقِ منكم أحداً،وتكلم نيقولاوس كلاما كثيراً فى هذا المعنى بيَّن بهِ ظلم انتيبطرس وصحة ما ذُكر عنهُ. فقال هيرودس لرسول الملك يا اوراس سل انتيبطرس هل بقى له حجة يحتج بها عن نفسهِ فسألهُ الرسول فلم يجب انتيبطرس بحرف حينئذٍ أمر هيرودس بإحضار قارورة السم التى كان انتيبطرس سلمها لعمهِ فيروراس وأحضر رجلاً ممن وجب عليهِ القتل فأمر بأن يُسقى من ذلك السم،فلما سُقىَ مات لوقتهِ،فأمر هيرودس بأن تختم القارورة ودفعها إلى رسول اوغسطس ليمضى بها إليهِ ويخبرهُ بما جرى،وأمر بأن يقيِّد انتيبطرس فقيد وحبس ولم يزل معتقلا إلى أن أمر بقتلهِ.

(ذكر موت هيرودس)

(٤ ق . م)

ثم أن الملك هيرودس اعتل علة الموت وكانت علتهُ تزداد فى كل يوم وتقوى وتعظم حتى ضجر من الحياة وطلب الموت ليستريح مما كان فيهِ من الآلام والاوجاع العظيمة. فعمل على أن يقتل نفسهِ فاستدعى بتفاحة فلما أخذها قال للغلام اعطنى سكينا اقشرها بها بيدى فأتاه بسكين فلما أخذها رفعها بيده ليضرب بها فواده فبادر الغلمان إليهِ فمسكوا يده واخذوا السكين منهُ وبكوا وصرخوا وارتفعت اصواتهم بالعويل والضجيج فسمع الناس من خارج القصر فبكوا لبكائهم ووقع الخبر بأن الملك قد مات فسمع إبنهُ انتيبطرس بذلك فسر لذلك وفرح وطلب من الموكل بهِ أن يطله فلم يجسر أن يفعل ذلك إلا بعد أن يتحقق موت الملك فلما علم الموكل أن الملك حى لم يمت مضى إليهِ فاخبره بأمر انتيبطرس وما ظهر من سروره لما سمع بموتهِ فغضب وأمر بقتل انتيبطرس فقُتِل لوقتهِ ثم أمر أن يمحى اسمهُ من كتاب العهد ويكتب ارخلاوس بن هيرودس ليكون لهُ الملك من بعدهُ . ثم مات هيرودس بعد أن قتل إبنهُ انتيبطرس بخمسة أيام وهو ابن سبعين سنة وكانت مدة ملكة سبعا وثلاثين سنة، وكان ملكاً مقبلا مهابا مظفرا وكان مع ذلك عسوفا متمردا حتى أنهُ قتل فى مدة حياته من الخلق ما لا يحصيه إلا الله سبحانهُ، ولذلك صب الله عليهِ تلك العلل الغليظة إلى أن هشمت مفاصله ومزقت حياتهُ وتمنى الموت لنفسه فلم يتم لهُ ذلك حتى اذن الله تعالى بذلك وكان هيرودس قد إوصى إبنهُ قبل موته بأن يقتل جميع من فى الحبوس بعد موته لكى يكون فى كل منزل نحيب وعويل بعدهُ لأنهُ كره أن تسر الناس بفقده ويبتهجوا لموته فاحتال لهم بما يزيد فى حزنهم فى أوان حزن أهلهُ وبنيه عليهِ أما إبنهُ فلم يفعل ذلك لكنهُ أطلقهم وأحسن اليهم وكانوا خلقاً كثيراً.

ولما مات هيرودس جمع كاتبه نيقولاوس الناس فقرأ عليهم كتاب العهد وفيه ختم الملك فقبل الناس وبايعوا ارخلاوس وعاهدوه على جميع مراده والسمع والطاعة لأمرهِ . ثم مضى ارخلاوس وجميع الناس ليدفنوا هيرودس فى قبر قد كان أعده لنفسه فى قرية قرب أورشليم فحملوه بسرير من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة وعلى السرير ستور من الديباج المثقل بالذهب والبرفير والارجوان وأجلسه على السرير وأسنده بوسائد الديباج وعمل على رأسه تاج الملك وبيده قضيب من ذهب على شبه رسمهِ فى حياتهِ ومشى بنوهُ قدامه مع جميع قواد اليهود وروسائهم وجميع عسكره وعبيده وغلمانه يمشون وراءه والجميع مجملون باللباس الموشى والزينة المرتفعه حاملين آلات السلاح وكان حول السرير خمسون خادما من خدمةِ معهم المسك الكثير والعنبر الرفيع والكافور الثمين وغير ذلك من الاطياب المرتفعه الثمينة ينثرون على الناس بأيديهم وقد حمل من قصره إلى أن دفن فى قبره بالكرامة والتبجيل، وبالغ الناس فى اكرامهِ واجلالهِ ولم يفعلوا ذلك لمحبتهم لهُ ولكن لأن خوفهِ كان ثابتاً فى قلوبهم وهيبتهِ لم تتغيّر من نفوسهم.



المكابيين والحشمونيين ١٦٦ - ١٠٠ ق.م. (أسماء الحكام مكتوبة بالأسود الثقيل)

متتيا (توفي ١٦٦ ق.م.)

يوحنا (توفي ١٥٩ ق.م.) — سمعان ١٤٣ - ١٣٥ — يهوذا المكابي (توفي ١٦٠ ق.م.) — ألعازر (توفي ١٦٣ ق.م.) — يوناثان (١٦٠ - ١٤٣)

متتيا (توفي ١٣٥ ق.م.) — يهوذا (توفي ١٦٣ ق.م.) — يوحنا هركانوس (١٣٥ - ١٠٤ ق.م.)

أرسطوبولس الأول (١٠٤ - ١٠٣ ق.م.) — الإسكندر جنايوس (١٠٣ - ٧٦ ق.م.) = سالومي ألكسندرة (٧٦ - ٦٧ ق.م.)

أرسطوبولس الثاني (٦٧ - ٦٣ / توفي ٤٩ ق.م.) — هركانوس الثاني (٦٣ - ٤٠/ توفي ٣٠ ق.م.)

أنتيجونوس (٤٠ - ٣٧ ق.م.) — الإسكندر (توفي ٤٩ ق.م.) = الإسكندرة (توفت ٢٨ ق.م.)

أرسطوبولس الثالث (توفي ٣٥ ق.م.) — مريمنا (توفت ٢٩ ق.م.) = هيرودس الكبير (٤٠ - ٤ ق.م.)

الإسكندر (توفي ٧ ق.م.) — برنيكي (ابنة سالومي أخت هيرودس) = أرسطوبولس (توفي ٧ ق.م.)

هيرودس ملك خلقيس (٤١ - ٤٨م) — أغريباس الأول (٣٧ - ٤١ م) — هيرودس فيلبس (٤ ق.م. - ٣٩ م) = هيروديا = هيرودس أنتيباس (٤ ق.م. - ٣٤م)

أرسطوبولس = سالومي (ابنة هيروديا) — أغريباس الثاني (٥٠ - ١٠٠ م) — سالومي = فيلبس

الفصل الثامن

(أخبار ارخلاوس بن هيرودس وهو سمى نفسهِ أيضاً هيرودس)
(٦ – ٤١ م)

ولما مات هيرودس أظهر الناس ما كان فى نفوسهم من بغضتهِ وعداوتهِ فاطلقوا السنتهم بذمهِ والطعن عليهِ ووصف أفعالهِ الذ ميمه وإساءَتهِ اليهم. وخافوا أن يملك ارخلاوس فيسير بسيرته فامتنعوا من طاعتهِ وقبول أمرهِ فقتل منهم كثيراً . فمضى منهم قوم إلى الملك اوغسطس فشكوا إليهِ ما كان يجرى عليهم من هيرودس وطعنوا على إبنهِ ارخلاوس وقالوا أنهُ قد قتل جماعة كثيرة منهم وتعدى على الملك وأخذهُ بغير أمرك، وقد كان يجب أن يتوقف إلى أن يستأذنك ولا يملك دون أمرك. واكثروا من الطعن عليهِ بذلك عند الملك اوغسطس وسألوه ألا يملكهُ عليهم وقالوا قد رضينا بأن تجعل علينا ولاة من أصحابك ونحن نطيعهم ولا نخالفهم. وكان ارخلاوس أيضاً قد مضى إلى اوغسطس الملك مع نيقولاوس كاتب هيرودس فتكلم عنهُ نيقولاوس وقال لاوغسطس أن هؤلاء لا يكرهون أن يملك عليهم ارخلاوس إلا لأنهم يريدون أن يعصوا الروم ويخرجوا عن طاعتهم ولو لم يكن ذلك لم يمتنعوا أن يملك عليهم طول زمانهم ولد هيرودس الذى كان طائعا للروم ومحبا لهم طول حياتهِ. فمكن هذا الكلام عند اوغسطس وقوى أمر ارخلاوس فاتفق رأى الشيخ الذى برومية ورأى اوغسطس أن يملكوا عليهم ارخلاوس. وورد الخبر إلى اوغسطس بأن بلاد اليهودية قد إفتتنت وإنهم قد هموا بمخالفة الروم فملّك ارخلاوس على اليهوديةِ وأمرهُ بالعودة إلى أورشليم. فعاد ارخلاوس وقد تم لهُ المُلك فلما تمكن وقوى أمرهُ ساء السيرة فى اليهود وفعل أفعالاً قبيحة وأخذ إمرأة أخيهِ اسكندر المقتول وكان لها أولاد من اسكندر.

إن ارخلاوس لما أخذ إمرأة أخيهِ وصارت فى منزلهِ رأت فى نومها منظراً كأن زوجها اسكندر قد وقف بها وهو ساخط عليها وكأنها أرادت تقرب منهُ فدفعها عنهُ ثم قال لها ما كفاك أنكِ تزوجت بعدى بفلان حتى تزوجت بعدهُ ارخلاوس أخى وكسوتِنى العار والفضيحة، ثم حلف لها إنى لا أحتمل هذا الفعل منك ولا أصفح عنهُ ولا بد لى من الانتقام منكِ ومن ارخلاوس أخى فاستيقظت المرأة وهى مرعوبة جداً فأخبرت من عندها بما نظرت ثم ماتت بعد يومين . ورأى ارخلاوس أيضاً فى نومه كأن بين يديه سبع سنابل نابتة فى أصول واحد وهى حسنة وكأن ثورا عظيماً قد أقبل اليها وابتلعها، فقص هذه الرؤيا على بعض العلماء فقال لهُ أما السبع سنابل فهى السبع السنين التى ملكت أما الثور الذى ابتلعها فهو قيصر ملك الروم يأخذ مُلكك فى هذه السنة ويزيلك عنهُ . فلما كان بعد أيام يسيرة ورد قائد من اوغسطس قيصر إلى أورشليم فقبض على ارخلاوس وقيده وحمله إلى رومية فمات فيها، وكانت مدة مُلكهِ سبع سنين وملك بعدهُ انطيغوس أخوهُ ابن هيرودس.

ولما ملك اوغسطس انطيغوس بعد أخيهِ سماه هيرودس أيضاً باسم أبيهِ وكان هيرودس هذا أشر من أخيهِ ارخلاوس وأقبح أفعالاً، وكان مسرفا فى النسوة

والمعاصى، وهو الذى أخذ إمرأة فيلبس أخيهِ وهو حى وله منها ولدان، وإسم المرأة هيروديا. فلما أنكر علماءِ اليهود عليهِ ذلك قتل منهم جماعة كثيرة وقتل يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الأكبر لما أنكر عليهِ أخذ إمرأة أخيهِ وهو حى ولأن لهُ أيضاً منها ولدين. ويوحنا هذا هو الذى ابتدأ فعمل المصبوغات لليهود والتطهيرات والتكفير للخطايا وهو المسمى عند النصارى يوحنا المعمدان بن زكريا . وكان أيضاً فى هذا الوقت رجل حكيم اسمهُ يسوع إن كان جائزا أن يدعى انسانا وكان صانعاً عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق وكان لهُ تلاميذ كثيرين من اليهود والأمم هو المسيح الذى اشتكى عليهِ روساؤنا وأكابر أمتنا وسلمه بيلاطس البنطى للصلب، ومع هذا كلهِ الذين تبعوه من البداءه لم يتركوه وقد قام حيا بعد ثلاثة أيام من صلبه كما كان قد تنبأ بعض الناس الذين يدعون مسيحيين الذين يعترفون بهِ رئيساً لهم.

وفى زمان هيرودس هذا مات اوغسطس قيصر وكانت مدة مُلكهِ ستاً وخمسين سنة وملك بعدهُ طيباريوس قيصر وكان رجلاً ردياً قبيح السيرة وكان الفساد ظاهراً فى كل أعمالهِ وكان قد أمر الناس بالسجود لصورته وبعث بقائد لهُ من بلد البنطس صاحب جيشه يسمى بيلاطس ومعهُ صنم صورته إلى أورشليم ليأمر الناس بالسجود لهُ فامتنع اليهود من ذلك فقتل منهم جماعة كثيرة. وكات مدة مُلك هيرودس هذا احدى وعشرين سنة ثم بعث طيباريوس قيصر بمن قبض عليهِ وحمله إلى بلد أسبانيا وهى الاندلس فمات هناك وملك بعدهُ ابن أخيهِ اغريباس بن ارسطوبولوس المقتول بن هيرودس.

(خبر اغريباس بن ارسطوبولوس بن هيرودس)
(٣٧ م)

فى زمان اغريباس هذا مات طيباريوس قيصر ملك الروم وله فى الملك اثنتان وعشرون سنة وشهر وملك بعدهُ غايوس قيصر إبنهُ أربع سنين وثلاثة أشهر وكان هذا رجلاً وحشياً معجبا بنفسهِ كثير الشر فاشخص بيلاطس إلى رومية وقتلهُ ومات غايوس قيصر ملك الروم وملك بعدهُ اكلوديوس قيصر أربع عشرة سنة ثم مات وملك بعدهُ نيرون قيصر ثلاث عشرة سنة وكان أشهر ممن تقدمه وأقبح سيرة فأمر الناس أن يسموه الهاً ويحلفوا باسمه ويبنوا لهُ مذابح فى جميع مملكتهِ ويقربوا لهُ القرابين فأجابهُ إلى ذلك وأطاعهُ الأمم بأجمعهم غير اليهود فإنهم امتنعوا وتهيأوا وإستعدوا لمحاربته فأرسلوا إليهِ رسولاً يقال لهُ فيلوا إلى نيرون قيصر قال لهُ لِمَ لم تطيعونى وتمتثلوا ما أمرتكم بهِ فقال لهُ فيلو إنا لا نسمى إلهاً إلا الله وحدهُ ولا نحلف بغيره ولا نبنى مذبحا لسواه ولا نقرب قربانا إلا لهُ ولسنا ننقل عن ذلك ولا نطيع من يأمرنا بخلافهِ ولو بذلنا أنفسنا للقتل . فسخط نيرون قيصر على فيلو واسمعه القبيح فخرج فيلو إلى اليهود الذين معهُ فعرًفهم بما جرى من الملك وقال لهم الأمر عظيم وقد غضب الملك ولسنا نأمن ما يكون منهُ وليس سوى أن نقصد الله عزً وجلً بالصلاة ونصوم ونسأله أن يصرف عنا هذه البلية، فمضوا إلى جميع اليهود الذين فى

رومية وأخبروهم بذلك فاجتمعوا ثلاثة أيام وصاموا وصلوا ودعوا إلى الله عزَّ وجلَّ وسألوه أن يكفيهم أمر نيرون قيصر ويخلص فيلو منهُ، فلما كان اليوم الثالث شغب العسكر على نيرون قيصر وهجموا عليهِ فقطعوه بالسيوف حتى لم يبق في جسده عضو يعرف والقوه إلى الخارج فأدلّوه للكلاب ولم يدفن وأظهر الله فيهِ النقمة وعاجله ببعض أذى الطائلة لتعديه وتجبّره وإلحاده وكفرهِ. وملك بعدهُ غلبا قيصر فاطلق فيلو ومن كان معهُ من اليهود وأحسن إليهم وأذن لهم بالرجوع إلى أورشليم فعادوا على أجلِّ حال وأحسنها ثم هدموا ما كان أصحاب نيرون المقتول قد بنوهُ من المذابح ومحوا آثارها وكان اغريبا مُلك اليهود حسن السيرة محمود وكانت مدة مُلكهِ ثلاثا وعشرين سنة وملك بعدهُ إبنهُ وكان اسمهُ اغريباس باسم أبيهِ أيضاً.

(أخبار اغريباس بن اغريباس بن ارسطوبولوس المقتول من هيرودس)
(وهو آخر ملك على اليهود فى البيت الثانى)
(وفى أيامهِ كان الجلاء وخراب أورشليم وتشتيت الأمةِ)
(٤١ م)

فى زمان اغريباس هذا مات اكلوديوس قيصر ملك الروم وملك بعدهُ نيرون قيصر كما ذكرنا وكثرت الفتن والحروب فى جميع بلدان اليهودية وفى بلاد الشام، ودامت واتصلت وكثر وتحرّك المتغلبون والخوارج وزاد الشر وكثر الفسق والغش والظلم والقتل وأخذ اموال الناس وحرمهم وخيفت الطرق وانقطعت السبل وانبسطت يد الأشرار وعلت كلمتهم وكثر الباطل وخفى الحق ولم يستقم لاغريباس حال ولا لرعيته ولم يزل الشر يزيد والخير ينقص والبلا يعظم إلى أن قدم وسباسيانوس صاحب جيش نيرون قيصر إلى بلاد المشرق فحاصر أورشليم ثم عاد إلى رومية فانتقل الملك إليهِ بعد نيرون قيصر فاستخلف إبنهُ تيطس على حصار المدينة الجليلة فحاصرها إلى أن فتحها وأخرب القدس وجلا الأمةِ اليهودية.

إن اغريباس بن اغريبا ملك عشرين سنة على اليهود ولم تبطل الحروب فى جميع أيامهِ بين اليهود وبين الروم إلى أن خرب القدس وجلوا الأمةِ اليهودية فى سنة عشرين من مُلكهِ فى اليوم التاسع من الشهر الخامس وهو شهر آب . وفى زمان اغريباس هذا كثرت العداوات بين اليهود وبغض بعضهم بغير سبب، وكان كل من مقت صاحبه قتله وكثر فيهم القتل وهان عليهم سفك الدماء وكثر الأشرار فى أورشليم وكان منهم قوم يحملون سكاكين صغاراً ذات حدين يخفونها فى ثيابهم ومن أراد منهم أن يقتل رجلاً كان يعطى بعض أولئك الأشرار شيئاً ويسألهُ أن يقتله فيمضى ذلك الشرير فيلاصق ذلك الرجل ويمشى إلى جانبهِ بين الناس ثم يضربهُ بالسكين فى بعض مقاتلهِ فيسقط ميتا ويختلط القاتل بالناس فلا يُعرف ولم يكن القتل بالسكاكين يُعرف بعد عندهم قبل ذلك، فلذلك لم يحاذروهُ. وكان هؤلاء الأشرار جماعة كثيرة وكانت لهم خفة وجسارة وإقدام وكانت المدينة عظيمة كثيرة الناس جداً ولم يكن موضع منها يخلو من الزحام. وكان أصحاب السكاكين يمشون بين الناس دائما فى

القدس وفى الاسواق وفى الشوارع فيقتلون من أرادوا بتلك السكاكسن ولا يُعرفون لكثرة الخلق والزحام فى المدينة فسمى هذا القتل الموت الاعمى لأنهُ كان خفيا لا يظهر فيحترز منهُ فهلك من الناس خلق كثير وقتل رجل من جملة الكهنة يقال لهُ يوناثان وكان رجلاً فاضلا صالحاً ولم يُعرف قاتلهُ وقُتل جماعة كثيرة من ذوى القدرة وأهل الخير وأرباب التدين ومن سائر الناس على طبقاتهم. فلما كثر هذا القتل وداوم صار جميع الناس يلبسون الدروع من تحت ثيابهم خوفا من أصحاب السكاكسن . ولما كثر الشر والأذى فى مدينة القدس اجتمع قوم كثير من أهلها ليخرجوا بمالهم وأولادهم لخوفهم على أنفسهم فمضى الأشرار إلى فليكس صاحب الروم فقالوا لهُ إن جماعة من اليهود قد خرجوا من أورشليم وإنما خرجوا لأنهم يريدون أن يعصوا الروم فوجه فيلكس أصحابهِ فتبعوهم فقتلوا أكثرهم وأسروا من تبقى منهم.

(خبر العازر بن حنانى الخارجى وهو أول من عارض الروم)

(وهو أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا سبب خراب أورشليم وهلاك الأمةِ)

كان حنانى الكاهن كاهناً كبيراً وله ابن يقال لهُ العازر، كان جباراً شجاعاً فاتكاً ذاعرا حراميا وكان قد إنضاف إليهِ جماعة كثيرة من الحرامية وأهل الشر. وكانو يمضون كل وقت إلى بلد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون إلى بلادهم ففعلوا ذلك دفعات كثيرة مدى سنين حتى أنهم أنكوا أهل بلد سورية وأضرّوا بهم فكانوا يفعلون ذلك دفعات كثيرة وفى بلدان اليهودية أيضاً. فلما كثرت أذية العازر وأصحابهِ للسريان استغاثوا فيهم إلى فيلكس صاحب الروم فاحتال فيلكس على العازر حتى قبض عليهِ وقيده وحمله إلى رومية وقتل أصحابهِ فلما كان بعد مدة عاد العازر من رومية إلى أورشليم وكان اغريباس الملك قد مضى إلى رومية إلى نيرون قيصر ليتلقاه ويسلم عليهِ، فحدثت فى غيبة اغريباس حروب كثيرة بين اليهود وبين الروم وكان سبب ذلك أن فيلكس صاحب الروم جار على اليهود وكثر ظلمهُ لهم وتعديهِ عليهم فحاربوا فيلكس فغلبوه وهزموه وقتلوا من أصحابهِ الروم جماعة كثيرة وطردوا من بقى منهم عن أورشليم فهرب فيلكس إلى مصر فوافى بها اغريباس الملك راجعا من رومية إلى أورشليم فلقية فيلكس وأخبرهُ بما جرى عليهِ وعلى أصحابهِ من العازر . ثم سار اغريباس من مصر يريد أورشليم ومعهُ قائدان جليلان من الروم فى عسكر كبير فلما قرب من المدينة خرج الناس فاستقبلوه وأكرموه فلقيهم اغريباس بالجميل وسألهم عن أحوالهم فشكوا إليهِ ما فعله فيلكس بهم واستغاثوا إليهِ فى الروم وقالوا إنَّا لا نطيعهم بعد هذا ولا نقبل منهم ولا نخضع لأوامرهم فاغتم اغريباس بما جرى على اليهود من الروم وشق عليهِ ما ذكره من عزمهم على مخالفتهم والخروج عن طاعتهم لعلمه بقوة الروم وإن اليهود لا يقدرون على مخالفتهم وانما يعرضون أنفسهم للهلاك بمقاومتهم لهم فلطّف اغريباس بالناس وسكّتهم بسبب الروم الذين جاءوا معهُ .

ثم دخل المدينة ومضى إلى بيت الله وجمع اليهود على طبقاتهم ليخاطبهم فى ذلك فلم يتمكن من مخاطبتهم لارتفاع أصواتهم وكثرة كلامهم فقال لهم يا إخوتى اسمعوا ما أقول وإنصتوا لهُ وتأملوا وإمسكوا عن الكلام حتى تسمعوا ما أتكلم بهِ فانكم إن لم تمسكوا عن الكلام قطعتم على كلامى وانسيتمونى ما أريد أقولهُ لكم ولم تسمعوا ما أقول فاذا لم تسمعوا ما أقول كيف تفهمون لأن استماع الكلام يؤدى إلى فهمه ومن فهم الكلام عرف صوابه فاذا عرف معنى كلام القائل ما يكاد السامع قوله يخالفه فامسك الناس ليسمعوا ما يقول فقال اغريباس قد فهمت ما ذكرتم من أذية الروم لكم وما عملتم عليهِ من مخالفتهم وبالخروج عن طاعتهم ولعمرى أنكم لم تحملوا أنفسكم على ذلك إلا لأمر عظيم قد بلغ منكم ومكروه شديد قد وصل اليكم وما خفى عنى ما جرى عليكم من الروم وما عاملوكم بهِ، ولقد ساءنى ذلك وغمنى ولكن لا حيلة لنا فيهم ولا قدرة لنا عليهم ولا طاقة لنا بهم ولابد لنا من مداراتهم والرفق بهم لأن الله قد سلّطهم على الدنيا وأذل لهم الأمم وأخضع لهم الممالك حتى أطاعهم جميع من فى جهة الشمال إلى حيث جبل الثلج المقيم الذى لا يمكن الناس أن يتجاوزوه وأطاعهم من فى جهة المشرق ومن فى جهة المغرب إلى البحر المخيط وما نحن أكثر رجالا من هذه الأمم ولا أعظم بأساً من جميع هؤلاء الذين غلبتهم الروم وهزمتهم واستولت عليهم، ومتى اظهرتم مخالفة الروم حركتم قيصر وجميع من فى مملكة الروم إلى محاربتكم ولم تجدوا من يعينكم عليهم فأما الروم فإن كل أحد يعينهم عليكم لأن جميع الأمم تطيعهم وليس الروم مثل العرب ولا كالسريان وأهل ادوم الذين عرفتم قتالهم وحربهم بل هم أشد بأساً من جميع من قاتلتموه من الأمم البعيدة والقريبة وأكثر عدة وأعظم سلطة ومعهم من الأمم الغريبة من يقاتل بأنواع القتال مما لم تعرفوه ولا تعهدوه فإن كنتم إنما تتكلمون على حصونكم فما هى أعظم من الحصون التى فتحتها الروم وظفروا بها ولم تمنعهم قوة الحصون عن أهلها ومع ذلك فإن قيصر لم يعلم بما جرى عليكم من أصحابهِ ولا يرضاه وإذا علم بهِ فهو ينكرهُ ويغيرهُ وأنا أكتب إليهِ بجميع ما فعلهُ أصحابهُ وإسالهُ أن يصرفهم عنكم ويوجّه اليكم من خيار قوادهِ ورجالهِ ممن لا تتأذون بهم ويأمرهم أن يحسنوا اليكم ويمنعوا الأذى عنكم وأنا أثق منهُ بأن يفعل ذلك لعلمى بحسن نيتهِ لكم ورغبتهِ فى إصلاح أحوالكم وعمارة بلادكم والصواب أن تقيموا على ما كنتم عليهِ من طاعتهم وأن تداروا اصحابهم ولا يظهر لهم منكم أمر يكرهونهُ إلى أن يمضى كتابى إليهِ ويعود جوابهُ ولا تعجلوا بأمر لا تدرون كيف تكون عاقبتهُ فإن العجلة فى الأشياء مذمومة وربما طلب الانسان أن يتخلص من أمر فيقع فى ما هو أعظم منهُ فهذا الذى أراه لكم وأشير بهِ عليكم وما أشرت عليكم إلا بما أوجبهُ النصح والاشفاق ولا رضيت لكم إلا بما رضيت لنفسى من طاعة الروم ومسالمتهم فإن فعلتم ذلك فأنا معكم على ما عهدتموه ولست أدع الاجتهاد فيما يصلح شأنكم ودفع الأذية عنكم وإن كنتم لا تقبلون ولا تأتون على معصية الروم ومخالفتهم. واعلموا إنى لا أدخل معكم فى ذلك ولا اعينكم عليهِ ولا أرضى بهِ فاتقوا الله عزَّ وجلَّ فى أنفسكم وأولادكم وحريمكم واشفقوا على هذه المدينة الجليلة وبيت المقدس المكرم عند الله سبحانهُ ولا تتعرضوا للمقاومة لمن لا طاقة لكم بهِ ولا تستجلبوا عداوة من لا تقدرون

عليهِ فإن أيسر ما ينالكم من ذلك حدوث الفتن فى بلادكم وانتم تعلمون بأن فيكم جماعة كثيرة يريدون الشر ويسرهم أن تحدث الفتنة حتى يسارعوا اليها فاذا اوجدتموهم السبيل الى ذلك قويت شوكتهم وانبسطت أيديهم على أهل الخير والسلامة فاهلكوهم ثم تحصلون معهم فى أعظم ما تكرهون من الروم ويكون ذلك سبب مجئ عسكر الروم إلى بلادكم ومحاربتهم لكم واجتهادهم فى هلاككم وبواركم فترون فى أنفسكم حينئذ ما لا تحبون وتبلغ أعداؤكم فيكم ما كانوا يتمنونه فتندمون على ما فرط منكم فلا تنفعكم الندامة، ثم بكى اغريباس وبكى حنانى الكاهن فأكثر الناس عملوا على قول ما أشار بهِ اغريباس وأما العازر بن حنانى وأصحابهُ فانهم لم يقبلوا ذلك وأضمروا إظهار مخالفة الروم والايقاع بهم. وكان نيرون قيصر قد بعث بهدية إلى بيت الله عزَّ وجلَّ وقرابين كثيرة يقرب بها فى القدس على ما كان ملوك رومية يفعلون فاخرج العازر تلك الهدايا من بيت الله والقاها بعيدا منهُ وقال لا نبذل محل قدس الله للنجاسات والطماثات بادخال هدايا الغرباء من القبائل وما يقربونها إليهِ، ثم مضى مع أصحابهِ فقتلوا قواد الروم الذين جاءوا مع اغريباس وأصحابهم وقتلوا أيضاً جميع من كان فى أورشليم من الروم ولم يعلم اغريباس بشئ من ذلك لأنهُ كان مقيما فى عسكرهِ خارج المدينة فلما علم شيوخ المدينة وكبراء الناس وأعيانهم بما فعله العازر وأصحابهُ أنكروه واستعظموه وخافوا عاقبته واجتمعوا لمحاربتهم وأرسلوا إلى الملك اغريباس ليعلموه بذلك فأرسل اليهم قائدين من أصحابهِ ومعهم ثلاثه آلاف رجل لمعاونتهم، فقويت يد الشيوخ وحاربوا العازر وأصحابهُ سبعة أيام ثم غلبوه وقتلوا كثيراً من أصحاب اغريباس فدخلوا فى إثرهم إلى القدس فقاتلوهم والتحمت السيوف والحرب بينهم واشتدت. وكان فى أصحاب العازر جماعة يحملون السكاكين فدخلوا بين الناس والناس لا يرون معهم سلاحا فيحذرونهم فقتلوا من الناس خلقاً كثيراً وانهزم أصحاب اغريباس وخرجوا من المدينة وخرج معهم أكثر الشيوخ والعلماء وأهل السلامة وأقاموا فى ظاهر المدينة مع اغريباس. فقويت يد العازر وأصحابهُ واستولوا على المدينة واحرقوا قصر الملك وقصر أبيهِ فتلف فيهما أموال كثيرة وذخائر عظيمة وأشياء كثيرة من عدد الملوك وكنوزهم النفيسة . وحدث فى ذلك الزمان بين السريان وبين اليهود الذين يسكنون فى بلادهم عداوة وكان السريان فى ذلك الزمان يسكنون بدمشق وحلب والغور أيضاً وفى مدن كثيرة غير ذلك، فاحتال السريان على اليهود حتى قتلوا كل من فى قيصرية ومن فى دمشق فلما اتصل خبرهم بأهل أورشليم وغيرهم من اليهود اجتمعوا إلى دمشق وغيرها من بلد الشام فقتلوا من بها من السريان وعادوا بغنائم كثيرة وسلب جزيل . واجتاز اليهود فى عودتهم بمدينة حصينة من مداين السريان يقال لها سفيلو فنزلوا عليها وحاصروها وارسلوا إلى اليهود الذين فيها يشيرون عليهم بالخروج من المدينة والانتقال منها وقالوا لهم امضوا معنا إلى بلادنا فإنا لا نأمن عليكم من السريان أن يقتلوكم كما فعلوا بغيركم من اليهود الذين كانوا فى بلادهم فلم يقبلوا منهم بل أجابوهم بالقبيح وخرجوا اليهم فحاربوهم معاونة للسريان عليهم فانصرف اليهود عنهم وتركوهم فلما كان بعد ذلك بأيام خاف السريان من اليهود الذين فى هذه المدينة فعملوا على قتلهم فلم يتم أن يقتلوهم فى المدينة

فاحتالوا عليهم حتى أخرجوهم منها إلى بعض الشعر ثم اجتمعوا عليهم فقتلوهم بأجمعهم وكانوا خلقاً كثيراً وكان فى جملتهم رجل يقال بهِ شمعون بن شاول وكان جباراً عظيم الخلقه شجاعاً وكان لما جاء عسكر اليهود إلى هذه المدينة ليفتحوها، خرج اليهم جماعة من اليهود الذين فى المدينة فقاتلهم أشد قتال وقتل منهم معاونة للسريان فلما احتال السريان على اليهود حتى اخرجوهم من المدينة خرج شمعون هذا فى جملتهم وأبوهُ وكل أهلهِ فلما جاء السريان والروم ليقاتلوا أولئك اليهود جاءوا إلى شمعون وأهلهِ ليقتلوهم أيضاً فحين رآهم قد أقبلوا إليهِ جرّد سيفهُ فقتل جماعة منهم ثم كثروا عليهِ فلما علم أنهُ لا يطيقهم وقف منتصباً وسيفه فى يده . ثم قال لهم اسمعوا منى يا معشر الروم والسريان قد علمت إنى مستوجب أن تقتلونى ولا ترحمونى إنى نصرتكم واجتهدت فى خلاصكم من اليهود حتى سلمتم منهم ولم يفعلوا بكم كما فعلوا بغيركم وقاتلت قومى بسببكم وعاديتهم من أجلكم وقتلت منهم كثيراً لنصرتكم ولذلك سلطكم الله حتى كافأتمونى بالسوء وذلك عدل منهُ تعالى لأنى قتلت إخوتى وبنى عمى فى رضى الغرباء ونصرتهم وقد كان يجب على ألا أفعل ذلك غير إنى وإن كنت مستوجبا القتل فلست امكنكم من نفسى ولا أدعكم تقتلونى لئلا تفتخروا بقتلى بل أقتل أنا نفسى بيدى وآخذ منها حق الله وحق اخوتى الذين سفكت دماءهم فى هواكم ظلما . ثم أن شمعون خرج عن طبعه وزال عن التمييز فلم يجسر أحد من الروم والسريان أن يقترب منهُ فتقدم إلى شاول أبيهِ فضرب عنقهُ ثم قدّم أمهُ فضرب عنقها وإنما ابتدأ بقتل أبيهِ وامهِ لئلا يمنعاه من قتل أولادهُ وزوجته . ثم جاءت إليهِ زوجته مسرعة مادة عنقها فضربها وأفاتها الحياة . ثم أقبل إليهِ أولادهُ يمدون أعناقهم وهو يقتلهم واحدا فواحدا . ثم قتل أهلهُ عن آخرهم فلما فرغ من قتلهم جميعهم جمع أجسامهم وطلع فوقها ثم قتل نفسهُ بسيفهِ بيدهِ.

(ذكر عودة اغريبا الملك إلى رومية)
(بعد ما جرى من العازر الحنانى الكاهن)
(٤٨ م)

ولما جرى من العازر بن حنانى من قتل قواد الروم وأصحابهم على ما ذكرناه مضى اغريبا إلى نيرون قيصر وأخبرهُ بجميع ما جرى، فغضب وبعث إلى كسبينا صاحب جيشهِ يأمرهُ أن يسير مع اغريباس إلى بلد القدس ليرد اليهود إلى طاعة الروم. وكان كسبينا قد مضى إلى بلد العجم فحاربهم وقهرهم ثم عاد إلى بلد الشام فبلغهُ ما فعلهُ العازر بن حنانى من قتل الروم وإظهار مخالفة قيصر فغضب من ذلك، فلما جاء إليهِ اغريباس وأخبرهُ بما أمرهُ قيصر من مسيرهِ معهُ لمحاربة اليهود، فرح كسبينا ذلك جداً لأنهُ كان يريد أن يجد السبيل إلى الانتقام من اليهود، فجمع عساكر كثيرة وسار مع اغريباس فاحرق جميع ما عبر بهِ من مدن اليهود وقتل أهلها إلى أن انتهى إلى أورشليم فلقيه العازر بن حنانى وأصحابهُ يحاربونه فغلبهم كسبينا واغريباس ومن معهما ونزلوا إلى أورشليم ثلاثة أيام وارسلوا إلى العازر فى طلب

الصلح فامتنع وقتل الرسل ثم جمع أصحابهِ ومن إنضاف إليهِ من الكهنـــة وغيـــرهم وخرج فى اليوم الرابع من المدينة فقتل من الروم الوفاً كثيرة . فلما نظر كسبينا مـــا جرى وعلم شدة بأس اليهود وشجاعتهم وإقدامهم على الحروب خاف منهم ورأى أن يبعد عنهم قبل أن يعودوا إلى محاربته وظل بقية نهارهِ ولما صار الليل أمر أربعـــين رجلاً من أصحابهِ أن يشعلوا نيراناً كثيرة ويضربوا بالابواق من أول الليل إلى الصبح ليظن اليهود أن العسكر مقيم على المدينة ثم رحل كسبينا واغريباس وجميع العـــسكر وساروا طول الليل حتى بلغوا قيصرية، فلما علم العازر وأصحابهُ فى الغد بـــسيرهم خرجوا فى إثرهم إلى قيصريه فحاربوهم وهزموا كسبينا وقتلوا من أصـــحابهِ خلقـــاً عظيماً فهرب كسبينا واغريباس إلى رومية وأخبرا نيرون قيصر بما جرى فعظم عليهِ وورد إليهِ فى ذلك الوقت أيضاً أن الفرس عصت عليهِ لما بعد كسبينا عنهم فقلق من ذلك. وكان قيصر قد وجه قائدا عظيماً من قوادهِ يقال لهُ وسباسيانوس إلى بلد المغرب والاندلس ففتحها واستولى عليها ثم عاد إلى رومية عند ورود الخبر بمخالفة اليهـــود والعجم فأخبره قيصر بذلك وأمرهُ أن يسير إلى اليهود فيستأصلهم ويخـــرب بلـــدانهم ويهدم حصونهم فسار وسباسيانوس من رومية ومعهُ إبنهُ تيطس واغريباس الملك فى عسكر كبير فيهِ أكثر فرسان الروم وشجعانهم وجبابرتهم فلما انتهوا إلى انطاكية وبلغ اليهود خبرهم عملوا على محاربتهم ورأوا أن يقسموا بلدانهم ثلاثة أقسام يجعلون فى كل قسم منها رجلاً منهم من أهل الشجاعة والرأى ومعهُ عسكرقوى يضبط الجهةالتى يحل فيها ويلقى كل من يجئُ من عساكر الروم فاختاروا لذلك ثلاثة من الكهنة أحدهم يوسيفوس الكاهن اعنى يوسيفوس بن كربون والثانى حنانى الكاهن الأكبـــر والثالـــث العازر بن حنانى، وجعلوا كل واحد من هؤلاء الثلاثة على قسم مـــن الاقـــسام التـــى قسموها وجعلوا ذلك بقرعة بالقسم الذى يخرج بالقرعة لأحد هؤلاء الثلاثة هو الـــذى يحصل بيده ويقيم فيهِ ويحارب من يجئ إليهِ من عسكر الروم فحصلت طبرية وجبل الجليل وما يتصل بذلك ليوسيفوس بن كربون وحصلت أورشليم وكورتهـــا لحنـــانى الكاهن الأكبر وحصل جهة بلد ادوم وما يليها إلى ايله وتخومها للعازر بـــن حنـــانى وقوى أمر هؤلاء الثلاثة بالعساكر والاموال والسلاح الكثير وضمنوا لهم حفـــظ مـــا تولوه وجعلوا ما بقى من بلدانهم من الاغوار وإلى حدود مصر بيد قوم مـــن الكهنـــة وغيرهم ممن يصلحون لذلك.



تريفون
القائد السلوقى الذى قتل يوناثان المكابى



أنطيوخوس السادس
١٤٣ - ١٤١ ق.م.



أنطيوخوس السابع
١٣٩ - ١٢٩ ق.م.

(أخبار يوسيفوس)

(٤٤ م)

فلما استقر أمر اليهود على قسمة بلادهم وتقديم من قدموه ليضبط كل جهة منها سار يوسيفوس بن كربون إلى الجهة التى حصلت لهُ فى قسمةِ وهى طبرية وأعمالها فعمرها وشيد ما فيها من الحصون والضياع وجعل المقاتلة فى كل موضع يحتاج إليهِ وأما حنانى الكاهن فإنهُ أيضاً عمَّر أسوار أورشليم ورفعها وجعل فيها الرجال والعُدّه الكثيرة وجعل مثل ذلك فى بقية الجهات . ثم سار وسباسيانوس بعسكره من انطاكية فنزل على بلد الشام ورأى أن يجعل طريقع على طبريةِ ويبتدئ بها وبمحاربة من فى تلك الجهة، فلما اتصل ذلك بيوسيفوس بن كربون استعد لمحاربتهم ورتب عسكرهُ وجعل على كل الف رجل منهم مقدماً وكذلك على كل مئة وعلى كل خمسين وعلى كل عشرة وقواهم بالسلاح وأوصاهم بما يجب أن يفعلوه من أمور الحرب وتدبيره وشجعهم وقال إنكم مشرفون على القتال لأعدائكم فلا تخافوهم ولا تهابوهم فإن خوفكم منهم يضعف قلوبكم ونياتكم ويعين أعداءكم عليكم فثقوا بالله واتكلوا عليهِ فإنهُ القادر أن يعينكم وينصركم ولا تجزعوا من الموت فإن ظفر الأعداءُ بكم وبحريمكم وأولادكم وحكمهم فيهم ما تلقونهُ منهم من الذل والهوان أعظم من الموت وموتكم فى طاعة الله ونصرة دينه وأمتهِ والمدافعة عن حريمكم ونعمكم أحسن فى الذكر وأحمد فى العاقبة فينبغى أن تبذلوا أنفسكم فى مجاهدة أعداء الله وأعدائكم فإما أن ينصركم عليهم فتظفروا بهم وتستريحوا وأما أن تقتلوا على طاعة الله ومجاهدة أعدائةِ فتصيروا إلى النور الأعظم حيث السعادة الباقية والغبطة الدائمة والثواب الراهن والجزاءُ المقيم الدهرى.

فلما سمع القوم كلام يوسيفوس قويت قلوبهم وعملوا على لقاء أعدائهم . ثم أن يوسيفوس اختار من جملة الذين فى تلك الجهة ستين ألفاً فجعلهم عسكره الذى يعتمد عليهِ، وأمر بقية الناس أن يمضوا إلى مساكنهم فيقيموا بها ويضبطوها ويطالعوه بأخبارهم، وسار فى جماعةِ من أصحابهِ إلى حصن لاغريباس الملك يقال لهُ طورية ففتحه وأخذ مالاً كثيراً منهُ وسلاحا وغير ذلك . ثم بلغ يوسيفوس عن أهل طبرية أنهم قد خالفوا أمرهُ واستأمنوا إلى الروم وأخذوا رجلاً منهم فولوه عليهم فغضب يوسيفوس من ذلك وسار اليهم فنزل على المدينة وقال لأهلها لم نقضتم العهد الذى كان بينكم وبينى واخترتم طاعة الروم فقولوا ما أردنا شيئاً من ذلك وإنما فعل ذلك قوم أشرار من البلد وهم الذين أدخلوا صاحب وسباسيانوس إلى لمدينة فما قدرنا على منعهم . ثم فتحوا ليوسيفوس باب المدينة فدخل وقتل بعض أولئك الأشرار وقبض على صاحب وسباسيانوس وبلغه عن أهل صفوريه وأهل جبل الجليل مثل ذلك فسار اليهم وقتل جماعة منهم وسبى جماعة وبعث بهم إلى أورشليم وقتل من كان فى هذه المواضع من الروم. فلما بلغ وسباسيانوس ما فعله يوسيفوس بن كربون عظم عليهِ فسار إليهِ وكان اغريباس فى أربعين الف مقاتل قد انضاف إلى عسكر وسباسيانوس وكان عسكر وسباسيانوس عظيماً جداً لكثرة من معهُ من الروم ومن إنضاف إليهِ من جميع الأمم

الذين يعادون اليهود ويريدون الخروج عن طاعتهم، فساروا بأجمعهم مع وسباسيانوس لرغبتهم فى التشفى من اليهود ولم يبق من جميع الأمم القريبة من لم يعن الروم على اليهود غير أهل ادوم فانهم كانوا منذ الزمهم هركانوس الملك دين اليهود مقيمين على طاعتهِ فلم يعصوهم ولا أعانوا عليهم أحداً من أعدائهم، ولما حاصر الروم أورشليم كان فيها من ادوم ثلاثون الف رجل يختلعون اليها بالنوبة ليحفظوا الحصن ومعاونة اليهود على الروم . ثم سار وسباسيانوس بعساكره إلى طبرية وجبل الجليل فلما نظر يوسفوس بن كربون عظم عساكر الروم خاف منهم فمضى إلى حصن فى جبل الجليل يقال لهُ يوذات فتحصن فيهِ. فسار وسباسيانوس فنزل على الحصن بعسكره وبعث إلى يوسيفوس بن كربون يدعوه إلى الصلح ويعدهُ بالجميل إن أطاعهُ ويخوفهُ من الحرب التى لا يعرف كيف تكون عاقبتها فسأله يوسيفوس أن يمهله إلى أن يشاور أهل أورشليم فأجابهُ وسباسيانوس إلى ذلك فتباعد عن الحصن فأرسل يوسيفوس إلى أهل أورشليم يستعلم رأيهم فيما التمسه وسباسيانوس فعاد الجواب منهم يأمرهُ بألا يسالم الروم وإن يهلك فى محاربتهم إلى أن يظفر أو يهلك فلما عاد الجواب إلى يوسيفوس بذلك من أهل أورشليم إمتثل ما أمروهُ بهِ وعلم وسباسيانوس بذلك فعاد بعسكره ونزل على الحصن فخرج إليهِ يوسيفوس وكان بينهم حروب عظيمة مدة خمسة أيام فقُتِل من الفريقين خلق كثير واستقتل اليهود وبذلوا أنفسهم وهان عليهم الموت فى محاربة أعدائهم والذود عن حريمهم وأولادهم والتعصب لدينهم. وكان عسكر الروم فى كل يوم يزيد ويكثر من يرد إليهِ من جميع الجهات من سائر الأمم وكان عسكر يوسيفوس يقل ويضعف لكثرة من يعدم منهم ولا يجدون معونة من أحد فلما جاء اليوم السادس لم يخرج اليهود من الحصن لضعفهم وقلة عددهم وأقاموا فى المدينة وأغلقوا الابواب وطلعوا على الحصن فحاصرهم وسباسيانوس أياما وقطع عنهم قناة الماء فأضر بهم العطش ثم نصب كبش الحديد على الحصن ليهدمه فخرج اليهود من الحصن وقاتلوا الروم قتالاً شديداً عظيماً وقتلوا كثيراً منهم وأحرقوا الكبش ورمى بعضهم وسباسيانوس فأصاب ساقه فاضطرب عسكر الروم وكادوا ينهزمون فشجعهم وسباسيانوس حتى ثبتوا واشتد القتال بين الروم واليهود وهلك من الفريقين خلق كثير ولم يبق مع يوسيفوس من أصحابهِ إلا قليل فعادوا إلى الحصن واغلقوا عليهم واقاموا فى حروب متصلة بينهم وبين الروم ثمانية وأربعين يوما إلى أن كلّ اليهود وانقطعوا لطول الحرب والتعب والسهر وضعفوا عن حفظ الحصن وناموا فى بعض الليالى . فلما علم الروم بذلك طلع منهم قوم إلى الحصن فنزلوا إلى المدينة وفتحوا الباب ودخل العسكر فقتلوا جميع اليهود الذين كانوا فى المدينة ولم يفلت منهم غير يوسيفوس بن كربون وأربعين رجلاً معهُ لأنهم خرجوا من المدينة لما دخلها الروم ومضوا إلى بعض الشّعر فأقاموا فى مغارة هناك. فلما عرف وسباسيانوس بخبرهم أرسل اليهم يلطف بهم ويستدعيهم إلى طاعتهِ وأعطاهم الأمان ووعدهم بالجميل إن أطاعوه فمال يوسيفوس إلى ذلك وعمل على الخروج إلى وسباسيانوس فلما علم القوم الذين معهُ بذلك شق عليهم وكرهوا طاعة الروم فقالوا ليوسيفوس يا يوسيفوس إننا نراك تريد أن تستأمن إلى الروم وما ندرى كيف اخترت ذلك لنفسك ورضيت بهِ وأنت تعلم أن

اليهود اختاروك من جملة الكهنة وأهل القدس وقدموك علـى غيـرك مـن اليهـود واعتمدوا عليك فى مقاومة أعدائهم ووثقوا بدينك ونصحك لهم فكيف يجـوز لـك أن تكذب ظنهم فيك وتخونهم بمسالمتك أعداءهم وطاعتك لهم فـإن كنـت تـأمن إلـى وسباسيانوس إنما أراد خروجك إليهِ لحسن رأيه فيك فليس الأمر كذلك وإنما يريد أن تحصل بيدهِ حتى يفتخر أنهُ قد ظفر بعظيم من كبراء اليهود ورئيس مـن روسـائهم فيشجع أصحابهِ بذلك ليستطيل على اليهود ويكسر قلوبهم وتكون أنت قد أعنتهُ علـى ذلك فى هذا الأمر وأكسبته الفخر والذكر وأكسيت قومك ونفسك الذل والعـار وأنـت قادر على أن تمنعهُ من ذلك ولا تبلغهُ ما يريد ومع ذلك فإنا لا نأمن الـروم فـسوف يغدرون بك ويقتلونك وموتك بسيفك وأنت عزيز أولى من أن تموت بسيوف أعـدائك بعد أن ترى بنفسك من الذل والهوان وتسمع فى قومك ودينك من الثلب التعيير ما هو أعظم من الموت وقد علمت أن موسى معاين الله سأل الله عزَّ وجلَّ أن يميته قبـل أن يرى فى قومهِ مكروها، وداود الملك لما رأى ما أصاب قومهُ من المـوت سـأل الله سبحانهُ أن يميتهُ مع أهل بيتهِ بدل الأمةِ ويصرف الوبأ عنهم، وشاول الملك ويوناثان قتلا أنفسهما وكرها أن يحصلا بيد العدو فكيف اخترت أنت لنفـسك الخـروج إلـى أعدائك ورغبت فى البقاء بعد هلاك قومك ولم تتشبه بالأنبياء والملوك الذين اختاروا الموت والقتل على طاعة أعدائهم ولم يرغبوا فى البقاء بعد قومهم، وأيـن شـجاعتك وبأسك وإقدامك على الموت وأين دينك وفضلك ومعرفتك أو ليس أنت الذى علمتنا أنهُ لا يتم لنا قول الله عزَّ وجلَّ فى التوراة القائل "حب الله الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل جهدك" على حقيقتهِ إلا بأن نبذل نفوسنا فى طاعتهِ ونستقتل على دينهِ أو لـيس أنـت الذى كنت تقول لنا قاتلوا أعداءكم إلى أن تظفروا بهم أو تُقتلوا ولا تكرهوا الموت ولا تخافوا من القتل فإن كل من يموت فى الحرب على دين الله عزَّ وجلَّ ونصرة أمتـهِ يكون من المرضيين عندهُ والمخلصين فى طاعتهِ ويصير بعد المـوت إلـى النـور الاعظم والثواب الباقى الدائم فقبلنا ذلك وبذلنا أنفسنا للموت وقاتلنا الأعداء إلى أن قتلنا بأجمعنا فكيف لا تختار لنفسك من الخير الذى اخترته لنا وكيف تؤثر الحيـاة علـى الموت وأنت كنت تأمرنا بهِ وتدعونا إليهِ وكيف تنصف أصحابك الذين قُتلوا قـدامك وسفكت دماؤهم فى طاعتك إذا أنت اخترت البقاءَ بعدهم ولا تؤثر اللحاق بهم وأشفقت على نفسك من الموت الذى سارعوا إليهِ، وصنتها عن القتل الذى كنت تحثهم عليهِ، أو ليس أنت الذى كنت تنادى بأعلى صوتك إذا لقيت عسكر الروم تقول أنا يوسيفوس بن كربون مقدم الحرب الذى وهب نفسهِ لله عزَّ وجلَّ واستقتلت فى نصرة دينـة وأمتـهِ فكيف يكون حالك عند الله عزَّ وجلَّ اسمهُ وعندهم إذا خرجت اليهم وخضعت لـديهم إلا تكون قد ابطلت قولك وكذّبت نفسك وافتخرت بما لم تفعل لأنك قلت قد اسـتقتلت وهان عليك الموت فى طاعة الله ثم ظهر منك الرغبة فى الحياة وكراهية الموت مـا يخالف قولك. وهل هذا إلاَّ عار عليك وعلينا يهون الموت دونهُ وكيف ترضى أن تسلم نفسك للروم مثل الأمةِ الصغيرة الحقيرة العاجزة، وبعد ما كنت معروفـا بالـشجاعة وكبر الهمة وكانت الجبابرة تخافك والشجعان تتقى بأسك، أو ليس كل من يراك بعـد ذلك أو يبلغهُ خبرك يظن بك الجزع والوهن وقله الحفاظ وعدم الوفاء ويقول هذا الذى

أسلم قومهِ ولم يحافظهم فأى عار وخزى مثل هذا وأية حياة تطيب معهُ وأى ذكر أقبح منهُ ولئن رضيت لنفسك فنحن لا نرضى لك بهِ ولا نمكنك منهُ ولا نعينك عليـهِ ثـم جردوا سيوفهم وقاموا إليهِ وقالوا إما أن تستجيب لنا بقتلك فتموت كريما عزيزاً كاحد السادة والعظماء الذين قُتلوا فى عزهم ولم يخضعوا لعدوهم ثم نقتل أنفسنا بعدك وإما أن تمتنع من ذلك فنقتلك بهذه السيوف كما نقتل بعض اعدائنا ولا نمكنك ما يكـسبك ويكسب الأمةِ العار والذم فقال لهم قد فهمت كلامكم وقد صدقتم فيما قلتم وكيف لى أن اكون قد مت قبل هذا اليوم ولم أرَ ما رأيتهُ ولكن أنفسنا هى ودائع الله عزَ وجلً عندنا وهو الذى خلقها فى أجسامنا فى الوقت الذى أراد وهو الذى يقبضها فى الوقت الـذى يريد وليس نقدر أن نميت أنفسنا إذا أراد الله حياتنا ولا نقدر نحفظها إذا أراد الله موتها ولا يجب أن نعرضها للموت إلا فى طاعة الله ومرضاته ومتى أهلكناها على غير هذا الوجه كنا قد عصينا الله وضيعنا الأمانة فى حفظ النفس التى أودعناها وخسرنا الدنيا والآخرة ولم يبلغنا أحد من الأنبياءَ والصالحين أنهُ قتل نفسهُ لما وقع فى الشدائد بـل صبروا على حكم الله فيهم كمشيئته وقد طلب بعضهم من الله أن يميتهُ ولم يرَ أن يقتل نفسهُ وقد كان يقدر على ذلك وما امتنع منهُ إلا لعلمهِ أنهُ غيـر جـائز وإنــهُ خطــأ ومعصية أما بذل النفس الذى يحسن عند الله وعند العقلاء فهو بـذلها فـى مجاهـدة الأعداء وحفظ الدين والدفع عن الحريم فما يطمع الانسان فى الظفر ويرجو النصر أما قتلهُ نفسهُ بغير سبب من هذه الاسباب فلا يحمد الانسان عليهِ إذا فعلــهُ ولا يوصـف بالشجاعة والبأس بل بالجبن وضعف القلب وقلة العقل وعدم الرأى وذلك إنَا لم نجـد أكثر من استجاز هذا الفعل وقتلوا نفوسهم إلا نساء ومن يجرى مجراهنً فى نـزارة الذهن وقلة التمييز. ومن المعلوم أن كل من يتعرض للمكروه فانما فعل ذلك فى طلب السلامة والحرص على البقاءِ، والحيوان أيضاً يغتال بعضه بعضا لينجو من المـوت، وصاحب السفينة إنما يخاطر بنفسهِ فى تدبيرها وسياستها ليسلم من الغـرق، أو مـا تعلمون أن الملك يريد من جنده أن يبذلوا نفوسهم فى نصرته ومجاهدة عدوه ويحمدهم على ذلك ويحفظون عندهُ إذا فعلوا غرضه ولا يريد منهم أن يقتلوا أنفـسهم بأيـديهم ومتى علم أنهم يفعلون ذلك سخط عليهم ومنعهم أشد المنع ومامثلنا إذا قتلنا نفوسنا إلا مثل عبيد إذا دخلوا على سلطانهم بغير إذن منهُ فهم يستحقون بذلك أن يسخط علـيهم ويعاقبهم وأصلح أحوالهم أن يطردهم ويبعدهم أما شاول الذى مدحتموه لقتل نفسهِ فانتم تعلمون أنهُ لم يكن مرضياً عند الله ولا محمود الفعال وهذا الفعل هو من أعظم أفعالهِ المذمومة التى سيُعاقب عليها وقد علمتهم قوة الروم وعظم بأسهم وأنهم أذلوا الممالك وقهروا الأمم، فلو كنت أُريد لنفسى البقاءَ دون قومى لما كنت قدت وتجاسرت علـى محاربة الروم مع علمى ببأسهم وما شاهدت من قوتهم وكثرتهم بل كنت امتنعت مـن ذلك وسالمتهم لما استدعانى وسباسيانوس إلى طاعتهِ ووعدنى بالجميل فلم أفعل ذلـك بل بذلت نفسى للموت وصبرت على البلاء العظيم لمحاربتهم ومقاومتهم المدة الطويلة فى العدد القليل والجملة اليسيرة ولم أجبن عن قتالهم كما تعلمون لأنى كنت أترجى أن ينصرنى الله عليهم فاردهم واصدهم عن مدينة القدس أو أُقتل فى الحرب فيكون ذلـك حسنة لى عند الله إذا قُتِلتَ فى طاعتهِ ومجاهدة أعدائهِ فكيف لى أن اكون قد قتلت فى

الحرب ولم أشاهد قتل اصحابى وكنت أود وأتمنى أن يغدر بى الـــروم إذا اخـــذونى فيقتلونى ولا أرى ما أتخوفهُ من خراب أورشليم وهلاك هذه الطائفة الذليلة إلا أنهُ لا حيلة لى ولا لكم فى منع ما يريده الله عزَّ وجلَّ ولو كانت لنا حسنات وأعمال صالحة لكان الله قد نصرنا على اعدائنا وظفرنا بهم ولكن ذنوبنا هى التى عكست علينا الأمر وأمكنت عدونا منا وقد بذلنا العذر واستفرغنا الوسع فى مجاهدة الأعداء وبلغنا غايـــة ما قدرنا عليهِ من محاربتهم وصبرنا إلى أن لم يبق للصبر موضع والآن فلا وجه لنا ولا حيلة وقتل أنفسنا بيدنا ليس مما يجدى الينا نفعا ولا ينفع قومنا ولا يضر أعـــداءنا ولا ذلك مما نكسب بهِ حمدا فى الدنيا ولا أجراً فى الآخرة. وقد عرض لنـــا الـــروم الامان واستدعونا إلى طاعتهم ووعدونا أنهم يستبقوننا ويحسنون الينا فإن وفوا لنا بما قالوه عشنا على ما يريده الله إلى الوقت الذى يشاء فروغ اجالنا فنموت وإن غدروا بنا فهو الذى يريده وكان خيراً لنا من أن نقتل أنفسنا بأيدينا.

ثم رفع يوسيفوس يديه إلى السماء فقال يا أيها الرب العظيم أنت الذى خلقتنـــا بقدرتك وأنت الذى أوقعتنا فى هذا البلاء العظيم بذنوبنا التى استوجبنا بهـــا ذلـــك أن تميتنا أنت وتقبض على أرواحنا إليك ولا نقتل نحن أنفسنا ويلزمنا من العقوبة ما يلزم قتلة الأنفس بغير حق لأنك أنت مالك أرواحنا وخالقها فى أجسادنا وهى لـــك واليـــك تعود بعد الموت وأنت العادل فى جميع أفعالك.

فلم يلتفت القوم إلى كلام يوسيفوس ولا قبلوا قوله بل لجوا فى قتـــل أنفـــسهم وقتلهِ فلما رأى يوسيفوس أن القوم لا يقبلون منهُ احتال على خلاص نفسهِ فقال لهم إذا كنتم قد عزمتم على هذا فالصواب أن نقترع كل اثنين منا فمن خرجت عليهِ القرعـــة بالقتل يقتل صاحبهُ إلى أن لا يبقى منا أحد فقبل القوم ما قال يوسيفوس وقتل بعضهم بعضاً إلى أن لم يبق منهم غير يوسيفوس ورجل آخر فقال الرجل ليوسيفوس أتريد أن نفعل كما فعل أصحابنا فقال لهُ يوسيفوس وأية فائدة فى قتلنا أنفسنا فإنى إن قتلتك كنت مطالباً بدمك وكذلك إن قتلتنى أنت كنت مطالباً بدمى فنخسر دنيانا وآخرتنا مثل هؤلاء الذين أخطأوا على انفسهم ومع ذلك فإنى امنعك بكل مقدرتى عن نفسى ولا أدعك أن تقتلنى فلما سمع الرجل كلام يوسيفوس خاف منهُ وأمسك عنهُ . ثم أن يوسيفوس خرج إلى وسباسيانوس فقبلهُ وأحسن إليهِ فأشار قوم من اليهود على وسباســيانوس بقتلـــهِ وخوفوه منهُ فلم يقبل منهم ولا أساء إلى يوسيفوس ولكنه بقى عندهُ معتقلاً مدة وفـــتح وسباسيانوس حصونا كثيرة لليهود وقتل أهلها ووجَّه بإبنه تيطس إلى الحصون التـــى فى جبل الجليل وما يليها ففتحها وقتل جميع من خالفهُ من أهلها وأمَّن الـــذى أطاعـــهُ وأحسن إليهِ.

(خبر يوحانان الجليلى الخارجى)

(وهو الثانى من الخوارج الثلاثة الذين كانوا السبب فى خراب المدينة المقدسة)

(وهلاك الأمةِ بمقاومتهم للروم)

كان فى جبل الجليل مدينة اسمها كوشالة وكان بها رجل يقال لهُ يوحانان لــهُ عقل وافر ومعرفة بليغة ذو حكمة وتجربة وعلم إلا أنهُ كان رجلاً شــريراً يرتكــب العظائم ويستحل المحارم وقد كان انضاف إليهِ جماعة من أهل الشر فقوى بهم علــى ما يريد فكان يقتل الناس ويأخذ أموالهم ويستبيح نعمهم فأيسر وكثر ماله وانبسطت يدهُ فلما فتح الروم مدينة كوشالة هرب يوحانان هذا مع أصحابهِ إلى أورشليم فأقاموا بها وكان أيضاً قد التجأ اليها من المدن التى فتحها الروم جماعة كثيرة من أشرار اليهــود وإنضافوا إلى من كان فيها من أهل الردى وذوى الشغب وأصحاب الفتن فلمــا جــاء يوحانان اليها إنضاف إليهِ الكل وصاروا جميعا عصبة قوية متسومة للهيج متهيأة للفتن والرهج فقوى بهم يوحانان وانبسطت يده على أهل المدينة وقبض على من كان بهــا من الاغنياء وأرباب الأموال وأصحاب النعم فأخذ أموالهم وأعطى أصحابهِ، واعتــزم أيضاً على الكهنة فغير مراتبهم وعزلهم وعزل الكاهن الأكبر وقدم رجلاً من عــوام الكهنة لا يعرف شيئاً مما يجب أن يعرفهُ الكاهن وكان ذلك عاراً على الأمةِ وعيبا لا مزيد عليهِ وطالب الشيوخ والحكام أن يعينوه على ما يريده من الظلم فلما امتنعوا من ذلك كشئ مخالف للشرع قتل كثيراً منهم فعظمت أذيتهُ وشرهُ على الناس حتى تمنــوا أن تأتى الروم ويغلبوا عليهم لعلهم يستريحون منهُ ومن أصحابهِ ورامــوا أن يجــدوا السبيل إلى مسالمة الروم فلم يقدروا على ذلك.



عملة بطليموس الرابع



عملة بطليموس الخامس



بطليموس الثامن



عملة سلوقس الثانى



عملة سلوقس الثالث



عملة سلوقس الخامس

الفصل التاسع
ما ذكر عن يوحانان وشمعون الذين من الخوارج وحصار أورشليم
(٦٦ - ٦٩ م)

لما قوى أمر يوحانان وعظم شره وشر أصحابهِ اجتمع روساء المدينة الذين مع حنانى الكاهن وانضاف اليهم خلق كبير من الناس فحاربوا يوحانان وأصحابهُ وعظمت بينهم الحروب وكثر القتلى من الفريقين فانهزم يوحانان وأصحابهُ وهربوا إلى الهيكل الذى بالقدس فتحصنوا فيهِ. فلما رأى حنانى الكاهن ذلك وهو أن يوحانان وأصحابهُ قد تحصنوا فى الهيكل وملكوهُ أمر الناس فكفّوا عن قتالهم لأنهُ كره أن يكون فى بيت الله عزّ وجلّ حرب وقتال وكان قد وكل فى القدس من حواليه ستة آلاف رجل محدقين بهِ يحفظونه من سائر جهاته لئلا يخرج منهُ أحد من أصحاب يوحانان. وأرسل حنانى الكاهن إلى يوحانان يستدعيهِ إلى الصلح ولكن يوحانان رفض لأنهُ كان قد أرسل إلى أهل ادوم يستدعيهم لمعونته فجاء من ادوم عشرون الف رجل بالسلاح والعده فلما عرف حنانى الكاهن بمجيئهم أمر بغلق الابواب التى للمدينة ومنعهم من الدخول فطلع إلى الحصن وقال لهم من أين أنتم ولم جئتم فقالوا نحن قوم من ادوم جئنا للصلاة فى بيت الله وذلك أن أهل ادوم كانوا يحفظون دين اليهودية فى عهد الملك هركانوس الأول كما ذكرنا فيما تقدم فقال لهم حنانى الكاهن فلم اتيتم بهذا السلاح وهذه العدة قالوا لانا خفنا من أن يلقانا عسكر الروم فى طريقنا فأردنا أن يكون معنا عدة ندافع بها عن أنفسنا، فقال قد بلغنا أنكم إنما أقبلتم لنصرة يوحانان وأصحابهُ ولذلك منعناكم من الدخول فإن كنتم إنما اتيتم لنصرتهم فقد أخطأتم لأنهم قوم سوء وقد ظلموا الناس وقتلوا أهل الخير وارتكبوا المحارم . والاولى بكم أن تعينوا أهل السلامة وتنصروهم ولا تنصروا هؤلاء الخوارج الأشرار فإن عاهدتمونا على ذلك فتحنا لكم ابواب المدينة لتدخلوا بعد أن تنزعوا سلاحكم فأجاب عسكر ادوم لحنانى بالجميل وقالوا ما نحن إلاّ معكم وعلى ما عاهدتموهُ منا من محبتكم ونصرتكم فما وثق حنانى بقولهم وتوقف عن فتح باب المدينة. وكان ذلك فى آخر النهار فبينما هو فى ذلك معهم وإذا برعد عظيم وبرق هائل وأصوات مفزعة ونزل من السماء مطر كثير وبرد كبير يتطاير منهُ شرارات نار محرقة فلم يستطع حنانى الثبوت على الحصن فانحدر هو ومن كان معهُ ومضوا إلى منازلهم وتفرق أيضاً القوم الذين كانوا يحرسون الهيكل، وظن حنانى وغيره أن ذلك الرعد والبروق والمطر والبرد إنما حدث معونة من الله عزّ وجلّ لهم على أعدائهم فلذلك تفرقوا ولم يعلموا أنهُ كان سخطا منهُ سبحانهُ وسبب البلاء العظيم الذى أصابهم، وذلك أن يوحانان وأصحابهُ لما علموا بأن القوم الذين على السور والرجال الموكلين بحراسة الهيكل قد تفرقوا خرجوا حينئذ ومضوا إلى ابواب المدينة وكسروا الاغلاق وفتحوا الباب وأدخلوا عسكر ادوم فصاروا معهم وتفرقوا فى المدينة وهجموا على المنازل فى تلك الليلة وقتلوا من الوجوه والكبراء ما يقرب من خمسة

آلاف غير من أهلكوا من العوام والاصاغر. ولما صار الغد قبضوا علـــى أصـــحاب النعم وكل من لهُ مال ويسار فقتلوا كثيراً منهم وأخذوا أموالهم وكـــان وسباســيانوس حينئذ مقيما بعسكره فى قيصرية فلما بلغه ما فعلهُ يوحانان وأصحابهُ فى أورشليم سرهُ ذلك ورأى أن يقيم فى موضعهِ إلى أن يقوى الشر بين أهل أورشليم ويهلك بعــضهم بعضا فيسهل عليهِ أمرهم وإستمرّت الحروب بين أهل القدس وبين يوحانان وأصحابهُ وكثرت القتلى بينهم. وكان أصحاب يوحانان يخرجون الناس من منازلهم ويقتلــونهم بالسكاكين وغيرها فهلك من الناس بذلك أكثر مما هلك فى الحرب . ثم بعث يوحانان بعسكر من أصحابهِ إلى مدن اليهود الذين استأمنوا لوسباسيانوس ففتحوا كثيراً منهـــا وقتلوا أهلها وغنموا أموالهم ومضوا إلى مدينة واحدة فى جهة الأردن يقال لها افراذا فأقاموا بها فلما عظمت أذية يوحانان وأصحابهُ على أهل أورشليم بعثوا رســـلا إلـــى وسباسيانوس يشكون إليهِ مما ينالهم من أصحاب يوحانـــان الـــذين وصـــلوا عنـــدهم ويسألونه أن يخلصهم منهم فامتنع وسباسيانوس من المضى إلى أورشليم ومضى إلى افراذا فلما شعرا أصحاب يوحانان الذين كانوا بها بمجئ وسباسيانوس هربـــوا إلـــى بعض الشّعر فاقاموا هناك، فلما وافى وسباسيانوس وعرف خبرهم وجه اليهم بقائد من قواده وبعسكر كبير فظفروا بهم وقتلوا منهم جماعة وهرب الباقون. وعاد القائد فلقى فى طريقه جماعة من اليهود متّجهين إلى أورشليم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً وطرح الباقون أنفسهم فى النهر فغرقوا فى الأردن وهلكوا وكانوا الوفا كثيـــرة. ثـــم ســـار وسباسيانوس إلى بلاد ادوم ففتحها وسار إلى حَذئً وإلى سبسيطة ففتحها وأمر بعمارة الحصون التى فتحها وجعل فيها رجالا وعدداً لتكون معونة لهُ على أورشليم ثم عـــاد إلى قيصرية وجمع عساكرهُ ليمضى لمحاربة أهل أورشليم، وقويت الفتنة وغلبت يـــد يوحانان وأصحابهُ فقتلوا من الناس كثيراً وحكموا فيهم وفى أموالهم وفى حرمهم بمـــا أرادوا.

(خبر شمعون الخارجى وهو الثالث من الخوارج المذكورين)

كان قد خرج فى ذلك الزمان بمدينة أورشليم رجل من اليهود يقال لهُ شمعون وكان رجلاً ساقطاً شريراً ظالماً سافكاً الدماء فابتدأ يفعل مثلما فعل يوحانان، فطـــرده حنانى الكاهن من المدينة فمضى إلى بعض الضياع فأقام هناك وانضاف إليهِ جماعة من الأشرار واللصوص وقطاع الطرق فصار معهُ عشرون الف رجل. فلما بلغ أهل أورشليم خبره خافوا منهُ فبعثوا إليهِ عسكراً ليحاربهُ فهزمهم شمعون وقتل منهم كثيراً وهرب باقيهم راجعين إلى أورشليم وقوى أمر شمعون فنهب الضياع وأخذ المستغلات وأتلف الزروع وجاء إلى قرب المدينة فأرسل إلى إمرأتهِ يأمرها أن تخرج إليهِ مـــن المدينة فأراد يوحانان أن يخرج إليهِ يحاربهُ فخاف شمعون منهُ ومضى إلـــى بعـــض المواضع، وكمن لهُ يوحانان فى الطريق رجاء أن يظفر بهِ أو ببعض أصحابهِ، فمرت بهِ إمرأة شمعون وقد خرجت مع جواريها وعبيدها للمضى إلى زوجها، فقبض عليها يوحانان وردها إلى أورشليم. فلما بلغ الخبر إلى شمعون قبض علـــى جماعـــة مـــن

أصحاب يوحانان فقطع أيديهم وبعث بهم إليهِ وأرسل يقول لهُ إنك إن لم ترسل لي إمرأتي سرت إلى أورشليم فإذا ظفرت بها قطعت أيدى أهلها وأرجلهم كما صنعت بهؤلاء. فخاف أهل المدينة من شمعون وبعثوا لهُ إمرأتهُ وكف عنهم الأذية مدة يسير ومضى إلى أهل بلد ادوم فهزمهم واستباح أموالهم وهدم ديارهم وخربها، ثم جاء بعسكره إلى أورشليم فنزل عليها فعظم الضرر على أهل المدينة من شمعون ويوحانان وأصحابهُما لأن يوحانان وعصبته كانوا يقتلون الناس داخل المدينة ويفسدون مع نسائهم حتى لم يبق فى المدينة أحد إلا وهو خائف على نفسهِ وماله وحريمهِ. وكان شمعون وجماعته من خارج المدينة يفعلون مثل ذلك فاذا هرب واحد من أهل المدينة قتلوه وأخذوا ماله فتحير القوم وضاقت بهم الأحوال وعظم الجور داخل المدينة وخارجها، فاتفق رأيهم على محاربة يوحانان وأصحابهُ فحاربوهم فغلبهم يوحانان وقتل منهم خلقاً كثيراً ولولا أن أهل ادوم اعانوهم على يوحانان وأصحابهُ لم يبق من الناس أحد، ثم إن أهل المدينة رأوا أن يستدعوا شمعون اليهم ليعينهم على يوحانان فظنوا أنهُ يكفيهم أمرهُ ويكون خيراً لهم منهُ فراسلوه فى ذلك فدخل إلى المدينة بعد أن عاهدهم أن يحسن السيرة فيهم ويعينهم على يوحانان وأصحابهُ. فلما صار فى المدينة نقض عهده وأضر بهم ولم ينفعهم وإستمرّت الحروب بينه وبين يوحانان ولم تنقطع.

وفى ذلك الحين ورد الخبر إلى وسباسيانوس أن نيرون قيصر قد مات والروم قد ملّكوا عليهم من بعدهِ رجلاً ساقطاً يقال لهُ بطلوس فغضب أصحاب وسباسيانوس من ذلك وملّكوا عليهم وسباسيانوس قهراً. فلما ملك فكّر على المسير إلى رومية لمحاربهم بطلوس، فقسّم عسكرهُ نصفين أحدهما أخذهُ معهُ وترك النصف الآخر مع إبنهُ تيطس وأمر بمحاربة اليهود وأطلق يوسيفوس بن كربون من الاعتقال وأحسن إليهِ وأمرهُ بملازمة تيطس ومناصحتهِ. وكان وسباسيانوس قد بعث إلى رومية بقائدين من قوادهِ فحاربا بطلوس وقتلاه ثم سار وسباسيانوس بعد ذلك إلى رومية ليجدد الملك لنفسهِ وسار معهُ إبنهُ تيطس إلى الإسكندرية ثم عاد فى البحر إلى قيصرية فأقام مدة الشتاء بها إلى أن اجتمعت لهُ العساكر وفرغ مما يحتاج إليهِ ثم سار إلى أورشليم.

وعظمت الحروب والفتن بيد اليهود فى بداءة مُلك وسباسيانوس واشتد حنق بعضهم على بعض ولم تبطل الحروب بين يوحانان وبين شمعون لا فى صيف ولا شتاء ولا فى ليل ولا فى نهار وقد كان العازر بن حنانى غائباً فعاد إلى أورشليم وصار ثالثا لهما وانضاف إلى العازر لما عاد جماعة كثيرة من الكهنة وغيرهم فملكوا القدس وما حوله وضبطوه بالرجال المقاتلة وكان شمعون فى المواضع العالية فى المدينة ويوحانان وأصحابهُ فى المواضع السفلية وكانت الوقائع والحروب بين هؤلاء الثلاثة متصلة لا تكاد تنقطع، وكثرا القتل فى الشوارع والازقة وفى االهيكل نفسهِ لا يعد ولا تعرف كمية القتلى. وكثرت دماء المقتولين فى أرض الهيكل حتى تغطى الرخام بالدم، وكانت جيف القتلى تسقط بعضها على بعض ولا تدفن فاستضر الأحياء من رائحة الموتى والجيف حتى كثرت فيهم العلل والأمراض والموت. فاجتمع فى الهيكل جمع كثير من الكهنة ومن جماعة اليهود وغيرهم واختلفت أقوالهم وآراؤهم وكثرت الخصائم بينهم والهيج والقتل. وكان دائماً الكهنة يقتلون وهم يقربون على

المذبح القرابين فتسقط جثثهم على جثث البهائم واختلطت جثث الكهنة بجثث الغرباء، وأجساد الصالحين والأخيار بأجساد الطالحين والأشرار.وإمتلأ الهيكل من القتلى وكثر فيهم فيض الدماء وكان الناس لا يمشون إلا على قتيل أو على دم أو ثرب أو أمعاء أو معد ممزقة ملقاة مفجرة. وتعذر على الناس المشى فى االهيكل لأن أرضهُ كانت جميعاً مغطاة بالرخام والمرمر، فكان الدم يقع على الرخام فاذا مشى الناس عليهِ لـم تثبـت أرجلهم فينزلقون ويقعون ويتمكن بعضهم من بعض، ولذلك عظم الشر واتصلت الفتن ودامت الهيوج حتى فارق الناس الأمن وفقدوا الراحة. وكان شمعون والعازر أصـلح حالا من يوحانان لأن شمعون كان فى أعلى المدينة كما ذكرنا وكان العازر فى القدس وكان يوحانان مقيما بينهما فى بعض المواضع السفلية من المدينة وكانا يقاتلانهِ دائما ويقهرانهِ فاذا كف شمعون عن قتال يوحانان قاتله العازر وإذا اشتغل عنهُ العازر قاتله شمعون وكانت الحروب بينهم متصلة بالسلاح والرمى بالحجارة والمقاليع والنيـران. وكان الناس فيما بينهم يهلكون والمنازل تحرق وما فيها يتلف ويذهب ضياعاً فاجتمع عليهم أربع آفات وهى القتل والحريق والحرب والجوع وكثر الضجيج والصراخ فى المدينة حتى كان يسمع من البعد، وكان سائر الناس على اختلاف طبقـاتهم يبكـون وينتحبون ويضجُّون والضيقة محدقة بهم من كل جهة ولا يجدون فرجاً ولا مهرباً إلى أن كرهوا الحياة وتمنوا الموت.

(ذكر نزول تيطس على مدينة أورشليم ومحاربته اليهود)

كان تيطس يريد أن يفرغ من أمر اليهودية بسرعة حتى يمضى إلى أبيهِ فسار من قيصرية حتى انتهى إلى بالو فنزل بها مع عسكره ثم مضى فى ست مئة فـارس من نقاوة العسكر إلى أورشليم ليميِّز الحصن وينظر المدينة ويعلم من أمرها ما يحتاج إليهِ وأراد أن يراسل أهل المدينة فى الصلح ويبدأهم فى الجميل ويعرض عليهم الأمان فلما قرب من المدينة وجد أبوابها مغلقة وليس أحد يدخل اليها ولا يخرج منها ولم يجد من يخاطبه وانصرف عائدا إلى عسكره . وقد كان قوم من الخوارج كمنوا لـهُ فـى بعض الطريق فلما مر بهم وهو راجع إلى بالو خرجوا إليهِ وأحاطو بـهِ وأرادوا أن يأخذوه أسيراً فقاتلهم قتالاً عظيماً حتى نجا منهم بعد أن أشرف على الهلاك ثم عـاد إلى عسكرهِ . وسار فى الليلة الثانية متَّجهاً إلى أورشليم فنزل بعـسكره علـى جبـل الزيتون شرقى مدينة أورشليم ليكون الوادى حاجزا بينه وبين المدينة ولا يخفى عليهِ من يخرج إليهِ منها ثم رتب تيطس عسكره وأوصـاهم بالتعـاون والتعاضـد وأن لا يفارق بعضهم بعضا وأن يكونوا حذرين متيقظين وقال لهم إنكم معولون على مقارعة قوم لم تقاتلوا مثلهم قط ولا بليتم فى وقت من أوقاتكم بمـن يـشاكلهم فـى البـأس والشجاعة والتجلد فى القتال والصبر على الحروب والخبرة بهـا والمعرفـة البليغـة بأهوالها، ولقد عاينت بالأمس منهم ما دلنى على عظم بأسهم وشـجاعتهم فـانظروا لأنفسكم وكونوا على حذر ولا تغفلوا فى شئ من أمركم. ولما أصبح أهـل أورشـليم

ونظروا عسكر الروم نازلاً على الجبل اجتمع روساء الخوارج الذين في المدينة فاصطلحوا واتفقوا على أنهم يرفعون الحرب من بينهم ويحاربون الروم بأجمعهم ثم جمعوا أصحابهم وخرجوا إلى عسكر الروم فكانت بينهم حروب عظيمة قُتل فيها من الفريقين خلق كثير، ثم غلبت الروم على اليهود فانهزموا وعادوا إلى المدينة فوقفوا إلى جانب السور وجردوا جماعة من أصحابهم فى عدد كثير وأمروهم أن يمضوا من جهة أخرى إلى عسكر الروم حتى يصيروا وراءهم ففعلوا، وصار الروم بين عسكرى اليهود. فقتل اليهود فى ذلك اليوم خلقاً كثيراً وثبت تيطس مع أصحابهِ بقاتلهم قتالاً شديداً ونجا تيطس فى ذلك اليوم ثلاث مرات وقُتِلَ من أصحابهِ خلق كثير. ثم عاد اليهود إلى أورشليم فنقضوا الموافقة والعهد الذى كان بينهم وعادوا إلى ما كانوا فيهِ من الشر ومحاربة بعضهم بعضا لأن يوحانان كان يريد أن تكون الرياسة لهُ وكان شمعون والعازر لا يجيبانه إلى ذلك . ثم حضر عيد الفطير فدخل يوحانان إلى الهيكل مع أصحابهِ فى اليوم الأول من العيد وقد أخفوا سلاحهم ولبسوا الدروع والجواشن تحت ثيابهم فاستقبلهم الكهنة والناس وفرحوا بمجيئهم ولم يظنوا بهم سوأً لأنهم لم يروا عليهم شيئاً من السلاح فلما توسطوا الهيكل اظهروا السلاح وأخذوا يقطعون الطرق على الناس فقتلوا من الكهنة وغيرهم ما لا يحصى بغير رحمة ولا شفقه على كبير ولا صغير. فلما عَلِمَ العازر وشمعون بما فعله يوحانان قتلوا جماعة ممن كان خارج الهيكل من أصحابهِ فخرج اليهما يوحانان من الهيكل فحاربهما واشتد القتال بينهم وبلغ الخبر إلى تيطس فزحف بعسكره إلى المدينة. فصعد قوم من اليهود إلى الحصن وقالوا لتيطس نفتح لك الباب لتدخل المدينة على أنك تعاهدنا أنك لا تأسى الينا وإنك تكفينا أمر هؤلاء الخوارج فلم يثق بهم تيطس لما كان عرفهُ من شرهم وغدرهم وعظمت الاصوات وكثر الرهج فى لمدينة لوقوع الخلاف بين الناس لأن بعضهم كان يريد أن يفتح لتيطس وبعضهم كان يرفض ذلك فلما علم الروم باختلاف رأى اليهود تقدم جماعة منهم إلى الحصن بغير أمر تيطس طمعا منهم بأن اليهود الذين طلبوا دخلولهم يفتحون لهم الباب كما ذكروا . فلما نظر أصحاب الخوارج الذين على السور أن الروم قد تقدموا إلى المدينة رموهم بالحجارة والنشاب وعاد اليهود الذين كانوا يستدعون الروم فأعانوا الخوارج عليهم وخرج الجميع اليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم الروم وتبعهم اليهود إلى قرب عسكرهم فاقبلوا يشتمونهم أقبح شتيمة ويعيرونهم بالهزيمة. فعظم ذلك على الروم وغضب تيطس على أصحابهِ الذين تقدموا إلى المدينة بغير أمرهِ وقال إنى لست أعجب من غدر اليهود بكم وإنما أعجب منكم مع معرفتكم بالحرب كيف خدعتكم اليهود ووثقتم بقولهم وخالفتم وصيتى ومضيتم إلى المدينة بغير أمرى فلذلك انهزمتم وقتل منكم عدداً كبيراً لأن الرعية ليس لها أن تخالف أمر الملك ووصيتهُ، وقد علمتم أن بعض ملوكنا قتل إبنهُ لأنهُ مضى إلى الحرب بغير أمرهِ فانتم إذا تستحقون القتل لمخالفتكم أمرى وترككم وصيتى . فاعترف أصحاب تيطس بخطائهم وسألوه أن يصفح لهم وضمنوا لهُ أنهم لا يعادون إلى مخالفته فى شئ مما يأمرهم بهِ.

(ذكر هدم السور الأول والثانى من اسوار أورشليم)(٦٩ م)

ولما علم تيطس باختلاف أهل المدينة ومحاربتهم بعضهم لبعض عمل على أن يتقدم إلى الحصن الكبير فى هدمه وامر اصحابهِ ان يوطوا ويمهدوا ما حوالى المدينه ويزيلوا المعاثر من الطريق ولا يعوقهم شئ ففعلوا لك . وأما اليهود فاشتغلوا بالحرب التى بينهم واغفلوا أمر المدينة وذلك أن شمعون والعازر اتفقا على محاربة يوحانان، وكان يوحانان قد ملك القدس مع ستة آلاف رجل واربع مئة رجل شجعانا ابطالا وكان مع شمعون عشرة آلاف رجل وخمسة آلاف من ادوم وكان الكهنة وأكثر أهل المدينة مع العازر وقُسِمت بقية الناس بين هؤلاء الثلاثة بأسوأ حال لأنهم استولوا على الناس وتحكموا فيهم بما أرادوا. وكان هؤلاء الخوارج إذا رأوا الروم قد قوى أمرهم رفعوا الحرب من بينهم واتفقوا باجمعهم على محاربتهم إلى أن يدفعوهم عن المدينة ثم يعودون بعد ذلك فيحارب بعضهم بعضا فجرى أمرهم على هذا أياماً كثيرة . ثم أن تيطس وجه بصاحب لهُ يقال لهُ نيكاتور ليخاطب اليهود بالجميل ويدعوهم إلى الصلح ويعدهم بالاحسان فلما خاطبهم بذلك رماه بعضهم بسهم فقتله فغضب تيطس وأحضر الكبش الحديدى وغيره من الآلات ليهدم الحصن وصنع أبراجا عظيمة من خشب توازى اسوار المدينة وتحتها بكرات تدفعها الرجال وتصعد عليها للمقاتله فوقها فيقاتلون من فوق. فلما رأى اليهود ذلك قلقوا واصطلحت الخوارج وخرجوا إلى الروم فحاربوهم حرباً عظيمة واحرقوا الكبش والآلات وتلك الأبراج التى تحصن الروم فيها وقتلوا من الروم جماعة وأبعدوهم عن الحصن، ثم عادوا إلى المدينة وعاد العازر وشمعون إلى محاربة يوحانان وإستمرّت الحروب بينهم وقويت واشتغلوا عن الروم. وعلم تيطس بذلك فأعاد الكبش وأمر أن يدفع على السور الأول فدفع فوقع من السور جزء كبير، فهرب من كان داخله وانحازوا إلى السور الثانى فأمر تيطس أصحابهِ أن ينقلوا ما سقط من حجارة السور بعيداً وأن يوسعوا تلك الثغرة ليتمكنوا من القتال ففعلوا، فلما رأى الخوارج أن السور قد انهدم جددوا الصلح وتعاهدوا على أن يرفعوا الحرب من بينهم وينتصبوا لمحاربة الروم، ففرقوا أصحابهم على جهات المدينة ليحفظوها وجعلوا كل فريق منهم فى جهة ليحفظوها. واشتد القتال بينهم وبين الروم وجد الجميع فى الحرب والتحمت المقارعة لأن تيطس تولى ذلك بنفسهِ وأقبل يشجع أصحابهِ ويعدهم بالمناصب والأموال وشجع أيضاً رؤساء الخوارج أصحابهم ونادى شمعون فى عسكره بأن من انهزم قتل وانهدم منزلهُ ونُهب ما لهُ ولما رأى تيطس قوة شمعون وأصحابهِ وثباتهم عدل إلى الجهة التى فيها يوحانان لأنها كانت أقل إرتفاعاً، فقاتلهم أياما ثم دفع الكبش على السور الثانى فانهدم منهُ حاجز عظيم وتبادر اليهود إلى المواضع التى تهدمت فوقفوا عليها وصدّوا الروم عن الدخول إلى المدينة وحاربوهم أشد حرباً وابعدوهم إلى خارج الحصن الأول وقتلوا جماعة منهم. وأقام اليهود على هذه الثغرة يحفظونها ويقاتلون الروم أياماً، فلما كان اليوم الرابع ورد إلى تيطس عسكر كبير من أمم اجتمعت إليهِ فازداد بهم قوة وخرج اليهود لمحاربة الروم على عادتهم فلم يكن لهم طاقة وغلبهم الروم وانهزموا وعادوا إلى الحصن وأغلقوا الأبواب.

(ذكر استدعاء تيطس اليهود إلى طاعتهِ وما خاطبهم بهِ يوسيفوس

(إذ أمرهُ بذلك تيطس)

لما انهزم اليهود فى هذه الكرة أمر تيطس أن يرفعوا الحرب وأمسك عن قتال اليهود خمسة أيام وأراد أن يبالغ فى ملاطفتهم ويجتهد فى سياستهم ويدعوهم إلى مسالمته والرجوع إلى ما كانوا عليهِ من طاعة الروم لأنهُ كان يشفق عليهم أن يهلكوا وعلى المدينة أن تخرب وهو لا يريد شيئاً مما جرى، فراسلهم بالجميل ودعاهم إلى مسالمته فما استجابوا إلى ذلك فلما كان فى اليوم الخامس ركب تيطس وجاء إلى قرب الحصن فوجد يوحانان وشمعون وأصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش وغيره من الآلات التى صنعها الروم لهدم الحصن. فلما رآهم تيطس إبتدأهم بالسلام وخاطبهم بما حسن من الكلام . ثم قال لهم قد رأيتم يا قوم ما جرى من هدم هذين السورين وانما بقى سور واحد ولا يتعذر هدمهُ وقد علمتم أنكم لم تنتفعوا فى هذه المدة بكل ما فعلتموه وكذلك لا تنتفعون أيضاً بدوامكم على ما انتم عليهِ من مخالفتنا فارجعوا إذا عن ذلك قبل أن أهدم هذا السور الباقى وأفتح المدينة بالسيف فاهدم الهيكل وأخربهُ وإن كنت لستُ أختار ذلك ولا أريدهُ،فإن عدتم إلى طاعتنا كنا لكم على أفضل مما عهدتموه منا ودامت لكم السلامة وزال عنكم ما انتم فيهِ من المكاره . ولما فاوضهم تيطس بهذا الكلام وما شاكله أوعز إلى يوسيفوس بن كربون أن يتقدم إلى الحصن ويخاطبهم ويبلغ الغاية فى مناشدتهم ويستدعيهم إلى طاعة الروم ويبذل لهم من الأمان والعهود إلا كيدة ما يثقون بهِ ويطمأنون إليهِ فمضى يوسيفوس حتى وقف قدام الحصن مقابل باب المدينة بحيث يسمع القوم كلامه ثم قال لهم

"اسمعوا منى يا معشر بنى اسرائيل ما أخاطبكم بهِ فإنى إنما أخاطبكم بما ينفعكم ويعود إلى صلاحكم أن قبلتموه اعلموا أن محاربة الأعداء ومقاومتهم كانت تحسن بكم حين كانت بلادكم عامرة وعساكركم متوافرة واحوالكم مستقيمة وأما بعد أن بلغتم هذه الحال من خراب البلدان وقتل الرجال وذهاب النعم واختلال الاحوال فكيف تطمعون فى مقاومة هذه الأمةِ العظيمة القوية التى قهرت الممالك والأمم واستولت عليهم وطحنتهم وعلى أى شئ تعتمدون وبماذا تنتفعون فإن قلتم إنا نعتمد على الله عزً وجلً ونرجو منهُ أن ينصرنا كما جرت عادته مع آبائنا فيجب أن تعلموا أن الله هو الذى سلّط هذه الأمةِ عليكم لسوء أعمالكم ورداءه أفعالكم وكثرة ذنوبكم لأنكم ارتكبتم المحارم واستجزتم المآثم والجرائم واستسهلتهم الكبائر وسفكتم الدماء واغضبتهم إله الأرض والسماء وغشمتم الناس وأهلكتم النفوس ونجستم هيكل الله القدوس وقتلتم كهنته وصلحاء أمتهِ ظلماً وعدواناً فكيف ترجون الله عزً وجلً للنصرة والمعونة مع هذه الأفعال القبيحة والله سبحانهُ لا ينصر من عصاه وخالف شرائعهُ وتعدى حقوقه وأحكامهُ وإنما يعضد من أطاعهُ واتقاه ورهب تعدية شرائعهِ وإن كنتم أيها الإخوة تتكلمون على الحصون والعده والجيوش والعساكر فتعلمون أن جميع ذلك

قد ذهب أكثره ولم يبق منهُ إلا القليل وهذه المدينة قد هدم السوران من أسوارها ولم يبق غير سور واحد وهم جادون فى هدمهِ وأنتم كل يوم فى تناقص وضعف وعدوكم فى زيادة وقوة فإن دمتم على ما أنتم عليهِ تلاشيتم وهلكتم عن آخركم ولم يبق منكم باقية. فإن قلتم إننا نختار القتل أولى من الذل فى طاعة الأمم والاذعان لهم فقد علمتم أن ابرهيم واسحق ويعقوب وهم المتقدمون فى آبائنا وأصولنا والسادة الذين يجب علينا أن نقتدى بأفعالهم ونتشبه بهم لم يمتنعوا من مسالمة الأمم الذين أقاموا بينهم ولا أنفوا مداراتهم ولو كان ذلك أمراً مكروها لقد كان أولئك السعداء أولى بكراهيته منكم، والمتقدمون منا أيضاً قد اطاعوا المصريين أوقاتا كثيرة وأطاعوا ملوك الموصل وملوك العجم ثم أطاعوا ملوك اليونانيين الذين جاروا عليهم وأساءوا اليهم وصبروا على ظلمهم لهم إلى أن أذن الله تعالى بخلاصهم منهم. ثم أطاعوا بعد ذلك ملوك الروم إلى هذه الغاية ولم يروا أن فى طاعتهم لهم نقصا ولا عيبا وكذلك أنتم إذا اطعتموهم لم تضرّكم طاعتهم ولم تنقص بقدرتكم كما لم تنقص بقدر من تقدمكم وكان ذلك أولى بكم من أن تثبتوا على معصيتكم وتثبتوا على مخالفتكم فتعرضوا أنفسكم للهلاك وبلادكم للخراب ثم تحصلون بعد ذلك فى أضعاف ما تكرهون من الذل ولا يعذركم أحد ولا يحمد رأيكم ومع ذلك فإن الروم مازالوا محسنين اليكم محبين لكم وهم الذين كفوكم أمور اعدائكم اليونانيين وأزالوا سلطانهم عنكم وأعانوكم على كثير من الأمم الذين كانوا يحاربونكم حتى غلبتموهم وقهرتموهم فانتم إذا أولى بطاعة الروم ومحبتهم من معصيتكم وبغضتكم لهم. وقد علمتم أن الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكل أمةٍ دولة وزماناً وسلطها فيها وبسط يدها فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وكف سلطانها وبطلت سطوتها حينئذٍ تذل لغيرها وتخضع لمن كان يخضع لها فانتم أيضاً قد كان الله سبحانهُ جعل لكم دولة وسلّطكم على من سواكم وملككم أعناق غيركم مدة من الزمان ثم نقل المملكة والرياسة عنكم إلى من أراد وسلطهم عليكم فمتى خالفتم مراد الله عزَّ وجلَّ رفع الروم وجعل لهم سلطاناً فى هذا الزمان لأنهُ تعالى قد أذل لهم الممالك وظفرهم بالأمم حتى أطاعهم سائر جهات الدنيا ممن هو أشد منكم بأسا وأقوى سلطانا وأكثر عدداً كيف تظنون أنكم تغلبونهم وأنتم ترون إقبالهم ومعونة الله لهم وترون أنفسكم بخلاف ذلك وليس يعيب الانسان ولا ينقصه أن يطيع من هو أقوى منهُ وأعلى يداً إذ كان الله تعالى قد جعل بعض الناس تابعاً لبعض وبعضهم يحتاج إلى بعض فكل صنف منهم يخضع لمن هو أقوى منهُ ويذل لهُ ويطيعه وذلك ظاهر موجود فى الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم ودرجاتهم. وفى الحيوان على اختلافهِ ولا يستغرب ذلك ولا ينكره أحد لهُ أدنى عقل وإذا كان الأمر كذلك فليس طاعة الروم مما يحط من قدركم ولا مما يكسبكم هجنة وعاراً كما لم يلحق أحداً ممن تقدمكم نقص بسبب طاعتهم لمن أطاعوه ولا الروم أيضاً بأول من أطعتموه من الأمم ومع ذلك فقد تقدمت طاعتكم لهم منذ سنين كثيرة وقد اختاروا أن يبادوكم بالجميل ودعوكم إلى الصلح ووعدوكم بالاحسان وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلى مدينتكم وقدسكم فاتقوا الله تعالى فى أنفسكم وتلافوا أموركم وأحسنوا النظر لمن بقى منكم وأرجعوا إلى ما كنتم عليهِ

من طاعة الروم لتسلموا وتبقوا وتتماسك أحوالكم وتسلم هذه المدينة العظيمة وهذا القدس الجليل قبل أن يهدم هذا السور الثالث فتهلكوا".

فلما سمع الخوارج كلام يوسيفوس بن كربون رفعوا أصواتهم بسبه وشتمه وأسمعوه ما قبح من الكلام ورموه بالحجارة والسهام ليقتلوه فتباعد عنهم قليلا وأغلظ لهم الخطاب وقال "يا معشر العصاة اخبرونى ويا ذوى النفاق اعلمونى ما الذى يحملكم على قتال الروم والامتناع من طاعتهم فإن قلتم إنما تفعلون ذلك اشفاقا منكم على القدس وانكم إنما تريدون صيانتهِ من الأعداء لئلا يبذلوه للنجس ويدنسوه فكيف تصونونه وتشفقون عليهِ وأنتم فقد بذلتموه لما عظمت رداعتهُ من النجاسات والطماثات ودنستموه بالمعاصى وسفك الدماء الكثيرة ظلما فإن قلتم انكم تريدون نصرة الأمةِ واعزازها فكيف يصح ذلك وانتم تقتلونها بأيديكم وتظلمونها بغير اشفاق ولا رحمة. وهل تفعل الأعداء بكم أكثر مما بلغتموه فى أنفسكم فاخبرونى متى كان أحد ممن تقدمكم من امتكم أو تأخر يظفرون باعدائهم ويغلبون من يحاربهم بالسلاح والعده والعساكر دون الصلاح وتقوى الله؟ وهل تخلص أحد منهم من الشدائد إلا بنصرة الله عزّ وجلّ ومعونته إياه؟ وهل كان يخلص أحد ممن تقدمكم من الشدائد إلا بذلك؟ وهل غلبوا أعادائهم وظفروا بمن حاربهم إلا بنصرة الله عزّ وجلّ ومعونته افتراهُ سبحانهُ كان يوازرهم إلا متى أطاعوا أمرهُ وحفظوا شرائعهُ واتقوهُ وتوقوا ما يكرههُ ولما عصوه وخالفوا مراسميه وارتكبوا ما نهاهم عنهُ سلّط عليهم الأعداء حتى قهروهم وأذلوهم ولم ينتفعوا بسلاحهم وعددهم ولا أمكنهم مقاومتهم بعساكرهم وقوتهم لما سلطهم الله عليهم وحجب معونتهُ ونصرهُ عنهم. وقد علمتم أن الله عزّ وجلّ كفى الصالحين أمر أعدائهم فمنهم من كفاهُ أمر أعدائهِ بلا حرب ولا قتال بل باظهار الآيات العظيمة والجرائح الجسيمة فبلغوا فى ذلك ما لم يبلغوه فى قوتهم ومنهم من حاربوا الأعداء واستعانوا بالله عزّ وجلّ ونصرهم على أعدائهم وأعانهم عليهم وظفرهم بهم ولم يفعل الله سبحانهُ مثل ذلك قط مع العصاة وذلك تدبير منهُ تعالى ليشهر فضيلة الصديقين واجلاله إياهم دون غيرهم واعتبروا صحة ذلك بابيكم ابرهيم لما أخذ فرعون سارة زوجته ألم يضرب الله عزّ وجلّ فرعون وأهله بتلك البلايا العظيمة حتى خضع فرعون وردّ إمرأته ولم يرزئها بشئ ثم أحسن ابرهيم وأكرمهُ فهل قدر ابرهيم على ذلك بالسيف والمكافحة أم بالصلاح وطاعة الله عزّ وجلّ.وكذلك اسحق لما أخذ ابيمالك ملك فلسطين إمرأتهُ وموسى السعيد وبنو اسرائيل لم يغلبوا فرعون بحرب ولا قوة بشرية لكن بمظافرة الله تعالى لهم خلصهم منهم وكفاهم أمرهم، ولما حاربهم عماليق هل غلبوه بشئ آخر سوى دعاءٍ موسى السعيد وصلاتهِ ورفع يديه كما أمرهُ الله تعالى، ويشوع بن نون قد كان فى عسكر عظيم من بنى اسرائيل فهل فتح أريحا بالرجال والقتال أم بالآية العجيبة والعلامات البديعة الغريبة التى أظهرها الله عزّ وجلّ فى سقوط الحصن وهبوط الأسوار، ثم لما اخطأ عخان بما أخذهُ من الحرام من الغنيمة التى نهى الله بنى اسرائيل عنها أسخط الله على الأمةِ كلها بسببهِ حتى غلبهم أهل مدينة عاى وهم قليلون فلم يقدروا عليهم مع كثرتهم حتى صلى يشوع وتضرع ودعا فاستجاب الله عزّ وجلّ طلبته ونصر بنى اسرائيل عليهم.

وجدعون لما كسر عسكر مدين وعماليق مع كثرتهم أتراه غلبهم إلا بمعونة الله عزّ وجلّ ونصرتهِ. وقد علمتم أن شمشون قبل أن يخطئ كان جباراً مظفراً فلما أخطأ أسرتهُ الأعداء وصار فى أيديهم ذليلا مهانا مثل أقل الناس وأضعفهم وطحنوهُ بالرحي

مثل العبيد والإماء، وشاول الملك لما كان مطيعا لله عزّ وجلّ كان الله ينصره على أعدائهِ ويظفره بهم فلما عصى أمر الله وتعدى شريعته أسلمه إلى أعدائهِ ولم ينتفع بعسكره وكثرة عدده، وداود النبى الشريف والملك لم يزل منصوراً مظفراً لما كانت أفعالهِ مرضية لله فلما هفا فى تلك الخطية الواحده كان من أمرهِ مع إبنهِ ابشالوم ما كان، وإذ كروا ما فعل الله مع آسا الملك ومع إبنهِ يهوشافاط لما ملكهما نواصى أعدائهما بالدعاء والصلاة فقط واذكروا كيف انهزم عسكر السريان العظيم من سبسطية بصلاح اليشع النبى وقد كان أهل المدينة اشرفوا على الهلاك من الجوع واوقع الله عزّ وجلّ الخوف فى قلوب السريان حتى انهزموا بغير حرب ولا قتال فخرج أهل سبسطية فغنموا عسكرهم وحسنت حالهم وزال عنهم الجوع والقحط. وأمصيا الملك لما حارب الادوميين ألم يغلبهم ويظفر بهم فلما أخذ أصنامهم وتعبد لرذالاتهم أما خذلهُ الله عزّ وجلّ لما حارب يوآش ملك اسرائيل، واذكروا هلاك سنحاريب ملك آشور وتلك الإبادة والمحقة المنحطة عليهِ من السماء لا بحرب ولا قتال لكن من جهة صلاة حزقيا الملك العادل المقسط وبدعاء الأنبياء. واعتبروا أيضاً بصدقيا ملك يهوذا لما عصى الكلدانيين وظن أنهُ يغلبهم برجاله وعدده وخالف ارميا النبى فيما كان يأمرهُ بهِ ويشير عليهِ من طاعتهم هل انتفع بذلك لما لم يرد الله نصرته وهل كانت عاقبته وعاقبة الأمةِ الاسرائيلية والمدينة المقدسة إلا الهلاك والبوار والدثور والاقفار فهذا وغيرهُ مما لم أذكرهُ يدلكم على عناية الله عزّ وجلّ بالأخيار ودحضهِ وخذلانهِ للعصاة الفجار والانتقام الذى حل بنا لم يكن إلا لسوء فعلنا وردئ تصرفنا والله سبحانهُ عادل فى كل أحكامهِ ومنصف فى جميع أعمالهِ وإذا عرفتم هذا علمتم أن جميع أفعالكم لا توجب فى عدل الله وإنصافهِ أن يعينكم أو ينصركم كما لم ينصر غيركم من العصاة، وكيف تطمعون فى مقاومة اعدائكم وهل أنتم إلا كغيركم ممن قاوم الأعداء بغير صلاح فلما لم ينصرهم الله وظفر بهم أعداءهم فهلكوا ولم ينتفعوا بقوتهم وعددهم ولم تدفع عنهم حصونهم وعساكرهم لما اسخطوا الله بمعاصيهم وانتم تعلمون أن الأمم الغريبة منا إذا وجدوا شيئاً من آلات القدس اكرموها وحفظوها ولم يبذلوها وأما انتم فقد نجستم قدس الله عزّ وجلّ وبدلتموهُ للنجس بالمعاصى وسفك الدماء وإطراحكم التديُّن الحميد وخالفتم الشريعة فأى نصر ترجونهُ مع هذا وأية معونة من الله عزّ وجلّ تطمعون فيها ولقد كانت الجلوة لنا أصلح من السطوة، والسبية أفضل من الدولة، وذلك الشتات كان لنا خيراً من هذا الثبات لأن الجلوة كسرت قلوبنا وذلت عزنا وخفضت تشامخ عزمنا وكِبر نفوسنا، وكنا نطلب دائما طاعة الله عزّ وجلّ ونتقرب إليهِ بما يرضيه وكان بعضنا يحنو على بعض والواحد يتعطّف على الآخر ولم يكن بيننا شر ولا عداوة فلما أحسن الله الينا وخلصنا من الجلوة وردنا إلى أرضنا ونصرنا وأعزنا عصيناهُ وخالفنا وصاياه وأهملنا شكره وطاعتهُ واشتغلنا بعداوة بعضنا بعضاً بغير سبب حتى استوجبنا سخطهُ وعقوبتهُ ثم نرجو منهُ مع ذلك المعونة

والنصرة وهيهات أن ينصر الله الظالمين والخطاة العاصين، ومع هذا فهل أوقعنا فى هذا البلاء غير أنفسنا باختلافنا وانقسام كلمتنا وسوء نية بعضنا فى بعض؟ وهل جلب الروم فى الابتداء إلى هذه المدينة الجليلة وسلطهم على الأمةِ العبرانية غير هركانوس وارسطوبولوس أخيهِ لعداوة كل واحد منهم لابن أبيهِ ومشاحنته لاخيه وغدره بهِ وطلبهِ أن يغلبهُ على الملك؟ ومن جلب بعد ذلك انطونينوس وشكاروس اليس هيرودس بن انتيبطرس لما أراد أن يحارب المكابيين ويتغلب على مملكتهم، وأنتم الذين جعلتم الأمر للروم على انفسكم بسوء رأيكم واخترتم طاعتهم فكيف تكرهون الآن طاعتهم وتؤثرون مخالفتهم فإن قلتم أن صاحب الروم جار علينا وأساءَ الينا واحوجنا إلى ذلك فقد كان يجب عليكم أن تشكوهُ إلى قيصر الملك ولا تبادروا بالمعصية قبل أن تعلموا ما عندهُ، وهبكم عصيتم نيرون قيصر لما أساء قائد من قواده اليكم كما تقولون فأى عذر لكم فى معصية وسباسيانوس الذى قد علمتم حسن سيرته وعدله وقد ظهر لكم من اشفاقه عليكم ورغبته فى سلامتكم وصلاح احوالكم، فلو لم تعلموا ذلك لقد كان ما عاملنى أنا وحدى بهِ من الجميل وقد كنت استوجب منهُ غير ذلك فيهِ كفاءة أن يعطفكم إلى طاعة الروم ويثنيكم عن مشاقتهم لأنى أنا أول من اجتهد فى محاربته ومقاومته وقتلت خلقاً كثيراً من أصحابهِ وقد علمت إنى خالفت الصواب فى محاربة الروم لكنى لما رأيتكم قد اتفقتم بأجمعكم على ذلك والزمتمونى بمحاربتهم لم أخالفكم وبذلت المجهود فى مناصحتكم وثبت فى حصن يوناداب فما انهزمت ولا تركت قتال الروم ومجاهدتهم إلى أن فنى اصحابى وغلبنى الأمر ولم يبق لى حيلة. ثم تصالحتُ مع الروم بعد ذلك فما اساءوا إلى بل احسنوا واجملوا وعفوا عنى واكرمونى وأنا معهم إلى هذه الغاية على ما أحب. وقد كنت اجتهدت قبل حصولى مع الروم أن اهرب اليكم فاكون معكم فما تم لى ذلك وأنا الآن احمد الله عزَّ وجلَّ واشكره تعالى إذ لم يسهل لى المجئ اليكم وخلصنى من كونى معكم فانى لو كنت فى جملتكم لكنت إما أن اشارككم فى ظلمكم وقبح افعالكم أو أن اخالفكم فى ذلك فاقتل منكم كبعض من قتلتموه ظلما فتأملوا رعاكم الله ما أخاطبكم بهِ ولا ترجوا من الله منذ الآن أنهُ ينصركم على اعدائكم كما فعل مع آبائكم لانكم لا تستحقون ذلك وولا تطمعوا أيضاً انكم تغلبون الأعداء ببأسكم وقوتكم فإن ذلك لا ينفعكم ولا يعود عليكم بطائل إذ لم تكن معاضدة الله معكم كما لم ينتفع من تقدمكم ممن سخط الله عليهِ واستدلوا يا قوم على خذلان الله لكم بعين سلوان فانها كانت قريبة من الجفاف قبل نزول هذه الجيوش الكثيرة على المدينة فلما نزلوا غزرت العين وصارت كالنهر لتعلموا أن الله عزَّ وجلَّ يريد معونة اعدائكم عليكم وتمكنهم فيكم ولا تنكروا قولى لكم بأن الله قد خذلكم واطرحكم فانكم تعلمون أن كل أحد من الناس إذا تزايد عليه الشر وكثر عندهُ الاذى فى منزله ورأى فيهِ ما يكرهه فارقه وانتقل عنهُ وإذا كان الله قد كره سكنى الأخيار مع الأشرار ولم يعجبه أن يكون الصالحون مع العصاة الفجار فبالأحرى والأكثر ألا يسمح ولا يشاء سبحانهُ أن يسكن جلال نورهِ بين قوم قد اغضبوهُ واسرفوا فى ارتكاب المعاصى وإذ كان الأمر كذلك لا تشكوا فى أن نور الله عزَّ وجلَّ ومجده وجلاله قد انتقل كل ذلك من قدسه وهيكله لما نجّستموه واكثرتم فيهِ الخطايا والمعاصى لأن نور الله سبحانهُ إنما يستقر

في المواضع الطاهرة المقدسة ولا يلبث ولا يقطن في المواضع النجسة والاماكن الدنسة فاذا انتقل نور الله تعالى من بينكم وبعد عنكم فأى خير ترجونه بعد ذلك، وأنا أعلم أن كلامي لا يؤثر فيكم وانكم لا ترجون عما انتم عليهِ لبتم ما حكم الله به عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل إذ سفكتم بهِ دم الزكى البار فلذلك قد قست قلوبكم وصارت كالحجارة لأن الحجر يؤثر فيهِ الماء إذا تواتر انصبابهُ عليهِ وانتم لا تنجع فيكم المواعظ مع كثرتها ولا يحصل لكم انتفاع بها ولا تلين قلوبكم ولا تخضع غير إنى قد بلغت الغاية فيما يلزمنى من نصحكم والمشورة عليكم بما ينفعكم ويعود بصلاح احوالكم فاقبلوا نصحى واعتبروا بمن قد مضى واشفقوا على هذا القدس الجليل الذى قد أسسهُ الأكرمون واحسنت اتقانهُ الملوك المعظمون فإن عزكم مع عمرانهِ وثبات أمركم ودينكم مقرون ببنيانهِ وإن خرب لم يبق لكم عزٌ ولا اقبال ولا دولة وكنتم أنتم الذين تخربونه بايديكم وتجلبون على انفسكم البلاء العظيم بسوء رأيكم وثباتكم على لجاجتكم فإن كنتم أيها الإخوة لا تشفقون على هذا القدس الأشرف من سائر الأماكن ولا على هذه المدينة الجليلة فاشفقوا ولو على انفسكم من القتل وارثوا لحرمكم ولاولادكم وافدوهم من السبى واقبلوا ما بذله لكم ابن الملك من الامان والوفاءِ بعهده وما ضمنهُ لكم من الاحسان اليكم وأنا أضمن لكم عنهُ أنهُ وافٍ بما ضمنهُ ولا ينقض عهدهُ ولا يخلف وعدهُ لأننى قد تحققت حسن نيتهِ لكم وإنهُ لا يختار أن يسئ اليكم وانما يريد منكم أن تطيعوه كما اطعتم من قبله ملوك الروم وتعاهدوه على ذلك ثم ينصرف عنكم، فإن كنتم لا تثقون بقولى وتتهمونى وتظنون أنى أخدعكم واريد معونة الروم عليكم، فأنتم تعلمون إن أبى وأمى وزوجتى وأولادى عندكم فإن ظهر لكم من تيطس بعد طاعتكم لهُ ما يخالف ما ضمنتهُ لكم عنهُ من الجميل فاقتلوهم واقتلونى فقد رهنتكم دماءهم ودمى على ذلك . ثم بكى يوسيفوس بكاءً شديداً وكان تيطس يسمع جميع ما تكلم بهِ يوسيفوس فرق قلبه وتوجع من كلامه وأمر حينئذ باطلاق جمع من كان فى عسكره من سبى اليهود ومن كان الروم قد اشتروه من السبى واستملكوه وأحسن اليهم وأطلق لهم أن يمضوا إلى حيث أرادوا فرغب أكثر أهل المدينة إلى طاعة تيطس وأثَّر فيهم كلام يوسيفوس وعملوا على قبول ما أشار بهِ عليهم فمنعهم الخوارج ووكلوا بالابواب من يحفظها وأمروا البوابين أن يقتلوا كل من طلب من اليهود الخروج إلى الروم واشتد الحصار على الناس وعدموا الطعام وقوى عليهم الجوع وكان الخوارج يأمرون أصحابهم بأن يفتشوا منازل الناس ويأخذوا ما يجدون فيها من الطعام ويقتلون من يمانعهم على ذلك. فاشتد الجوع على الناس فى المدينة وكان من يحتال منهم فى الخروج إلى ظاهر المدينة ليأخذ شيئاً من نبات الأرض يقتله الروم فقُتِل منهم بهذا السبب خلق كثير. وكان الروم يصلبون من يقتلونه قدام المدينة فلما نظر الخوارج ذلك اقبلوا هم أيضاً يقتلون من يظفرون بهِ من اليهود الذين يريدون أن يستأمنوا إلى الروم ويصلبونهم على سور المدينة لينظرهم الروم فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً حتى رحمهم تيطس فأمر أصحابهِ أن لا يصلبوا أحداً من اليهود ولم يدع تيطس مع ذلك الرفق باليهود واستعطافهم ومخاطبتهم بالجميل وكان الخوارج إذا سمعوا كلامه يزدادون قساوة ويشتمونه ويخاطبونه بالقبيح يريدون بذلك

أن يغضبوه حتى لا يخاطب أهل المدينة بما حسن من الكلام فيميلوا إليهِ إذا سمعوا كلامه وحسن تلطفه ويرغبون فى طاعتهُ ليتخلصوا مما هم فيهِ.

فلما رأى تيطس أن الكلام لا ينجع ولا يؤثر فيهم وإن القوم قد كثر شرهم وزاد عصيانهم وتصلبت اعناقهم ويأس من طاعتهم عند ذلك عمل على هدم السور الثالث وأن يجد فى ذلك ليفتح المدينة ويعتق أهلها من أولئك الخوارج القساة فقسم عسكرهُ أربعة اقسام وجعلهم على أربع جهات المدينة ونصب كباشاً لكى يضرب بها السور من كل جهة فخرج اليهم الخوارج وأصحابهُم فقاتلوهم قتالاً شديداً عظيماً وقتلوا من الروم خلقاً عظيماً وأحرقوا الكباش مع جميع آلاتها ونظر الروم من شدة بأس اليهود وشجاعتهم ما هالهم وانهزموا وولوا هاربين فردهم تيطس وشجعهم وجعل يقول لهم أما تأنفون لانفسكم من أن يغلبكم اليهود وتنهزموا منهم بعد أن استظهرتم عليهم وهدمتهم سورين من أسوار مدينتهم ولم يبق إلا سور واحد وقد هلك أكثر القوم ولم يبق منهم إلا القليل وليس لهم من سائر الناس من يعينهم ولا من ينصرهم وأما نحن فعساكرنا متوافرة ومعنا امم كثيرة تعيننا عليهم وإذا كان اليهود يستقتلون على مدينتهم وقدسهم ويحرصون على الغلبة فسبيلكم انتم أيضاً أن تجتهدوا فى محاربتهم وتحرصوا على غلبتهم فانكم تكسبون بغلبتهم الاسم الكبير والذكر العظيم والفخر الجسيم فإن انهزمتم هاربين ووليتم فارين اكتسبتم بذلك سوء الذكر وقبح الاحدوثة وحصل لكم العيب الباقى والعار الدائم ثم اتفق رأى تيطس وأصحابهِ على ترك محاربة اليهود وإن يحاصروهم ويضيقوا عليهم إلى أن يقهرهم الجوع وينال منهم فيهلكوا ويخرجوا إليهِ ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة لئلا يدخل اليها أحد أو يخرج منها فضاق الأمر باليهود واشتد الجوع وكان ذلك سبب فتح المدينة.

(ذكر قتل شمعون الخارجى امثاى الكاهن وبنيه وغيرهم من الناس فى يوم واحد)

وسعى قوم من الأشرار بامثاى الكاهن إلى شمعون الخارجى وذكروا عنهُ أنهُ يريد يستأمن الروم وامثاى هذا المذكور كان قد خرج بأمر الكهنة وشيوخ أورشليم إلى شمعون هذا الخارجى فادخله إلى المدينة ليعينهم على يوحانان كما قد ذكرنا جميع ذلك فيما تقدم. فأمر شمعون أصحابهِ بالقبض عليهِ وعلى بنيه وكانوا ثلاثة فقبضوا عليهم واحضروهم إلى شمعون فأمر بقتلهم، فسأله امثاى أن يقتله قبل أن يقتل أولادهُ فلم يفعل، فتضرع إليهِ أن يمكنه من أولادهُ ويضمهم إليهِ ويقبلهم ويودعهم فأبى ولم يأذن بهِ ولا أجاب إليهِ بل أمر أن يصعدوا بهم على سور المدينة ليُقتلوا قدام الروم. فرفع امثاى صوته وقال لشمعون يا شمعون أنت تعلم إنى أنا الذى جئت بك وأتيت بك إلى ههنا فصرت عدواً لى إلى هذا الحد فلو كنت أُوثر المضى إلى الروم لمضيت قبل أن يكون لكم على أمر ولكننى ما اردت ذلك ولا هممت بهِ وأنا أعلم إنى استحق القتل واستوجبه من الله عزّ وجلّ وأن يسلطك علىّ لأنى كنت سبب قدومك إلى هذه المدينة الجليلة مدينة القدس حتى تسلطت على أُمتهِ وظلمتهم وغشمتهم وقتلتهم أيضاً وما كنا طلبناك إلا لما عظم علينا شر يوحانان وظلمه وآملنا أنك تكفينا أمرهُ وتكون خيراً لنا

منهُ وضمنت لنا ذلك وعاهدتنا عليهِ ولم نعلم أنك غدور لا تفى بعهد ولا تثبت ولعمرى قد اخطأنا فيما فعلناه ولقد اخلفت آمالنا وكذّبت ظننا لاننا آملنا منك أن تنصرنا على اعدائنا فكنت أشد عداوة لنا واشر علينا من كل عدو وقدّرنا أنك تعطل الحروب والفتن من المدينة فزدت فيها وقويت شوكتها ولقد كان أهل الشر قبلك يقتلون الناس سراً فقتلتهم أنت جهراً وسفكت دماءهم بغير اشفاق ولا رحمة. ولقد اعنت الروم علينا وقويتهم بقتلك شجعاننا وابطال مقاتلينا حتى فنيت رجالنا وقل عددنا ولقد تحقق عندنا أن تيطس خير لنا منك واحسن طريقة واجود نظراً واجمل عاقبةً لأنهُ طلب أن يستميلنا ويقطع الحروب عنا وأنت تمنعنا من ذلك ولا ترثى لمصابنا ولا تشفق علينا من الحروب المتصلة والبلاء الحادث كل يوم فتيطس لإجلاله لبيت الله تقدم إلى أصحابهِ بألا يحرقوه إذا ظفروا بهِ ورفع الحرب عنا فى عيد الفصح . أما أنت فقتلت كهنة الله على مذبح الله فى يوم العيد ونجّست هيكل الله عزّ وجلّ ودنست بيتهُ بسفك الدماء الكثيرة فيهِ، وأنا أرى إنى مشارك لك فى جميع افعالك ومطالب بها لأنى ادخلتك إلى مدينة قدسه ومكّنتك منها فأية حجة لى بين يدى الله تعالى وأنا الذى أخطأت على أُمتهِ وعلى محل قدسهِ، ولذلك حلت نقمة الله بى على يدك وجعلك متوليا عقوبتى والآخذ بحق الله وحق أُمتهِ منى وذلك عدل منهُ وانصاف فلو أنك قتلتنى وحدى لهان ذلك علىّ لأنى ارجو الهى عسى يغفر الله ذنبى بقتلى ولأنى اخلص بالقتل من مشاهدة خراب البيت المقدس ومن هلاك الأمةِ . أما قتلك أولادى فما تطيب بهِ نفسى ولا أحلك منهُ فيا ليتنى كما اخلص بالقتل من مشاهدة خراب القدس كنت اخلص بهِ أيضاً من مشاهدة قتل أولادى وياليتك إذ قد اردت قتلهم كنت قتلتنى قبل أن تقتلهم أو كنت تمكننى منهم فكنت أضمهم إلى صدرى وأقبّلهم قبل أن تقتلهم فيكون لى بذلك بعض العزاء. ثم التفت الشيخ امثاى نحو أولادهُ وجعل يخاطبهم قائلا يا أولادى أنا الذى اتيت بهذا الظالم إلى هذه المدينة فصرت بذلك مشاركا لهُ فى كل أفعالهِ ومستوجبا من الله أن يسلطهُ علىّ وعليكم على إنى لم أفعل ذلك إلا بأمر الكهنة وشيوخ الأمةِ وهم الذين ارسلونى إليهِ حتى استدعيه لهم فصار وبالاً عليهم وعلينا وعدوًا لهم ولنا ولم نكتف بيوحانان القاتول حتى اضفنا إليهِ من هو أعظم شراً منهُ. والآن يا أولادى ليس ينفعنا البكاءُ ولا الجزع وليس لنا إلا الصبر والرضى بحكم الله عزّ وجلّ فإن القتل خير لنا من البقاءِ مع الأشرار وافضل عندنا من مشاهدة خراب القدس وهلاك الامه فاصبروا إذاً أيها الأولاد صبر الشباب الاجلاد وافرحوا بالموت على طاعة الله ولا تهلعوا ولا تجبنوا وتشبهوا بالسبعة الإخوة الذين قتلهم الماردى ذو الدين الردى انتيوخوس وها أنا مع كبرى وضعفى صابر ثابت ولى اسوة باشمونيت أم أولئك الذين قتلوا بحِضرتها وهى صابرة شاكرة وبغيرها ممن حسن صبرهُ ولم يجزع ورضى بحكم الله عزّ وجلّ وصار إلى ثواب دائم. ولئن تقدمتمونى يا أولادى فإنى لاحق بكم غير متخلف عنكم ولا متأخر عن المسير نحوكم وهذا فهو أقل حزنى وتخفيف فى غمى لأنى لو بقيت بعدكم لعظمت مصيبتى وطال حزنى بعدكم وكنت اكون مثل صدقيا الملك الذى شاهد نحر أولادهُ ثم بقى مكابدا للحزن والغم ولو أنهُ قُتل معهم لاستراح. واعلموا أن شمعون وإن فرق بين اجسامنا فليس يمكنه أن يفرق بين

ارواحنا وانكم بعد قليل تصيرون إلى الثواب الباقى والنعيم الدائم فإن ساءنى أن أرى قتلكم فانى ارجو لكم من الله عزَّ وجلَّ الأجر الجزيل والمنقلب الجميل والمغفرة فتعزوا يا أولادى عن الدنيا واصبروا على القتل ولا تجزعوا من الموت وتقدمونى فانى لا حق بكم واسعد من جهتكم فاذا ما لقيتم الصالحين فقولوا لهم أن امتكم وبنى آبائكم الذين انشق لهم البحر وجرى لهم من الحجر النهر ووقفت لهم الشمس ونزل لهم منٌ من السماء وتفجرت لهم من الصخرة عيون الماء وساروا فى طريقهم بالغمام ورعاهم الأنبياء بحرصٍ واهتمام وساسهم الصالحون وذل لهم الجبابرة والمقتدرون قد تذللوا بعد العز وشقوا بعد النعيم وتسلط عليهم الأشرار وولى أمرهم العصاة الفجار فظلموهم وقتلوهم ولم يشفقوا عليهم ولا رحموهم . ثم قال الشيخ امثاى للسياف أفعل ما أمرك بهِ الخارج واقتلنى بالسيف الذى قتلت بهِ أولادى ليختلط دمى بدمائهم فى حياتى من معانقتهم ولعل جسمى يسترهم من طائر السماء فلا يأكل لحومهم واجعل فمى على ضرباتهم ليكون ذلك عوضا مما منعه من تقبيلهم فإن كان شمعون قد فرق بينى وبين أولادى فى الدنيا فليس يقدر أن يفرق بيننا فى الموت . ثم رفع الشيخ امثاى يديه نحو السماء وصرخ قائلا أيها الرب العظيم القادر على ما تشاء اسألك أن تنتقم من شمعون وتطالبهُ بظلمهِ واسلمه مع أولادهِ إلى أعدائهِ ولا تحشره مع أُمَّتك ولا تمتهُ حتى يرى فى أولادهِ وفى نفسهِ ما يكره بعدما يراهُ من خراب القدس وجلاء الأمةِ فيعلم حينئذٍ أن منصرفى أحسن من منصرفهِ وأن عاقبتى أحسن من عاقبتهِ.

فلما فرغ امثاى من كلامه أمر شمعون بقتل أولادهُ الثلاثة قدامهِ فقُتِلوا ثم قتلوا الشيخ بعدهم وطرحت جثثهم إلى خارج الحصن. ثم أمر شمعون فى ذلك اليوم بقتل رجل من اجلاءِ الكهنة يقال لهُ حنانيا فقُتِل وطرحت جثتهُ على جثة امثاى ثم قتل ارسطوس الكاتب وخمسة عشر رجلاً من كبراء الائمةِ وصلحائهم وقتل أحد عشر رجلاً من وجوه أهل المدينة بلغهُ عنهم أنهم انكروا قتل امثاى الكاهن واغتموا منهُ. وقتل يهوذا رئيس الألف وجماعة معهُ لأنهم أرادوا أن يستأمنوا إلى الروم لما نظروا إلى ما فعله شمعون بالناس استعظمهُ وايقن بهلاك المدينة فخرج من أورشليم وأقام فى بعض المواضع إلى أن انصرف تيطس عن المدينة .

(ذكر عظم المجاعة فى أورشليم لما طال الحصار ومات الناس)
(وخبر المرأة التى أكلت إبنها شيأً)

لما طال الحصار على المدينة المقدسة فنى كل شئ كان فيها من القوت وجميع المأكول وقوىَ الجوع على الناس حتى اكلوا الجيف ودبيب الأرض وهلك منهم بذلك خلق كثير، وكان من سلم لهُ يسير من القمح يخاف أن يطحنهُ أو يخبزهُ فيعلم بهِ صوت الطاحونه أو بالدخان فيؤخذ منهُ ويقتل فكانوا يأكلون القمح حبا ويستفون الطحين دقيقا ويتخاطفون اليسير من القوت إذا وجدوه يخطفهُ الأب من ولدهِ والولد من والدهِ فعظم الجوع والجهد واشتد الأمر وقوى القحط حتى مات كثير من الناس

واشتغل الاحياء بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم . وبعض الناس كانوا يرمون موتاهم فى الآبار والروابى ويلقون انفسهم بعدهم ليموتوا ويستريحوا مما هم فيهِ من البلاء العظيم. وكان كثير من الناس يحتفرون لهم حفرات قبورا يضجعون فيها الى أن يموتوا وبطل البكاء وانقطعت الاصوات وزالت الحنة وذهبت الشكوى وعدم الترثى وامتلأت المنازل والشوارع والأزقة من الموتى وكان الخوارج يرمون من يموت وغيرهُ من السور إلى الوادى الذى هو شرقى المدينة حتى صار فى الوادى منهم عدد عظيم فمر بهم تيطس فى بعض الأيام فلما رأى كثرتهم استعظم ذلك واغتم منهُ . ورفع يديه نحو السماء وقال اللهمً أنك أنت العالم اننى ما احببت ولا اردت هلاك هؤلاء القوم واننى ما قصدت لهم إلا الخير وقد استدعيتهم إلى الصلح وبذلت لهم الامان ووعدتهم بالاحسان فمنعهم روساؤهم واشرارهم حتى حل بهم هذا البلاء العظيم فاسألك أيها الرب أن تبرينى من اثمهم ولا تؤاخذنى بما أصابهم.

فلما كان الحصار جاع الخوارج وأصحابهم أيضاً واذاقهم الله ما اذاقوه للناس من الجوع وبلغ أمرهم إلى أن اكلوا الحب الذى يوجد فى زبل الحيوان واكلوا جلود البهائم المائته ثم اكلوا ما يوجد من الجلود على سروجهم نعم وعلى سيوفهم، وكانوا يطلبون شيئاً من النبات فلا يجدون لا فى ظاهر المدينة ولا فى باطنها لأن الروم قطعوا كل ما كان حول المدينة من الشجر والنبات. وقد كان حول أورشليم من سائر جهاتها بساتين كثيرة فيها انواع الاشجار واصناف الفواكه مسيرة اميال كثيرة من كل جهة وكان إذا أقبل انسان إلى المدينة يرى أحسن منظر، فلم يترك الروم من جميع ذلك شيئاً وصارت تلك المواضع مثل البرية المقفرة وكان كل من يعرف تلك البساتين والرياض قديما إذا عاينها بعدما اخربها الروم واهلكوها يبكى ويستوحش . وكان فى أورشليم إمرأة من ذوات النعم والسعادات وكان اصلها من مدينة فى جيرة الأردن فلما كثرت الفتن هناك فى زمان وسباسيانوس انتقلت المرأة إلى أورشليم فأقامت بها وكان لها نعمة واسعة وعبيد كثيرون ولم يكن لها غير ولد وحيد صغير تحبه حبا شديداً حب الوالدة لولدها الوحيد فلما قويت المجاعة فى المدينة ونهبت الخوارج جميع ما كان فى منزل المرأة كما فعلوا بغيرها جاعت المرأة وجاع ولدها فلما زاد ما بها مما تجده من الجوع وما يصل إلى قلبها من الألم ببكاء ابنها وتضورهِ عدمت الصبر وفقدت التمييز فعملت على أن تقتل ولدها وتأكلهُ لتسد بهِ جوعها وتريحهُ بالقتل مما يقاسيه بالجوع، فكانت محتارة لا تدرى على أى الامرين تحمل نفسها هل تقتل ابنها الوحيد العزيز عليها بيدها وتأكله وذلك من اشنع الأمور وافظعها أم تصبر على ما تراه بهِ وبنفسها من الضر وألم الجوع وقد فارقها الصبر وغلبها الجوع والاحتياج إلى ما لابد منهُ حتى لم يبق لها رأى. حينئذ ازالت عن نفسها الرحمة وابعدت عن جوارحها الاشفاق فقالت لولدها قد كنت أؤمل يا ابنى ووحيدى والعزيز علىً أنك تعيش حتى تبرني وتقوم بأحوالى إذا كبرت وتتولى أمرى إذا مت وقد كنت أخاف من أن تموت قبلى فاحزن لموتك وأُصاب لشدتك وأتألم لفقدك وليتنى كنت قد ثكلتك، وليتك كنت مت على غير هذه الجهة فدفنتك واحتسبتك عند الله ولم أرَ هذا الضر الذى تكابده والآن يا ولدى قد احاطت بنا البلوى من كل جهة وعدمنا عقولنا وعميت ابصار قلوبنا وقد

يأسنا من الفرج وايقنا بالهلاك الكلى والبوار الشامل فالحيّ منا لا يطمع فى البقاء والميت لا يُدفن فانا وأنت هالكان وإن مت يا ابنى لا يدفنك أحد وكنت مثل غيرك ممن أكلهُ الكلاب وطائر السماء وقد رأيت أن اقتلك لتستريح من ألم الجوع ثم آكلك بعد ذلك وأجعل جوفى الذى حملك فيهِ قبراً لكَ وأسد بكَ جوعى ويكون ذلك عوض البر الذى كنت أؤمل أن اناله منك وتكون كانك قد كافأتنى عوضا عن حملى اياك ورضاعتى لك وبالغت فى اكرامى وبرى وتنال بذلك عظيم الثواب وخير الجزاء، ويكون ذلك عاراً على هؤلاء الخوارج الذين اوقعونا فى عظم هذه الشدة التى لا مزيد عليها ويكون ذلك زيادة فى سخط الله عليهم وانتقامهِ لامتهِ منهم وحديثا يبقى على ممر الدهور يتحدث بهِ الناس جيلا بعد جيل ثم قبضت على ناصية ابنها بيدها الواحدة والسكين بيدها الأخرى وهى كمسلوبة العقل حولت وجهها عنهُ لئلا تراه ثم ضربته بالسكين فمات. حينئذ أخذت بعض لحمه شوته على النار واكلت منهُ حاجتها واحتفظت بما بقى من جثّتهِ فلما ارتفع قتار ذلك اللحم وشمتهُ الخوارج وأصحابهم هجموا على المرأة بغضب شديد وحدّة وقالوا لها ما الذى كنت تأكلينه ومن أين لك هذا اللحم وكيف اكلتِهِ وحدك ولم تعلمينا بهِ؟ فقالت لهم ترفقوا ولا تعجلوا، فما كنت بالذى أظلمكم وأؤثر نفسى عليكم بل قد عزلت لكم النصيب الوافر مما اكلته فاجلسوا إذا لكى آتيكم بهِ فجلس القوم ومضت ونصبت المائدة قدامهم واخرجت ما بقى من جثة ابنها وجعلتهُ على المائدة وقالت لهم هذا ولدى وأعز الاشياء عندى فقتلتهُ بيدى لافراط الجوع بى فأكلت من لحمهِ حاجتى وهذه بقية جثتهِ وأعضائهِ ابقيتها لكم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا أشد رحمة منى لولدى، ولا تضعف قلوبكم عن ذلك فإنهُ قبيح بشجعان مثلكم أن تكون إمرأة اقوى قلباً منكم ومع ذلك فانكم احق ممن رضى ذلك ولم ينكرهُ لانكم الذين جلبتم على وعلى سكان هذه المدينة هذا البلاء العظيم ولم ترثوا لنا ولا رحمتمونا حتى بلغنا إلى هذه الحال السيئة . فلما رأى أولئك الخوارج ذلك استعظموه وخرجوا مذعورين وخائفين. واشتهر خبر المرأة فى المدينة، فقلق الناس لذلك قلقا شديداً وتحقق صحة الوعيد الذى سبق من الله عزّ وجلّ فيهم وايقنوا بالهلاك وانكسر الخوارج وكادت ترف قلوبهم وضعفت همّتهم واطلقوا للناس الخروج من المدينة، فخرج فى ذلك الوقت خلق كثير إلى الروم ولم يمنعوهم ولما اتصل الخبر بتيطس استعظمه وقلق منهُ جداً ورفع صوته إلى السماء وقال اللهم أنت العالم الخفيات والمطلع على السرائر والنيّات وأنت تعلم إنى لم آت إلى هذه المدينة لأحارب أهلها ولا لكى أسئ اليهم وقد استدعيتهم إلى الصلح دفعات فما اجابوا ولقد شفقت عليهم واردت سلامتهم وامنهم وما اردت هلاكهم ولا هويت عطبهم فلم يشفقوا هم على نفوسهم ولا رحموا ذواتهم حتى انتهى أمرهم إلى مثل هذا ولقد غمنى ما بالغوا إليهِ لا سيما ما عرفته من حال هذه المرأة البائسة وساءنى ذلك واقلقنى وما رضيته سريرتى ولا سُرَّت بهِ نفسى ولا اخترته وأنا برئ إليك منهُ فاسالك يارب أن تعفينى من ظلامتى ولا تجعلنى تحت وزرهِ وطائلتهِ وتبرّئ قومى جنايته واثمه وأن تطالب خوارج هؤلاء القوم بظلمهم واساءتهم اليهم وتنتقم منهم وتظفرنى بهم.

ثم أن تيطس أمر أصحابهِ بالاحسان إلى اليهود الذين خرجوا إليهِ من المدينة وكانوا جماعة كثيرة رجالا ونساء وصبيانا ففعل أصحاب تيطس كما أمرهم بهِ فاطعمهم الطعام فكان كثيرون منهم لا يقدرون يفتحون افواههم وجماعة كثيرة منهم لما اكلوا الطعام ماتوا لوقتهم. وكان الصبيان وغيرهم يخطفون الخبز إذ يبصرونه وينهشونه بلا عقل ثم يموتون عقيب ذلك، فلما علم تيطس بأمرهم أمر يوسيفوس بن كربون بتدبيرهم فسقاهم اللبن والحساء أياماً حتى لانت أمعاؤهم ثم اكلوا الطعام بعد ذلك، فعاش كثير منهم وكان بعض هؤلاء اليهود لما أرادوا الخروج من المدينة قد ابتلعوا ذهبا وجواهر كانت فى ذخائرهم لتسلم لهم ممن يتعرض لأخذها منهم لتبقى معهم فيعيشون منها، فلما صاروا فى عسكر الروم جلس رجل منهم يفتش ما برز منهُ بعد أن تبرز ويخرج منهُ ما كان قد بلعه فرآه بعض السريان فأخبر رفيقه بذلك فقتلا ذلك اليهودى وأخذا ما كان معهُ وفشا الخبر فاتفقت العرب والسريان الذين كانوا فى عسكر تيطس على قتل اليهود،فقتلوا منهم خلقاً كثيراً لطعمهم فى أخذ ما كانوا قد بلعوه من الذهب والجواهر. فلما علم تيطس بذلك انكرهُ وغضب منهُ ثم استدعى أصحابهِ اعنى رؤساء عسكرهِ ومتقدمى جيوشهِ وأمرهم بازالة كل ما على مركباتهم وانتزاع سائر ما هو من الذهب وغيرهُ من الحلى على آلات سلاحهم وحمائل سيوفهم وغير ذلك من عددهم. وامرهم أيضاً بأن لا يتركوا شيئاً من الزينة والتوشية واللؤلؤ والجوهر على لباسهم، وقال لهم إن هذا الذهب وغيره من الزينة مما على عددكم وملابسكم هو الذى حمّل العرب السريان على قتل هؤلاء اليهود رغبة فيما يأخذونهُ من الذهب والجواهر التى معهم ليتشبهوا لكم فى الزى واللباس المجمّل. فامتثل أصحاب تيطس للوقت ما أمرهم بهِ وازالوا جميع ما عليهم من الحلى والذهب . ثم أمر تيطس بنفى العرب والسريان من عسكرهِ وابعادهم فكفوا عن قتل اليهود. وكان العرب والسريان إذا ظفروا بيهودى قتلوه فى خلوةِ طمعا فى أن يكون فى جوفهِ شئ من المال والجواهر.



بطليموس الثالث يورجيتيس ٢٤٦ - ٢٢٢ ق.م. — بطليموس الرابع فيلوباتور ٢٢٢ - ٢٠٥ ق.م. — بطليموس الخامس أبيفانيوس ٢٠٤ - ١٨٠ ق.م.

بطليموس السادس فيلوماتور ١٨٠ - ١٤٦ ق.م. — بطليموس الثامن ١٤٥ - ١١٦ ق.م.

بعض عملات للملوك السلوقيين والبطالمة

الفصل العاشر

(ذكر هدم السور الثالث)

لما علم الروم بسوء حال أهل أورشليم وفناة اكثرهم وضعف من بقى منهم وما هم عليهِ من الضر والجوع طمعوا فى أخذ المدينة فتقدموا إلى السور الثالث ونصبوا عليهِ الكبش ليهدموه فلم يكن للخوارج قوة أن يحرقوه كما فعلوا فى مثل ذلك فيما تقدم إلا أنهم مع ذلك ومع ما هم عليهِ من الضر والبؤس قاتلوا الروم قتالاً شديداً وقتلوا جماعة كثيرة منهم لدرجة أن الروم فكّروا على أن ينصرفوا عن المدينة إذا أحرق اليهود الكبش لأنهم ضجروا من طول الحرب وامتدادها وضعفت أيضاً قلوبهم لكثرة من قُتل منهم وما ظهر لهم من بأس اليهود وقوة قلوبهم. فلما كان عند المساء عاد يوحانان وأصحابهُ إلى المدينة لضعفهم عن محاربة الروم فدفع الروم الكبش على السور فى الليل فهدموهُ وصرخوا عند ذلك صراخاً عظيماً فصرخ اليهود أيضاً من داخل المدينة. وأقام الروم موضعهم فى هذه الليلةِ فلما اصبحوا نظروا وإذا قبالة ذلك الموضع الذى انهدم من السور سور جديد قد بناه اليهود فى تلك الليلة وهم قيام عليهِ وذلك أنهم لما عجزوا وضعفوا عن احراق الكبش علموا أن الروم يدفعونه على السور فاجتمعوا فى الليل فبنوا سوراً داخلا بازاء الموضع الذى علموا أنهُ سينهدم ووقفوا عليهِ فلما نظر الروم إلى هذا السور الجديد استعظموا ما فعله اليهود ويأسوا من فتح البلدة، فقال لهم تيطس إن هذا السور الجديد لا ثبات لهُ لأنهُ لم يستحكم فاذا صدمه الكبش انهدم سريعا فصعد الروم على السور المهدوم وقربوا من اليهود ووقف اليهود على السور الجديد الذى ابتنوه واشتد القتال بين الفريقين فغلب اليهود الروم وهزموهم وقتلوا كثيراً منهم فكلّت الروم من محاربة اليهود وقوى عزمهم على الانصراف عنهم. فلما علم تيطس بذلك جمع أصحابهِ ثم قال لهم: "إن كل من يمارس صناعة أو يعانى مهمة إنما قصده أن يبلغ إلى الغاية التى تكمل صناعته بها ويتم عمله فلذلك يصبر على كل تعب الصنعة إلى أن تكمل فيبلغ غرضهُ الذى يقصده وربما كان آخر العمل أكثر مشقة من أوله وأتعب فإن ضجر منهُ الذى يتولاهُ وتركهُ قبل أن يتمهُ ذهب تعبه وبقى عملهُ ناقصا لا ينتفع بهِ . انظروا إلى مدبرى السفينة كيف يصبرون على التعب فى تدبيرها طول مسيرها ليبلغوا إلى الغاية التى يقصدونها فاذا هم قربوا إلى المكان الذى قصدوه واعتراهم الضجر وملك عليهم العجز ولو يسيرا عطبت السفينة وهلك جميع من فيها وذهب تعبهم ضائعا باطلاً، وإذا صبروا ثم احتملوا التعب سلمت السفينة وبلغوا بصبرهم إلى حيثما قصدوا وكذلك من ينشئ بناء إن ضجر منهُ وتركه قبل أن يتممه ذهب تعبه وبطل أجرهُ، وكذلك الفلاح إنما يصبر على التعب فى فلاحته الأرض وزراعتها وحفظها من الحيوان المفسد لما فيها ليأخذ مستغلها فإن هو ضجر عند بلوغ الزرع وكمالهِ فتركهُ لم يحصدهُ ويجمعهُ ضاع جميع تعبهِ وأتلف غلتهُ وبقى فقيراً جائعاً وأنتم أيضاً إنما جئتم إلى هذه الغاية حتى هلك روساؤها وشجعانها وخربتم

حصونها وفنيت عساكرها بالسيف والجوع والوباء ولم يبق منها غير شرذمة يسيرة كالموتى فإن انصرفتم بعد هذا ولم تتمموا عملكم وما قصدتموه كنتم قد ضيعتم تعبكم وأعنتم عدوكم على انفسكم وأهنتموها عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عن القوم قبل هذا لكان أجمل بكم وأحسن وأما الآن فلا عذر لكم فى عجزكم عن محاربة قوم قد بلغ منهم الضر والجوع إلى هذا المبلغ فإن انصرفتم عنهم قبل أن تتمموا عملكم طمع فيكم كل أحد واجترأ عليكم كل من كان يخاف منكم ولا تماثلوا اليهود فى الصبر والثبات والشجاعة وقوة المنَّة وجلادة العزيمة فها قد شاهدتم ما أظهروه من الثبات والصبر مع انقراض رجالهم وفناء أبطالهم واجتماع المكاره عليهم وانقطاع رجائهم من البقاء ولم يكفوا عن قتالنا ومحاربتنا إما طمعا فى الظفر أو أنفة من الغلبة أو رغبة فى بقاء الذكر وانتم أحق أن تطلبوا جميل الذكر وترغبوا فى الظفر وتحرصوا على الغلبة وتجتهدوا فى رفع الضر والعار عن انفسكم، ومع ذلك فقد صبرتم أيام نيرون قيصر على محاربة هولاء القوم وعملتم على أنكم لا ترجعون عنهم إلا بعد أن تظفروا بهم وتهلكوهم أو تردوهم إلى طاعة الروم. فلما ملك وسباسيانوس الذى هو اشجع من نيرون واعظم بأساً عملتم على أن ترجعوا عنهم قبل أن تظفروا بهم فأى عذر يكون لكم عندهُ وأية حجة تحتجون بها عليهِ".

فلما سمع الروم كلام تيطس ثبتوا وتشجعوا، فلما كان فى الليلة التى بعد هذا اليوم اجتمع عشرون رجلاً من شجعانهم وعملوا على أن يدخلوا البلد ومعهم جماعة من العسكر إلى ثلمة فى السور فصعدوا عليها ودخلوا إلى البلد لأن اليهود كانوا نياما لطول تعبهم وجوعهم وضرهم فلما دخل الروم المدينة صرخوا فاستيقظ اليهود لشدة أصواتهم فصوتوا ولم يفارقوا مواضعهم. وسمع تيطس صوت أصحابهِ فعلم أنهم قد ملكوا السور فمضى مع جماعة من رجالهِ فوقف عند السور إلى الغد، فلما صار النهار التقى اليهود مع الروم فانهزم اليهود وتحصنوا داخل الهيكل وتبعهم الروم فاقتتلوا فى صحن القدس البرانى بالسيف وحدثت بينهم فى ذلك اليوم حرب عظيمة لم يجر مثلها قط لأنهم استقتلوا جميعا وجدّوا فى الحرب وعلت أصواتهم وارتفع ضجيجهم حتى سمع من البعد النازح وكثر القتلى فى القدس و امتلأ صحن القدس الجليل من دمائهم وتغلّب اليهود فى ذلك اليوم على الروم فهزموهم وأخرجوهم من القدس وكانت مدة هذه الحرب من الصبح إلى ربع النهار. فأمر تيطس فى هذا النهار بهدم موضع كان متصلا بالقدس يسمى انطونيا وأراد بذلك أن يتسع موضع الحرب على أصحابهِ لأن محاربتهم لليهود بعد ثلّم السور الثالث كانت فى صحن القدس البرانى فلما هدم هذا الموضع البرانى انثلم طريق القدس وصارت الطريق إليهِ سهلة.

(ذكر مخاطبة تيطس لليهود بعد ما جرى على الروم منهم)

وكان هذا اليوم يوم عيد لليهود فاجتمع اليهود فى القدس ليحتفلوا بالعيد فتقدم تيطس إلى القدس ومعهُ يوسيفوس الكاهن فاستدعى يوحانان وروساء الخوارج وخاطبهم بصوت عال وقال: "يا معشر اليهود اخبرونى ما الذى يدعوكم أن تجلبوا

الخراب على هذا الموضع المقدس ويشجعكم على مخالفتنا ومنازعتنا فإن كنتم إنما تفعلون ذلك اجلالا لهذا البيت واشفاقا عليهِ من الخراب فقد علمتم إني لا أريد خرابهِ وإني ما جئت لذلك على انكم قد دنّستموهُ وبذلتموه لكل نجس ولم تجلّوه ولم تكرموه واكثرتم فيهِ من سفك الدماء وارتكاب المحارم، وهذا اليوم فهو لكم عيد جليل وهوذا قد اشتغلتم فيهِ بمحاربة بعضكم بعضا واهملتم بواجب ما يتعين عليكم من حق العيد، فإن كان قصدكم أن تُظهروا شدة بأسكم ووفور شجاعتكم فاخرجوا خارج المدينة إلى الصحراء حتى نحاربكم وهناك اظهروا عالى مآثركم ورفيع هممكم إلى أن يغلب منا من غلب ووقروا قدس الله ونزّهوهُ عن الحرب ولا تنجّسوهُ بسفك الدماء فيهِ ولا تعطلوا منهُ القرابين والعبادة فإننا لا نريد ذلك ولا نختاره ولا نقصد محاربتكم من أجلهِ وإنما نحاربكم من أجل مقاومتكم لنا ومحاربتكم إيّانا فإن كنتم قد عجزتم عن القتال فانزلوا على حكمنا واقبلوا أمرنا". فقال لهُ يوحانان: "إعلم أيها الملك أنهُ ليس لنا قرابين نقربها فى هذا الهيكل أجل من لحومنا ودمائنا ونحن نختار أن نبذل مهجنا ونسفك دماءَنا فيهِ ونستقتل فى محاربتنا عنهُ معتقدين أن ذلك يكون لنا قربانا مرضيا وضحية مقبولة" . قال لهُ تيطس: "كيف تطمعون انفسكم انكم تكونون عند الله كالقرابين المرضية إذا قُتِلتُم فى قدسهِ وانتم قد عصيتموه واغضبتموه بما ارتكبتموه من الافعال، وهل يقبل الله عزَّ وجلَّ الضحايا والقرابين إلا ما كان سالما من كل عيب، فأنتم هؤلاء قد اجتمعت فيكم المساوئ والمعايب وليس يحسب قتالكم عن هذا الهيكل اعزازا لهُ ولا تستحقون أن توصفوا بفضيلة البأس والشجاعة لأن الشجاع إنما يقاتل عن مدينتهِ وقومهِ ليصونهم ويمنع عنهم الأذى ليس ليهلكهم ويخرب مدينتهم أيرضى احدكم أن توخذ مائدته من قدامهِ بغير رضاهُ فاذا كنتم لا تختارون ذلك ولا ترضونه فكيف استجزتم أن تعطلوا قرابين الهكم من هيكله وجعلتم فيهِ عوضاً من ذلك قتلاً وجثث موتى وسفك دماء وقد اخبرتكم اننى ما قدمت اليكم لأقاتلكم ولا أخرب مدنكم ولا جئت إلا لكى ادعوكم إلى مسالمتنا والرجوع إلى ما كنتم عليهِ من طاعتنا وقد ظهر لكم اشفاقنا عليكم وايثارنا الخير لكم مع مخالفتكم ايانا ومحاربتكم لنا مما لم يكن غيرنا من الأمم يفعله بكم ولا يريده لكم، ولعمرى أن هذه السجية سجيتنا ومثل هذا المذهب مذهبنا وطريقتنا مع جميع من قاومنا وخالفنا وشق العصا علينا وذلك إنّا لما ظفرنا بهم احسنّا اليهم وعفونا عنهم، وقد علمتم أن ملككم يكنيا لما حاصره بختنصر ملك بابل خرج إليهِ مستأمنا وسلم نفسهِ وجميع أهلهُ إليهِ لاشفاقه على المدينة وعلى القدس من الخراب وعلى قومهِ من الهلاك فانتفع بذلك ونفع رعيّتهُ وسَلِمَ وسلموا، وأما صدقيا الملك لما لجَّ فى مخالفة الملك بختنصر ولم يخرج إليهِ كما أشار عليهِ ارميا النبى اهلك المدينة والامة والقدس ولم يسلم فسبيلكم أن تعتبروا بهذين الملكين فتقتدموا باصوابهما فعلاً واحمدهما عاقبة ولا تلجوا فى المخالفة التى قد تبين لكم مضرتها وسوء عاقبتها بل ارجعوا إلى ما كنتم عليهِ من طاعتنا اجود ونحن إلى أفضل مما كنا عليهِ من الاحسان اليكم والاشفاق عليكم وصنيع الجميل معكم وها أنا اعاهدكم عهداً مجددا قدام إله هذا البيت واجعله الشاهد علىَّ وعليكم واضمن لكم إن اطعتم حسن الصنيع اليكم والعفو عن جميع ما تقدم منكم ومعاملتكم بالجميل الذى

عهدتموه قبل أن تعصونا واعطيكم يوسيفوس الكاهن وجماعة من وجوه اصحابى يكونون رهاينى عندكم حتى تسكن انفسكم إلى قولى وتثقوا بى وبعهدى وضمانى فاقبلوا نصحى لكم واكتفوا بما جرى عليكم وارجعوا إلى ما كنتم عليهِ من طاعتنا

ليحسن حالكم وحال بلدكم وتعود قرابينكم وعبادتكم إلى ما كانت عليهِ، وقد جعلت كلامى هذا حجة عليكم واعتذاراً إلى الله عزّ وجلّ فى أمركم" . وكان يوسيفوس بن كربون الكاهن يترجم للقوم ما يقوله تيطس بلسان الروم عبرانيا ويبكى بكاءً شديداً وينتحب انتحابا حرقا . ثم قال لهم يوسيفوس إنى لست اعجب من خراب هذا البيت وهذه المدينة لعلمى أن مدتهما قد انتهت لكنى اعجب منكم وانتم تقرأون كتاب النبى المعظم دانيال وتعلمون ما ذكره من ابطال القرابين وعدم الكاهن المسيح وزوال المسحة وترون ذلك قد صح وثبت وانتم بعد ذلك لا تخضعون لله عزّ وجلّ ولا تستسلمون . فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا كلام يوسيفوس ولا رجعوا عما هم عليهِ ولا خضعوا غير أن جماعة من الكهنة ومن كبراءِ اليهود خرجوا فى ذلك اليوم إلى تيطس فأمنهم واحسن اليهم ومنع الروم من أذيتهم فلما علم الخوارج بخروجهم منعوا من بقى من اليهود من أن يخرجوا وضبطوا طرق القدس لئلا يخرج أحد منهم.

(ذكر الحرب الأخيرة التى كانت بين اليهود وبين الروم)

لما علم تيطس أن كثيرين من اليهود يريدون الخروج إليهِ وإن الخوارج يمنعونهم من ذلك تقدم إلى الموضع المنهدم من سور القدس ويوسيفوس الكاهن معهُ ليعاود مخاطبة اليهود واستعطافهم فلما نظر اليهود إلى يوسيفوس بكوا بكاءً شديداً وقالوا نحن معترفون بأنّا قد اخطأنا وأسأنا بمعصيتنا الروم وتحققنا اشفاق الملك علينا وما يريده من سلامتنا وصلاح احوالنا ونحن نرغب فى الخروج إليهِ ولكنا لا نجد السبيل إلى ذلك لأن هؤلاء الخوارج قد منعونا واستولوا علينا . فلما سمع الخوارج كلامهم تبادروا اليهم ليقتلوهم فبادر اليهم الروم ليخلصوهم وهجموا على اليهود فى القدس فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم الروم وهربوا إلى قدس الاقداس وهو الموضع الاجل من جملة القدس فتبعهم اليهود إليهِ وقتلوهم فيهِ فلما علم تيطس ذلك صاح بيوحانان وكان داخل قدس الاقداس وقال لهُ يا يوحانان ألم يُكتب فى التوراة أن الغريب الذى يدخل إلى هذا الموضع الاقدس يُقتل ولم يؤذن لأحد بالدخول إليهِ إلا الكاهن الأكبر وذلك فى يومٍ واحدٍ فى السنة وأما أنت أيها المتعدى على ربك والمتجاوز فرائض سيِّدك والمخالف شريعة الهلك فما اقنعك أنك دخلت إلى الموضع الذى لا يجوز لك أن تدخل إليهِ حتى سفكت دماء الغلف الذين تبعدونهم وتأنفون منهم وتُكرهونهم وتعرضون عن التقرب اليهم ودماء اليهود أيضاً الذين هم اخوتكم وقد علم الله منى وشهد على إنى ما أريد اخرب هذا البيت ولكن اعمالكم السوء هى التى تخربه وإنى أريد أن تطيعونا حتى لا نخرب هذا البيت لكن نصونه ونحسن اليكم ثم ننصرف . ولما رأى تيطس أن القوم لا يسمعون كلامه ولا يلتفتون إليهِ استدعى من أصحابهِ ثلاثين الف رجل أشد مقاتله وأمرهم أن يدخلوا إلى صحن القدس فيحاربوا اليهود

وأراد أن يدخل معهم فمنعهُ أصحابهُ وقالوا من الأصوب أن تقف أنت على موضع عال بحيث يراك أصحابك فتقوى قلوبهم بك ويقاتلون بحضرتك ولا نخاطر بنفسك وبنا فقبل تيطس ما أشاروا بهِ عليهِ واتفق رأيهم على أن يحاصروا ويكبسوا على اليهود فى الليل، فلما علم اليهود بذلك لم يناموا فى تلك الليلة فلم يتم الروم ما أرادوا .
ولما كان فى الغد تفرق اليهود ووقفوا على طريق القدس فضبطوه وحاربوا الروم واستمرّت الحروب بينهم وانتصرت اليهود على الروم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وابعدوهم عن القدس . فأمر تيطس أصحابهِ أن يكفوا عن قالتهم ومحاربتهم لعلمه أنهم لا يجدون ما يأكلون وإن الجوع يفنيهم. فلم يجر بين الروم وبين اليهود حرب ولا قتال. ولكن لما اشتد الجوع على اليهود كان قوم منهم يستقتلون ويخرجوا إلى اطراف عسكر الروم فى الليل فيسرقون ما وجدوا من الدواب فيأكلون، فلما علم تيطس بذلك أمر أن يحرس العسكر فى الليل، فكان عسكر الروم قد انتقل فى ذلك الوقت من جبل الزيتون إلى المدينة وما حولها وقد تبقت لهم فى الجبل دواب ومواشى كثيرة ومعها اقوام يحفظونها وكان تيطس قد بنى فى وجه باب القدس الذى يلى الجبل حائطا ليأمن من اليهود أن يخرجوا إلى عسكره من ذلك الباب لأنهم قد خرجوا منهُ مرات كثيرة فمضى قوم من أصحاب الخوارج إلى هذا الحائط فهدموه وصعدوا إلى الجبل فقتلوا بعض أولئك القوم الذين كانوا يحفظون الدواب وساقوها ووقف بعضهم يقاتل من يمانعهم من الروم فلم يقدروا عليهم ولكنهم ظفروا بواحد منهم فأسروهُ وكان فى جماعة أولئك اليهود رجل قصير اسمهُ يوناثان فلما رأى القوم قد أسروا صاحبهُ غضب وتداخلته الحمية فمضى إلى عسكرالروم ووقف قدامهم ثم ناداهم قائلا من كان منكم يدل بشدة بأسهِ ويظن أنهُ شجاع جبار فليبرز إليَّ فانى اصدق قولى بفعلى ويظهر عند ذلك من هو الموصوف بالمحاربة ومن هو مستحق أن يذكر بالبأس والشجاعة، وهل الروم هم الذين يستحقون ذلك أم اليهود؟ قال فامتنع الروم من الخروج إليهِ لخوفهم منهُ لأنهُ كان حقيراً ردياً قبيح المنظر ذميماً جداً، فقال الروم إن ظفرنا بهِ لم يكن لنا فى ذلك فخر وإن ظفر بنا كان ذلك عاراً فوقفوا لذلك عنهُ، فقال لهم يوناثان لقد ظهر ضعفكم وتبين عجزكم عن مقاومتنا واتضح فضل شجاعتنا وبأسنا ولقد قتلنا فيكم كما نقتل الغنم وأهنَّاكم كالعبيد والخدم حتى اردتم أن تهربوا أكثر من مرة ولولا من معكم من الأمم الغريبة منكم وكثرة الاجناس التى ليست من طوائفكم لم يكن لكم طاقة بنا ولاثبات أمام القليل منا، ومع ذلك فنحن الذين ساعدناكم على أنفسنا بقتلنا بعضنا بعضاً حتى فنينا وقل عددنا لما أرادهُ الله من هلاكنا، ولولا ذلك لبعد عليكم وعلى غيركم أن تغلبونا وها أنا وحدى من جملة اليهود الذين قد أضر بهم الجوع وبلغ منهم الشقاء وطول الحصار، فمن كان منكم واثقا من ذاته بشجاعة ومبارزة واقدام فليبرز إليَّ فبرز إليهِ رجل من شجعان الروم فقتله يوناثان فاغتم الروم لقتلهِ عند ذلك فرح يوناثان وتداخله العجب والكبر وجعل يتهزأ بالروم ويفتخر عليهم وأسرف فى شتمهم وتقريعهم واكثر من السخر والاستخفاف بهم وبأجلائهم ولم يشكر الله عزَّ وجلَّ الذى منحه الظفر وقواه على من حاربهُ . ثم قال للروم برأى متشامخ ومعقول مترفع هل بقى منكم أحد يبرز إليَّ حتى اقتله ولما كرر هذا الكلام وهو

ضاحك مستهزئ اشتد واحد من الروم فرماه بسهم فقتلهُ وكان ذلك عقوبة البغى والتعظّم والتكبّر والتهجّم والتجبّر إذ الحكمة تقول أن الرب يعاند المتعظمين.(١)

ولما رأى اليهود أن سور المدينة قد انهدم وتسلق الروم اسوار القدس وملكوه

ولم يبق شئ يصدهم ورأوا أنهم قد عجزوا عن محاربتهم دبروا على الروم تدبيرا اهلكوا بهِ جماعة منهم وذلك أنهُ كان بقرب القدس قصر عظيم مما بناه سليمان بن داود ثم زاد فيهِ ملوك البيت الثانى ورفعوا بنيانه وزادوا فيهِ جوسقا رفيعا عاليا جداً من الخشب الجافى ووزروا أيضاً جميع حيطان القصر بالخشب فمضى اليهود إلى هذا القصر وطلوا جميع ما فيهِ من الخشب بالنفط الكثير والكبريت والقار ثم اخفوا فيهِ رجلاً منهم وقالوا لهُ إذا تمكّن الروم من القصر اشعل أنت فيهِ النار وكان للقصر باب مخفى غير الباب المعروف يخرج منهُ إلى موضع آخر لا يفطن بهِ إلا من يعرفهُ، ثم أن اليهود مضوا فى الليل إلى الروم الذين فى القدس فقاتلوهم واجتمع عليهم من الروم جماعة كثيرة فقاتلهم اليهود ساعة ثم انهزموا قدامهم وطلعوا إلى ذلك القصر فتبعهم الروم ودخلوا فى اثرهم فلم يجدوا من اليهود أحد لأنهم كانوا قد خرجوا من الباب المخفى ودخل من الروم فى القصر جماعة كثيرة وتفرقوا فى القصر لينظروا ما فيهِ من الابنية ويتعجبوا من حسنةِ ثم صعدوا إلى الطبقة الثالثة واشتغلوا بطلب اليهود وبنظر القصر فخرج ذلك اليهودى الذى اختفى فى القصر فأشعل النار فى مواضع يعرفها فيهِ والروم فى غفلةِ عن ذلك فاشتعلت النار فى جوانب القصر وقويت فلما رأى الروم ذلك انحدروا ليهربوا فوجدوا اليهود قد وقفوا لهم على باب القصر بالسيوف ليمنعوا من يخرج منهم واحاطت النار بالروم فلم يكن لهم ملجاء ولا منجى ولا مهرب فهلكوا بأجمعهم وذلك أن الخارج منهم كان يقتل بالسيف ومن يثبت فى القصر صار حريقا ومن رمى نفسهِ من القصر هلك لأن القصر كان مشرفا شاهقا. وبلغ الخبر إلى تيطس فركب فى عسكره وجاء إلى القصر فلم يقدروا على أن يطفئوا النار ولا امكنهم أن يستخلصوا أحداً من اصحابهم، وكان فى جملة من هلك جماعة كثيرة من وجوه الروم وكبرائهم. فلما رأى الروم ما فعله اليهود باصحابهم خافوهم ولم يأمنوا منهم أن يحتالوا بحيلة أخرى فخرج من كان منهم فى القدس بجملتهم إلى المدينة ورجعوا إلى معسكرهم واقاموا فى خيمهم وسكنهم.

---

(١) فلذلك ينبغى للعاقل الرصين إذا ظفر بعدوهِ أو غلب فى إحتجاجهِ وإعتذارهِ وقهر خصمهُ وإنتصر عليهِ فى محاكمتهِ ألا يزهوا ويفتخر ويظن بنفسهِ ويعجب بشجاعتهِ وبأسهِ كمتّكل على قوّتهِ أو كواثق ببلاغة أقوالهِ وإيجاز الفاظهِ وحجتهِ ويملكهُ التكبّر ويستولى على ذهنهِ التعظّم والتجبّر لئلاّ يوافيهِ عند ذلك الخذلان من الله ويتخلى عنهُ سبحانهُ، بل يليق بالمرء اللبيب العاقل أن ينسب جميع ذلك من ظفر فى حرب أو غلبة فى حكم إلى الله تعالى وإلى نصرتهِ سبحانهُ ونجدتهِ.

(ذكر دخول الروم إلى قدس الاقداس ذى الجلال واحراقهم إياهُ بالنار)

فلما كان بعد هذا أمر تيطس أصحابهِ ومن قد ورد إليهِ من الجموع من سائر الأمم أن يحيطوا بالمدينة ويحاصروها ويضيّقوا على من بقى من أهلها فيكفوا أمرهم من غير أن يتعرضوا لمحاربتهم ففعلوا كذلك فلما طال الحصار على اليهود مات أكثر من تبقى منهم وخرج أكثر أصحاب الخوارج إلى تيطس فقبلهم ثم دخل الروم إلى المدينة وإلى بيت الله عزَّ وجلَّ فملكوهُ ولم يبق من يمانعهم عنهُ وأمّنوا جميع من يخافونه من اليهود، وكان تيطس قد اوصى أصحابهِ واكد عليهم ألا يحرقوا الهيكل فقال لهُ روساء الروم إنك إذا لم تحرقه لم تملك اليهود ولا تقهرهم لأنهم لا يفترون ولا يكفون من القتال عليهِ ما دام باقيا فاذا حرقته ذهب عزهم ولم يبق لهم ما يقاتلون عنهُ فتتكسر قلوبهم ويذلّون وتأمن منهم فقال لهم تيطس قد علمت ذلك لكن على سائر الاحوال لا تحرقوه حتى آمركم بحرقة وكانت الطريق إلى القدس الاجل عليها باب عظيم مصفح بصفائح فضة وكان مغلقا لأن اليهود كانوا قد اغلقوه واوثقوه فجاء بعض الروم إلى هذا الباب فاحرقوه لياخذوا الفضة التى عليهِ فلما احرقوا الباب وجدوا إلى القدس الاجل السبيل فدخلوا إليهِ وتوسطوه ثم نصبوا اصنامم فيهِ وقرّبوا ذبائحهم لتيطس سيدهم ورفعوا اصنامهم بمدحهِ والثناء عليهِ واقبلوا يفترون على البيت ويتكلمون بالعظائم. فلما علم من بقى من اليهود ذلك لم يصبروا فخرج منهم قوم فى الليل إلى الروم الذين فى القدس فقتلوهم، فبلغ الخبر إلى تيطس فجاءَ فى عسكرهِ إلى القدس فقتل أولئك وهرب من بقى منهم إلى جبل صهيون فاقاموا فيهِ، فلما كان من الغد اجتمع الروم واحرقوا باب قدس الاقداس وكان كلها مغشاة بصفائح الذهب، فلما سقطت الابواب صرخوا صراخا عظيماً، فعلم تيطس بذلك فجاء مسرعا إلى قدس الاقداس ليمنعهم من احراقه فلم يتم لهُ ذلك لأن الناس كثروا واجتمع فيهِ خلق كثير من الروم وغيرهم من الأمم التى كانت تعادى اليهود وتطلب التشفى منهم فغلبوا تيطس على رأيه وهو يصرخ هاتفا باعلى صوته وهو يجتهد فى منعهم وقيل أنهُ قتل فى ذلك اليوم جماعة من أصحابهِ وذلك أنهم دخلوا إلى القدس بعظم حنق وحدةً شديدة وغيظ مفرط فخرج الأمر عن يد تيطس ولم يقدر على منعهم ويقال أنهُ صاح فى ذلك اليوم إلى أن بح حلقهُ وانقطع صوته ولم يسمع كلامه. ولما رأى قدس الاقداس وشاهد حسنه وتفرس فى عظم بهجتهِ ورائق جماله وكثرة زينتهِ تحير وتعجب وقال حقا حقيقيا أن هذا البيت الجليل ينبغى أن يكون بيتاً لله الاله إله السماء والارض ومسكن جلاله ومحل نوره وإنهُ ليحق على اليهود أن يحاربوا عنهُ ويستقتلوا عليهِ، لقد اصابت الأمم واحسنت فى اعظامها لهذا البيت واجلالها لهُ وحملها لهُ الهدايا والاموال وإنهُ لاعظم من هيكل رومية ومن جميع الهياكل التى شاهدناها وبلغنا خبرها والشاهد عليّ هو الله إنى لم اشأ احراقه ولكن القوم فعلوا ذلك بافراط شرهم وعظم الجاجهم . ثم اشتعلت النار فى القدس واحترقت وقويت على جميعه وكان من بقى من الكهنة لما علموا بدخول الروم إلى قدس الاقداس ليحرقوه جاءوا مستقتلين فحاربوا الروم إلى أن

لم يبق لهم حيلة ولا قدرة على محاربتهم فلما غلبهم الأمر ورأوا أن البيت قد احترق قالوا بعد احتراق قدس الله ما لنا وللحياة وأى عيش يطيب لنا بعدهُ فزجّوا انفسهم فى النار فاحترقوا باجمعهم. وكان حريق القدس فى اليوم العاشر من الشهر الخامس مثل اليوم الذى احرق فيهِ الكلدانيين البيت الأول . ولما علم اليهود الذين تبقوا فى المدينة بأن قدس الاقداس قد احترق مضوا إلى جميع ما فى المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة والابواب الملوكية فاحرقوا كل ذلك مع جميع ما كان فيها من الذخائر الكثيرة والعده والاموال . ولما كان فى غد هذا اليوم الذى احرق فيهِ القدس ظهر رجل فى اليهود يدّعى النبوة ويقول إن هذا البيت يبنى كما كان من غير أن يمارس الآدميون شيئاً من بنيانه لكن يبنى بقدرة الله عزّ وجلّ فدوموا على ما انتم عليهِ من مقارعة الروم والامتناع من طاعتهم، ولما سمع كلامهُ من بقىً من اليهود اجتمعوا فقاتلوا الروم فظفر الروم بهم فقتلوهم باسرهم وقتلوا أيضاً جمعا كبيراً من اعوام اليهود ممن كانوا قبل ذلك قد رحموهم واحسنوا اليهم.

(ذكر أشياء جرت قبل خراب القدس دلّت على خرابهِ)

كان قد ظهر على القدس قبل مجئ وسباسيانوس كوكب عظيم لهُ نور قوى شديد وكان القدس يضئ بذلك الكوكب كضوء النهار تقريبا فأقام كذلك مدة سبعة أيام عيد الفصح ثم غاب ففرح بهِ اعوام الناس وجهلاؤهم واغتم العلماء وأهل الفضل والمعرفة. وكانوا قد أحضروا إلى القدس فى ذلك العيد بقرة ليقربوا بها فلما طرحوها ليذبحوها ولدت خروفا فاستشنعه الناس وانكروه، ومن ذلك أن باب القدس الشرقى كان باباً عظيماً ثقيلا ولم يكن يغلقه ويفتحه إلا جماعة من الرجال فلما كان فى تلك الأيام كانوا يجدونه كل يوم مفتوحا فكان الجهّال يفرحون بذلك وأهل العلم والمعرفة يغتمون لهُ. وظهر بعد ذلك على بيت القدس فى الهواء صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم الجمال والبهاء ساطع النور والضياء، وظهر فى الجو أيضاً فى تلك الأيام صور ركبان من نار على خيل من نار يطيرون فى الهواء قريبا من الأرض وكان ذلك يرى على أورشليم وعلى جميع أرض اليهود. وبعد ذلك سمعت الكهنة فى القدس ليلة عيد العنصرة حس جماعةٍ كثيرة يذهبون ويجيئون ويمشون ويذهبون فى الهيكل من غير أن يروا شخص أحد بل كانوا يسمعون حسهم فقط، ثم كانوا يسمعون صوتا عظيماً يقول امض بنا حتى نرحل من هذا البيت. وقبل خراب القدس باربع سنين ظهر فى المدينة انسان من بعض العامة كان يمشى بين الناس كالمجنون ويصيح باعلى صوتهِ قائلا صوت من المشرق صوت من المغرب صِوت من أربع جهات العالم صوت على أورشليم صوت على الهيكل صوت على الحصن صوت على العروس صوت على جميع الناس الذين بأورشليم وكان الناس يمقتونه وينتهرونه ويستثقلونه ويتصورونه بصورة متوسوس ولم يكن هو يفتر من هذا، فلم يزل على ذلك حتى احاط الروم بالمدينة . فلما كان فى بعض الأيام والحرب على المدينة ابتدأ أن يتكلم بما كان يتكلم بهِ على عادتهِ فرُمىَ بحجر على هامته فمات، ووجد حجر قديم

فى ذلك الزمان مكتوب عليهِ إذا كمل بنيان القدس وصار مربعا عند ذلك يخرب. فلما جاء تيطس وقام بهدم البنيان الذى كان إلى جانب الهيكل المسمى بالعبرانية انطونيا فإنهُ حدث إنهيار فى سور القدس نتيجة الهدم ،فقام اليهود وبنوهُ بنيانا جيداً واضافوه إلى جملة القدس فصار مربعا وكانوا قد نسوا ذلك المكتوب الذى وجدوه على الحجر فلما رأوا القدس قد تربَّع تذكروا ذلك، ووجدوا أيضاً فى جانب حائط قدس الاقداس حجرا مكتوبا عليهِ إذا صار الهيكل مربعا يملك حينئذ على اسرائيل ملك ويستولى على سائر الأرض فقال بعض الناس هو ملك اسرائيل، وقالت الحكماء والكهنة بل هو ملك الروم.

(ذكر قتل يوحانان وشمعون الخارجيين)

ثم أن شمعون ويوحانان راسلا تيطس يطلبان منهُ الامان فارسل تيطس يقول لهما قد طلبت هذا منكما واجتهدت فيهِ لرحمتى الناس الذين كانوا يتضورون من الجوع فلم تجيبا إلى الصلح ولا رحمتما الناس الذين كانوا يتضورون من الجوع فلم تجيبا إلى الصلح ولا رحمتما قومكما ولا رقت جوارحكما لمساكين شعبكما لكنكما لججتما فى الشر حتى اخربتما المدينة والقدس الجليل واهلكتما الأمةِ وليس لكما الآن فائدة فى الحياة ولا عذر لى فى ابقائكما . ثم أن تيطس اغلظ لهما فى القول ثم قال إن من يطلب الامان ينبغى أن يلقى عنهُ سلاحهُ ونستأسرهُ، فإن كنتما صادقين فالقيا سلاحكما واستأسرا وإحضرا لدىً فى شكل المساكين المساقين إلى السبى فأرسلا إليهِ إنّنا كنا قد حلفنا قديما أنّنا لا نذعن الروم ولا ندخل فى طاعتك والذى نريد الآن منك هو أن تطلق لنا الخروج حتى نمضى من هذه البلاد وندخل فى البريةِ، فقال لهما تيطس قد حصلتما فى يدنا وتحت سلطاننا وانتما تظنان إننا لم نملككما إلى هذه الغاية ولذلك تتكلمان بهذا الكلام فبالحق انكما لشقيًا الحظ، وسبب ذلك سوء رأيكما، ومع ذلك فقد كنتما حلفتما انكما تبذلان مهجكما وتستقتلان على بيت الهكما فابقيا إذا على عهدكما ولا تحنثا فى يمينكما ولا تكذبا فى قسمكما ولا تطلبا الحياة بعد خرابهِ. فأقام يوحانان وشمعون مكانهما وكانا فى جبل صهيون ولم يخرجا إلى تيطس. وخرج رجل اسمهُ زارح ومعهُ بنو الملك واهلهُ وجماعة من جملةِ اليهود وكبراءِ المدينة فقبلهم تيطس واحسن اليهم، فلما علم يوحانان وشمعون بذلك سارا إلى منازل هؤلاء المذكورين فاحرقاها بالنار لئلا يأخذ الروم ما فيها . ثم أن يوحانان وشمعون انحدرا ليلا من جبل صهيون إلى القدس ومعهما قوم من اصحابهما فقتلوا قائدين للروم كان تيطس وكّلهما بحفظ القدس، فغضب تيطس من ذلك وأمر بقتل من بقى فى المدينة من اليهود كان قد ابقاهم فقُتِل خلق لا يحصى عددهم إلا الله سبحانهُ، فلما رأى من كان مع شمعون من أهل ادوم أن الروم قد قتلوا من قد كانوا استبقوه من اليهود ارسلوا إلى تيطس يطلبون منهُ الأمان فلما علم شمعون بذلك قتل رؤساءهم وكبراءهم. وهرب الباقون إلى تيطس وأمّنهم واحسن اليهم ومنع من قتل اليهود، ثم هرب يوحانان وشمعون من الجبل إلى موضع استترا فيهِ، فلما علم من كان مقيما معهما انهما قد

هربا خرجوا باجمعهم إلى تيطس فأمَّنهم واحسن اليهم، فاستولى حينئذ تيطس على جميع المدينة فملكها وهدم سور صهيون، ثم أن يوحانان طال عليهِ الاستتار واشتد بهِ الجوع والعطش فخرج من الموضع الذى كان فيهِ مستترا وقد لبس لباس الملك وزيَّهُ وسار إلى عسكر الروم فوقف عند قوم منهم فلما رأوهُ هابوهُ واتقوه فلم يقدموا عليهِ فقال لهم اذهبوا بى إلى عريفكم لاخاطبهُ فجاء إليهِ عريف القوم فقال لهُ من أنت فقال أنا يوحانان واريد أن تمضى بى إلى سيدك فمضى بهِ العريف إلى تيطس فلما رآه تيطس اغلظ لهُ فى القول وشتمهُ وأمر بأن يقيَّد ويشهَّر فى العسكر . وخرج هوشع الكاهن إلى تيطس ومعهُ منارتان ومائدتان من ذهب وآلات كثيرة للقدس جميعا ذهب خالص فسلمها إلى تيطس. وقبض تيطس على فنحاس صاحب الخزائن وطالبه بما تحت يده من الأموال، فسلَّم إليهِ خزائن كثيرة مملوءة من آلات ذهب وفضة وجواهر وثياب مرصعة من ملابس الكهنة واطياب كثيرة . ثم رحل تيطس عن أورشليم متوجها إلى رومية ومعهُ الغنائم والاموال التى أخذها من بلاد اليهود والسبى الذى سباهُ منهم سوى الذين امَّنهم.

(ذكر عدد ما احصى من الموتى الذين ماتوا من اليهود فى مدة الحصار)
(وعدد من قتل منهم وسبى)

ذكر مناحيم الموكل باحد ابواب المدينة أنهُ كان احصى من أخرج ميِّتا من الباب الذى كان موكلا بهِ فكان عددهم مئة الف وخمسة وعشرين الفا وثمان مئة وذكر روساء اليهود الذين استأمنهم الروم أنهم احصوا الموتى الذين أُخرجوا من جميع الأبواب ليدفنوا فى مدة الحصار والحروب التى كانت فى المدينة فكان مبلغ عددهم ست مئة الف هؤلاء غير من طُرحَ فى الآبار هذا غير خلق كثير ماتوا فى الشوارع والازقة والمنازل ولم يكن لهم من يدفنهم وغير من طُرحَ إلى خارج الحصن ممن مات وقُتِل وغير ممن قتل فى القدس ولم يدفن وأما الذى عُرف من احصاء من قتله الروم فى الحرب وغيره ومن قتله الخوارج فى مدة تغلبهم على المدينة فكان الف الف ومئة انسان، وكان جملة من حصل فى السبى مع تيطس غير من أمَّنه تسعة وتسعين الف انسان أما أصحاب الخوارج فإن اكثرهم هلكوا فى الحرب التى كانت بينهم وبين الروم ومن بقى منهم اسره تيطس فلما رحل تيطس عن أورشليم اخذهم معهُ فى جملة السبى الذى سبى من اليهود فكان فى كل منطقة ينزل بها يُلقى منهم للسباع التى معهُ إلى أن اهلك جميعهم ولم يبق منهم ولا واحد.

(ذكر العازر بن حنانى الخارجى وما كان من أمرهِ)

قد كنا ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا أن العازر بن حنانى الخارجى لما رأى ما فعله شمعون الخارجى من قتل امثاى الكاهن واولاده القتل الجاير وقتلهِ أيضاً غير هؤلاء من أهل الخير والسلامة علم أن عاقبة ذلك تأول إلى خراب القدس وتنتهى إلى ابادة الأمةِ، فانتزح عن المدينة الجليلة فأقام فى بعض المواضع إلى أن رحل تيطس وعسكره من أورشليم. فلما بعدوا عنها ظهر العازر ومضى حينئذ إلى قرية تسمى ماصيو فعمَّر سورها وشيد حصنها وأوثقها وأقام بها وسمع بهِ جماعة من القوم المتفرقين الذين تبقوا من العبرانيين فاجتمعوا إليهِ واقاموا معهُ فاتصل خبرهم بتيطس وهو وقتئذ بانطاكية فخشى أن يقوى أمرهم ويطول باعهم فوجه من قواده قائداً اليهم يسمى سلوانس فجاء القائد إلى حصن ماصيو فى عسكر كبير ونزل عليهِ وحاصره إلى أن فتح الموضع فخرج إليهِ العازر وحاربه وحارب أصحابهِ ومنعه ومنع أصحابهِ من الدخول إلى ماصيو وادركهم الليل ولم تدخل الروم إلى لحصن . فلما كان فى تلك الليلة جمع العازر اليهود الذين معهُ فى الحصن وقد كان القوم حائرين لا يدرون ماذا يصنعون وارادوا أن يطلبوا من الروم يجيبون إلى ذلك ويوفوا بهِ ويأمنوهم على الحقيقة بعد فتحهم القرية وقد حصلت بايديهم ملكاً أم لا فلما ضاقت بهم الفسحة ولم يعلموا على ماذا يعولون وقف العازر فى وسطهم وخاطبهم قائلا: "اسمعوا منى يا ذرية ابرهيم وانصتوا إلى ما أقولهُ يا بنى الأنبياء انكم طالما قهرتم الأمم وغلبتم الممالك وظفرتم بالاعداء وكانت لكم الآثار الجميلة فى الحروب، أما الآن فقد انعكست الاحوال وذهب ما كان لنا من النجاح والاقبال فغلبتنا اعداؤنا واستولت علينا الغرباء من جنسنا وذلك بخذلان الله لنا وسخطة علينا لما عصيناه واغضبناهُ وتركنا شريعتهُ وخالفنا طاعتهُ ولم نتمسك برأيهِ وبشريعتهِ. واعلموا أيها الإخوة أن لكل أمر مدة اليها ينتهى وهكذا تكون اوقات المكافحة واحيان الحروب وممارس ذلك تارة غالب وتارة مغلوب وعلى ذلك جرى أمر الدنيا. وليس فى الهزيمة عار ولا عيب على المنهزمين ولا فخر فى الظفر للغالبين لأن الاحوال تنتقل وتتغير فكم منهزم مقهور قد رجع مؤيدا منصوراً وليس العار والعيب إلا فى الجبن والفشل وضعف القلب وقلة الصبر عند النوائب والقلق ومفاجأة المصائب وسرعة الخضوع عند النكبة والاستسلام عند المحنة وأما الشجاع فهو الذى يصبر على المكروه، وإذا حصل فى الضر لا يغلبه الجزع على رأيهِ وعقله وقد علمتم اننا قد اجتهدنا فى محاربة اعدائنا ومقاومتهم إلى أن غلبنا الأمر ولم يبق لنا حيلة، والآن فقد فتحوا حصننا هذا وملكوا بلدنا وقد يأسنا من أن نغلبهم وانقطع رجاؤنا من الظفر بهم وإن ندفعهم عن أنفسنا وانتم الآن بين امرين إما أن ترغبوا فى الحياة وتكرهوا الموت وتسلّموا انفسكم إلى اعدائكم وتصبحوا أسرى تحت ايديهم وتحت حكمهم وتفارقوا ما انتم عليهِ من العز وترضوا بالذل والهوان وتُنسبَوا بعد الشجاعة والبأس إلى الضعف والوهن والعجز وإما أن تزهدوا فى البقاء وتتشجعوا على الموت فتكونوا بذلك قد اكملتم الشجاعة وعزة النفس وقوة القلب

والأنفة مما يشين وتخلصوا من اذلال الأعداء وتسلطهم عليكم وتحكمهم فيكم واعلموا أن الموت فى العز خير من الحياة فى الذل ومن أمات نفسهِ كريما فقد احياها ومن رغب لنفسه فى الحياة مع الذل والهوان فقد اماتها واهلكها فلا ترغبوا إذاً فى البقاء بعد زوال اقبالكم وفقد سعادتكم ولا تشفقوا على ذهاب اجسادكم من الموت ولا ترثوا لاولادكم من شرب كأس المنون على الحالة الجميلة فإن الموت على الوجه المحمود يُعَدّ حياة كما أن الحياة على صفة مذمومة تدعى موتا وقد علمتم أن أب الآباء ابرهيم لما أخذ إبنهُ الوحيد ليقدمه لله عزَّ وجلَّ لم يحصل فى وهمهِ أنهُ يميته بل اعتقد أنهُ يحييهِ إذ اقام طاعة الله ولذلك سارع ولم يتوقف، والملك البار يوشيا لما رأى ما عليهِ أهل زمانهِ من كثرة الخطايا وارتكاب المعاصى كَرِهَ البقاء معهم واختار مفارقتهم ولذلك زهد فى الحيوة لدنيا ورغب فى النور الاعظم فبذل نفسهِ إلى الموت ولم يجزع من القتل وتعرض لمحاربة فرعون حتى قُتِلَ واستحق بذلك أن يسمى شجاعاً جباراً لأنهُ اقدم على الموت بغير فزع ولم منعه من ذلك محبة الدنيا والرغبة فى الحياة وليس على الأخيار نقص ولا عيب إذا قتلهم الأشرار والعصاة لأن يوشيا الملك كان خيراً صالحاً وقتله فرعون وكان خاطيا عاصيا وذلك أن الدنيا هى نصيب فرعون وامثاله من العصاة ولا حظ لهم بعدها فى نعيم الاخرة، ونصيب يوشيا ومن ضاهاه وشاكله من القوم الصالحين فهو ما بعد الدنيا من النور الاعظم حيث السعادة الكلية والبقاء الدائم. وقد علمنا أن الأخيار لا ياخذون اجرهم فى هذه الدنيا لأن الدنيا هى دار عمل وأما الآخرة فهى دار جزاء والدنيا هى دار تعب ونصب بغير راحة والآخرة هى دار راحة بغير تعب ونياح خلوا من كل عنى ونصب وكل خير يناله الانسان من الدنيا فهو ممزوج بكثرة احزان مشوب بما يكدره من نوائب الزمان منغص بما يفاجئه من طوارق الحدثان وأما ما تصير إليهِ من الآخرة الابرار والقوم الأخيار لاسيما النجباء السعداء المقارعين القبائل الغرباء المحاربين الأعداءِ فهو هني شهي لا كدور تمازجهُ ولا تنغيص يدانيهِ ويقاربه فيجب على من عرف نقص الدنيا وفضل الآخرة يؤثر الافضل على الاخس ويجيز الجازى على الانقص ويشتاق الراهن الداهر على الحاضر الداثر ويرغب فيما يبقى ويزهد فيما يفنى ويسارع إلى حيث السعادة الدائمة ولا يسر بطول العمر فى الدنيا وليس لهُ فى ذلك حظ لأن المرءَ كلما طال عمرهُ فى الدنيا كثرت همومهُ وتزايدت احزانهُ وغمومهُ وطال شقاؤهُ واتصل تعبهُ وعناؤهُ وإذا قصر عمرهُ خلص من الهموم وتعجّل إلى الراحة وحصل لهُ السرور العظيم فى دار الفرح ومثوى النعيم وقد علمتم يا إخوة أن هابيل لم يطل عمره فى الدنيا لأن قايين أخاهُ قتله فما ضرَّهُ قِصَر العمر شيئاً لأنهُ صار على ثواب الآخرة واستراح من شقاءِ الدنيا، وأما قايين أخوهُ فقد عاش بعدهُ طويلا إلا أنهُ لم ينتفع بطول عمره لأنهُ كان تائها فزعانا مرتعشا مشرداً مشتتاً طول أيام حياتهُ، ثم مات بعد ذلك فصار إلى عقاب الآخرة وكذلك نحن لا ننتفع بالحياة إذا عشنا عيشاً مستميلاً ولا يضر بنا الموت إذا كنا نتخلص فى العاجل مما نكرهه ونصير إلى ما نرجو من ثواب الآخرة ونعيمها وقد علمنا أن النفوس مأسورة فى هذا الجسد باللحم والعروق والعظام فهذه الاشياء للنفوس كالقيود والاغلال وانما ربطت النفس بالجسد لتديره وتصلح احواله وتسوس اموره ما

دامت ساكنة فيهِ، والجسد لا يعلم ما هى النفس ولا ينظرها ولا يدرى متى حصلت فيهِ ولا متى تفارقه لأنها مستترة فيهِ، وهى كالغريبة فيهِ وهو بعيد عن شبهها لأن النفس شريفة رفيعة المحل، والجسد ترابى ارضى لا يفيد شيئاً خلواً من النفس، والنفس دائمة فى الجسد فهى كالأسيرة فى السجن وليس تأمن الوقوع فى الزلل والسقوط فى الخطاءِ والهبوط فى المعاصى لأن الجسد يحركها إلى كل ذلك ويزيِّن لها ما قبح من الافعال ويحسن امامها ذميم الافعال فإن اطاعتهُ فيما يدعوها إليهِ كان ذلك سبب موتها وهلاكها فى دار الآخرة. وإن عصتهُ وخالفتهُ نجت من الخطايا والمآثم وصارت بعد الموت إلى الحياة والنعيم الدائم، ولذلك قد تفرح النفس الصالحة بخروجها من الجسد كما يفرح الاسير إذا خلص من الاسر والمحبوس إذا أُطلق من الحبس، والعبد إذا اعتق من العبودية المرة والمملكة الغاصبة المستمرة وذلك أن النفس فى مدة ارتباطها بالجسد بمنزلة العبد المملوك بيد الملك الجائر وهى تشبه عبدا لملك عظيم أمرهُ الملك أن يخدم آخر غريبا إلى مدة معلومة فمضى العبد وخدم ذلك الرجل كما أمرهُ الملك فلما اكملت المدة رجع إلى مولاه وهو مسرور إلى موضعه ومستقره الجليل عند الملك فرحاً بخلاصهِ من خدمة الغريب الجائر لأنهُ علم أنهُ لم يبق لهُ عليهِ سلطان بعد مفارقتهِ إياه ورجوعه إلى الملك سيدهِ، وكذلك أنفسنا اسيرة لعبودية هذه الأجساد وخدمة ما تدعو إليهِ الشهوات فى مدة العمر فاذا فارقت الأجساد بالموت عادت للنور الذى هو مستقرها ومحلها ودار امنها وسعادتها ولذلك حكماء الهند لا يندبون موتاهم ولا ينوحون على من فقد منهم وينكرون البكاء وينهون عنهُ لمعرفتهم أن النفس استراحت بموت الجسد لأنها صارت من العبودية إلى العتق والحرية ومن التعب والنصب إلى النعيم والراحة وانتقلت من العالم الادنى إلى العالم الاشرف والاعلى فاذا كان هؤلاء الأمم الذين لا يعرفون الله عزَّ وجلَّ حق المعرفة لا يكرهون الموت لما طمعت انفسهم أن يصيروا بعدهُ إلى ما هو اخير وافضل من الدنيا فنحن اولى بذلك منهم إذ كنا مؤمنين بالله سبحانهُ وتعالى وتيقنا فضل الآخرة على الدنيا ولا شك فيما عند الله سبحانهُ من خير الجزاء وجزيل الثواب لمن أطاعهُ وإتَّقاه فإن كنتم ترغبون فى حياة الدنيا وتؤثرون أن تستأمنوا الروم فى هذا الوقت وتقبلون حكمهم على انفسكم فقد كان الأولى بكم أن تفعلوا ذلك عندما اشار بهِ عليكم اغريباس الملك بألا تعصوا الروم واعلمكم بانكم لا تقوون عليهم ولا انتم ممن يستطيع مقاومتهم فما قبلتم منهُ بل اظهرتم الخلاف عليهم وقتلتم اصحابهم وجلبتم على انفسكم بذلك البلاء العظيم ثم ابيتم أن تستأمنوا إلى تيطس لما دعاكم إلى طاعتهُ وبذل لكم الامان وضمن لكم الاحسان ووعدكم بالجميل ولو اطعتموه لم يكن عليكم بذلك نقص ولا عيب لأنهُ ملك كبير وابن ملك إلا انكم لم ترغبوا ذلك بل امتنعتم من طاعتهِ وابيتم الاذعان لهُ حتى اخرب البلاد واحرق القدس الجليل واهلك الأمةِ. وكيف ترضون الآن أن تطيعوا غيره وتذلّوا لهُ وتنزلوا على حكمه وأيَّةِ فائدة لكم فى البقاء بعد ذهاب عزكم وهلاك جموعكم وخراب ارضكم وانما تبقى منكم عدد قليل منفردين كالمطر على رأس الجبل العالى الذى تضربه الرياح من كل جانب ومع ذلك لا تعلمون هل يأمنكم هذا القائد أم لا ولستم على ثقة إن هو أمَّنكم أن يغدر بكم فترون بانفسكم ما تكرهون وتنظرون اولادكم

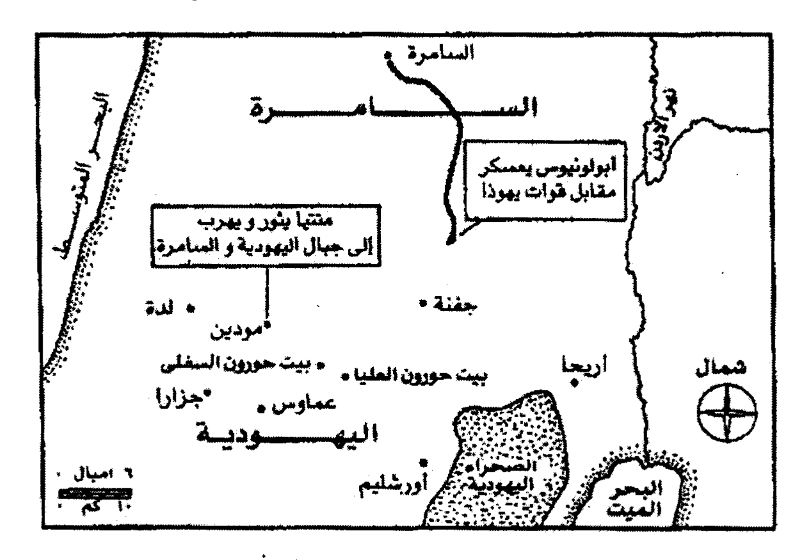
يتعذبون وهم يصرخون اليكم ويستغيثون بكم فلا تستطيعون أن تجيبوهم ولا يمكـــنكم أن تخلّصوهم وتشاهدون نساءكم وبناتكم مع الغلف الانجاس والكفرة الارجاس يفسقون بهن ولا تقدرون على اعانتهن وتكونون انتم بالاغلال والقيود وليس لكم في انفـــسكم حيلة وأيَةِ حياة تطيب مع هذا البلاء العظيم وكيف يرغب فى البقاء ويؤثر الحياة مـــن هو متوقع الحصول فى هذه المكاره القادحة وقد ايقن فى وقوعه تحت هذه النوائـــب المبرحة. وكيف لنا إن كنا متنا ولم نشاهد ما شاهدناه والآن فإذ قد بلغنا إلى هذا المبلغ فالموت خير لنا من أن نسلم أنفسنا للروم اعدائنا حتى لا نراهم يقتسموننا ويتوزعون اولادنا كالغنم ويستخدموننا كالعبيد والخدم، بل الأولى بنا أن نمنعهم من هذه الغنيمـــة ونصدهم عن هذه الشماتة الذميمة العظيمة وذلك بأن نجتمع ونتشجع على قتل أولادنا ونسائنا وانفسنا ولا نكره الموت ولا ننفر منهُ فإنّنا ورثناه بسبب معصيتنا فى ابتـــداء خلقتنا واليه مصيرنا ومالنا فاذا قتلناهم وامنا منهم خرجنا بعد ذلك وقاتلنا أعداءنا إلى أن نُقتل كلنا فنهلك فى عزنا ونذهب فى كرامتنا ويكون الذكر الجميـــل علـــى طـــول الزمان باقيا لنا ولا نقايض ذلك بضده. فلما سمع القوم كلام العازر قبلوه واركنوا إليهِ وعوّلوا جميعهم على العمل بهِ ثم جمعوا نساءهم واولادهم فعانقوهم وقبّلوهم وقـــالوا لهم أى شئ أحب اليكم أن تموتوا فى أرض مرباكم ومولدكم وبلـــد آبـــائكم وموعـــد اجدادكم وفى عزّكم وعلى دينكم أو تموتوا مع أحب الناس اليكم فى السبى بيد الأعداء فتهلكوا فى غير بلادكم ومع غير أهل دينكم بعد أن تروا فى انفـــسكم مـــا تكرهـــون فاختاروا باجمعهم الموت فى مواطنهم وارض بلادهم واقبلوا طول ليلـــتهم ينوحـــون ويبكون وبودع بعضهم بعضا بانتخاب وعويل شديد وزفرات حارة. فلما كـــان آخـــر الليل أخذ جميعهم نساءهم واولادهم وكلاً منهم صغيرا أو كبيراً فقتلوهم عن آخـــرهم وطرحوهم فى الآبار وردموا عليهم التراب ثم خرجوا بعد ذلك إلى عسكر الروم وهم مستقلون فلم يزالوا يحاربوهم إلى أن قُتلوا جميعا بعدما افنوا من الروم عـــدد وافـــر وانصرف هؤلاء القوم من الدنيا وهم يعتقدون أنهم قد اصابوا فيما فعلوا ويرون أنهم قد بذلوا انفسهم فى طاعة ربهم والحماية لدينهم فلم تظفر الأعداء بهم ولا اسروا واحد منهم وهكذا كان جهادهم وكفاحهم. وعلى هذا الوجه كان تصرفهم ومتـــصرفهم والله العالم وحده والخبير بمفرده الجائل على انفراد قلوبهم بمكافأتهم فى تقلبهم ومجازاتهم فى منقلبهم ودار مسرّتهم ونسأله تعالى حسن الكفاية وحميد العاقبة والـــستر الجميـــل والمسامحة والعفو والغفران والتجاوز عما سلف والسلامة عما يستأنف بجوده ولطفهِ واحسانهِ.

ملاحق

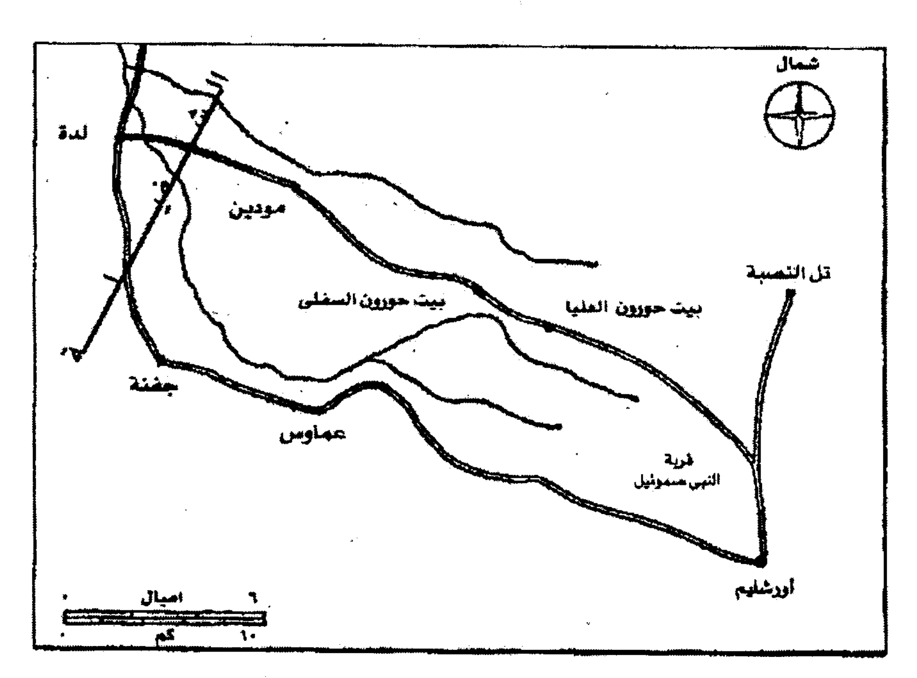


خريطة توضّح انقسام مملكة إسرائيل إلى مملكتين

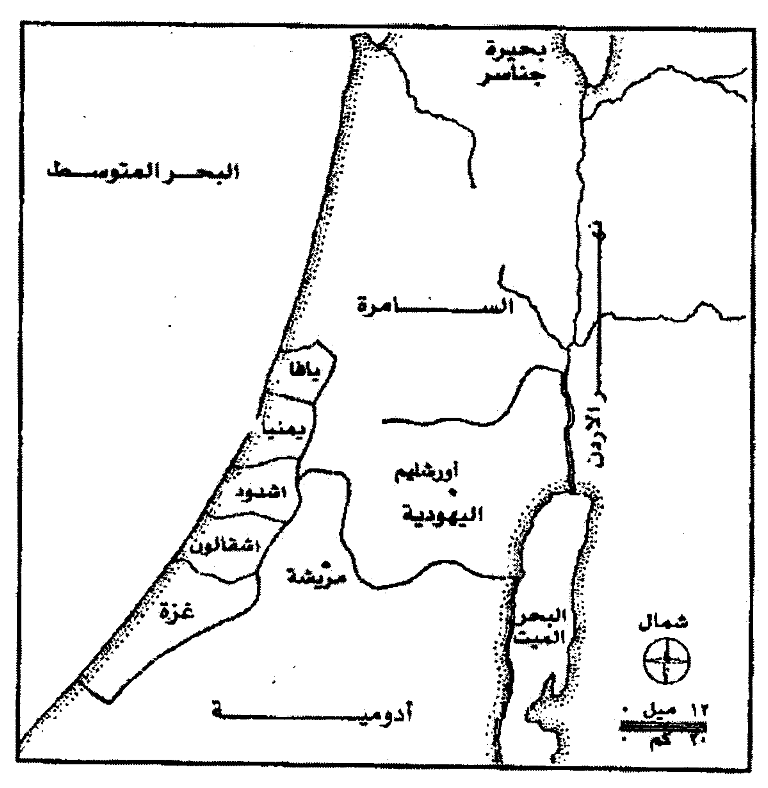
أسوار أورشليم "مدينة داود" و التلال الشرقية و الغربية



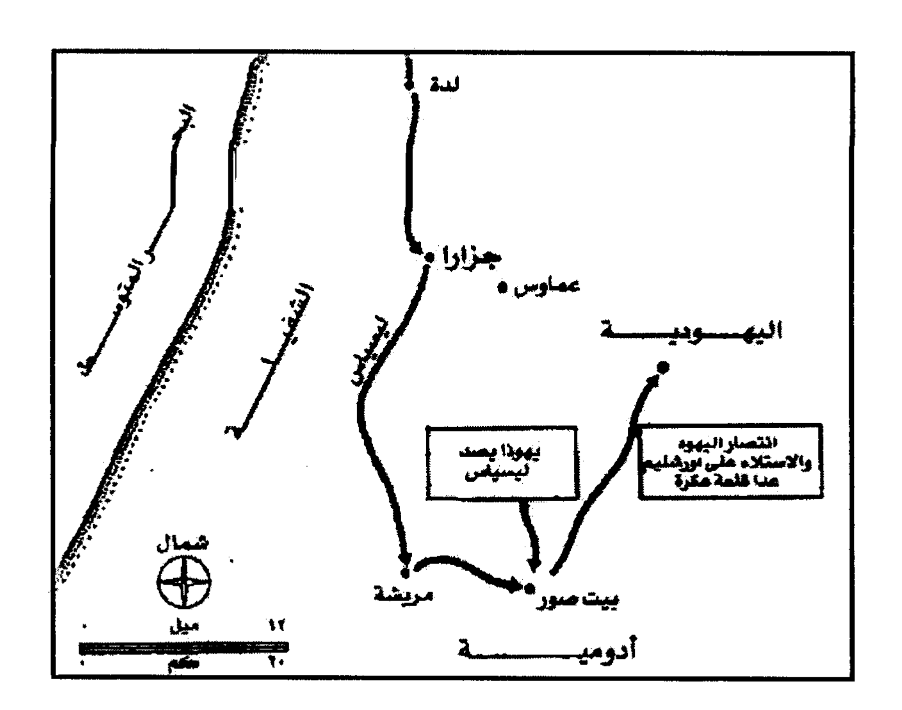
بداية الثورة الحشمونية ١٦٧-١٦٥ ق.م



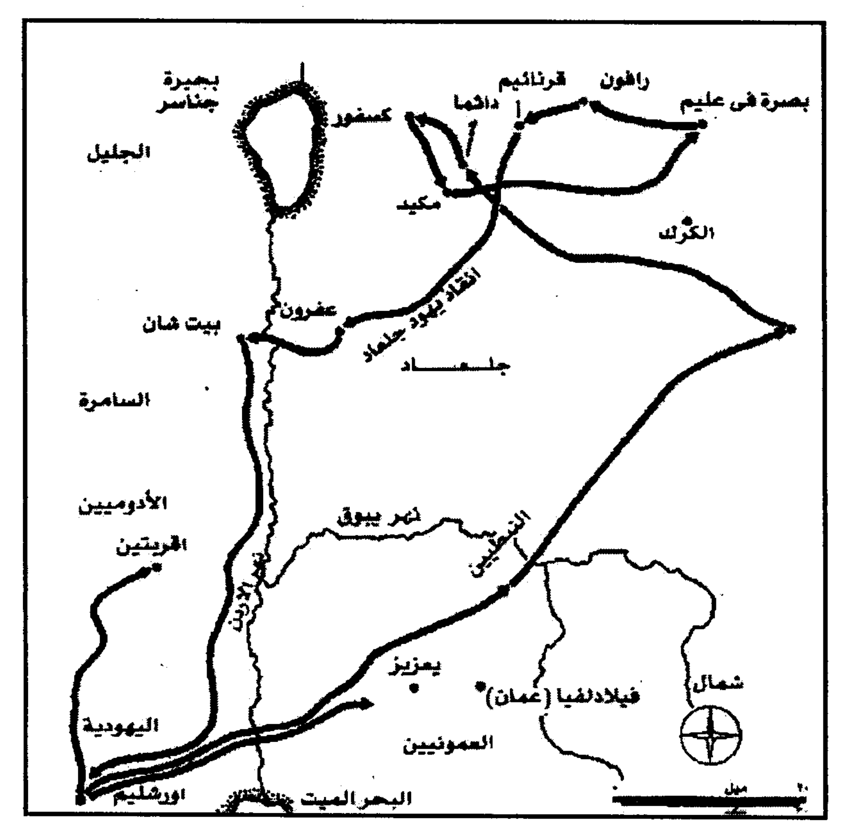
معارك بيت حورون و عمواس ، بين سنتى ١٦٦ و١٦٤ ق.م.



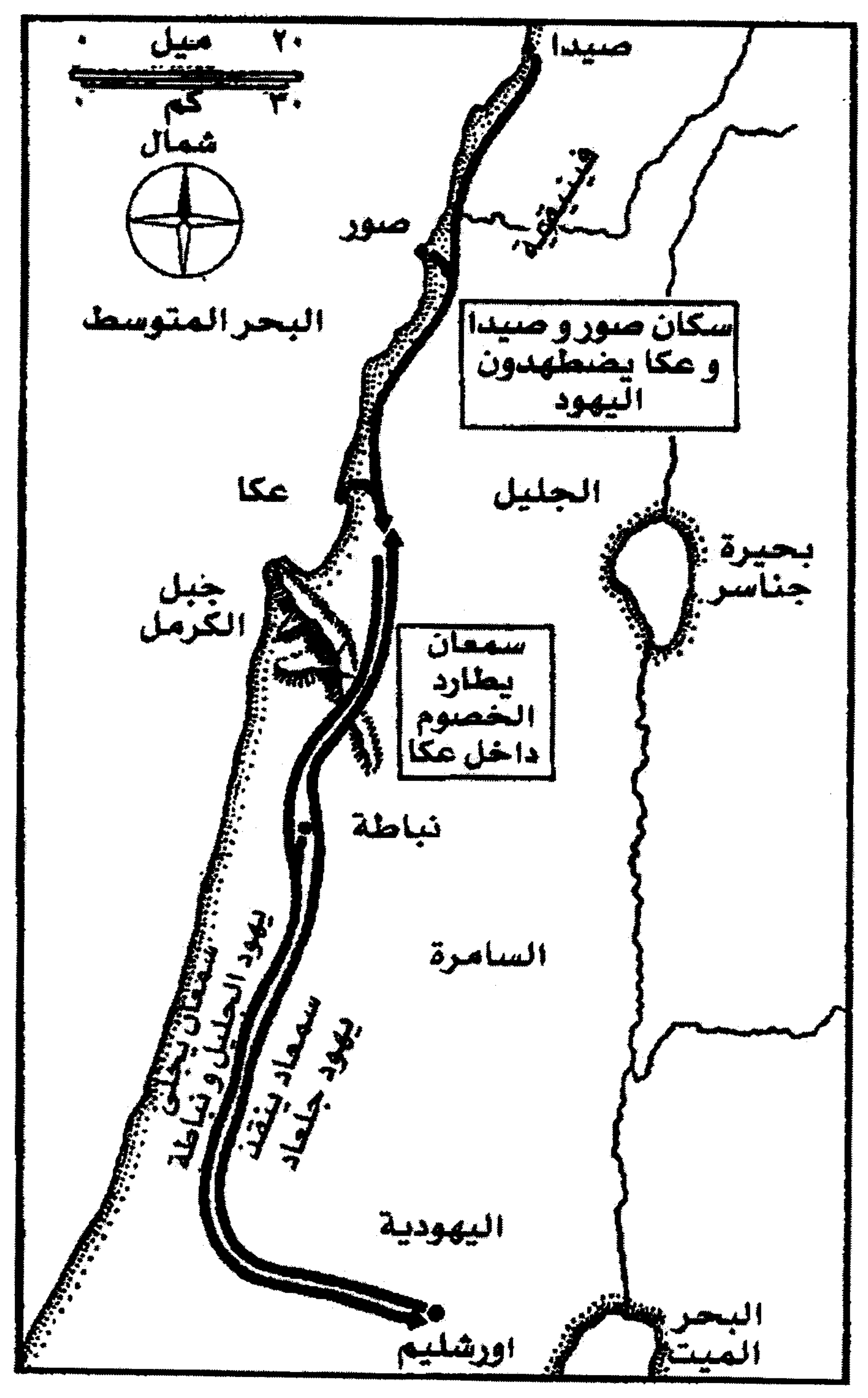
المقاطعات السياسية حول اليهودية
فى بداية الثورة الحشمونية ١٦٧-١٦٥ ق.م.



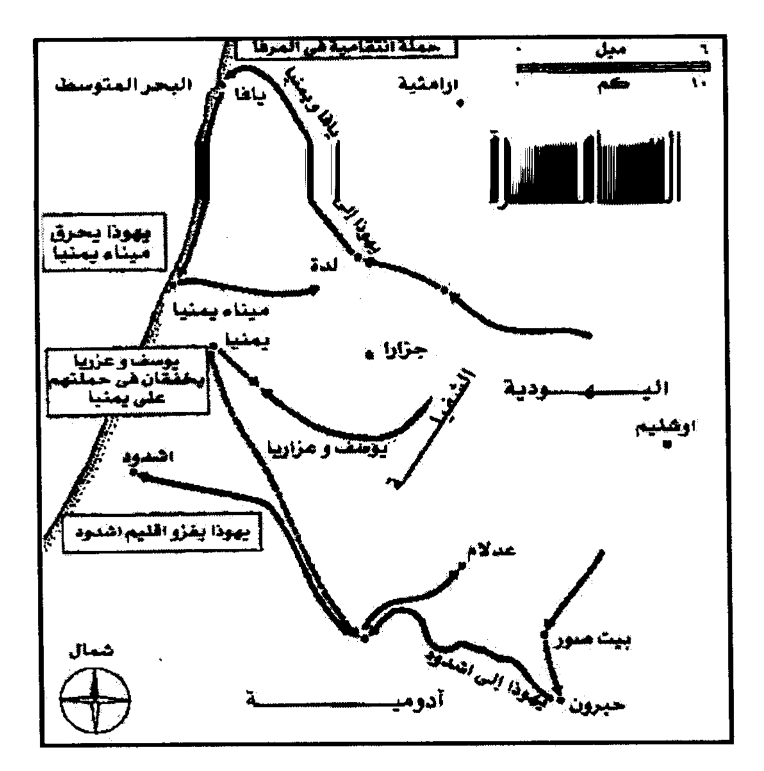
حملة ليسياس الأولى على بيت طريق صور- سنة ١٦٤ ق.م



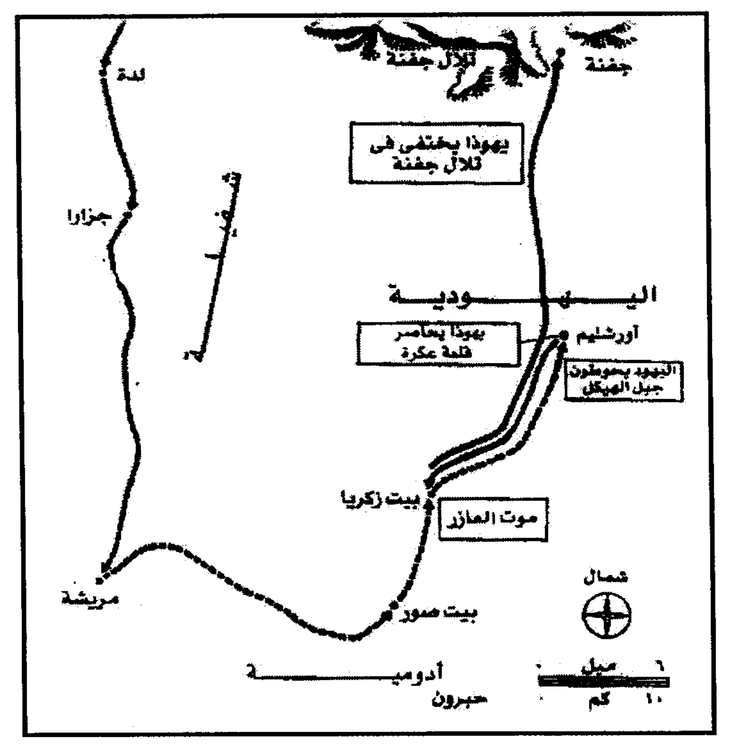
حملة يهوذا على العمونيين و الحريتين ،
و حملة يهوذا و يوناثان فى الجليل سنة ١٦٣ ق.م



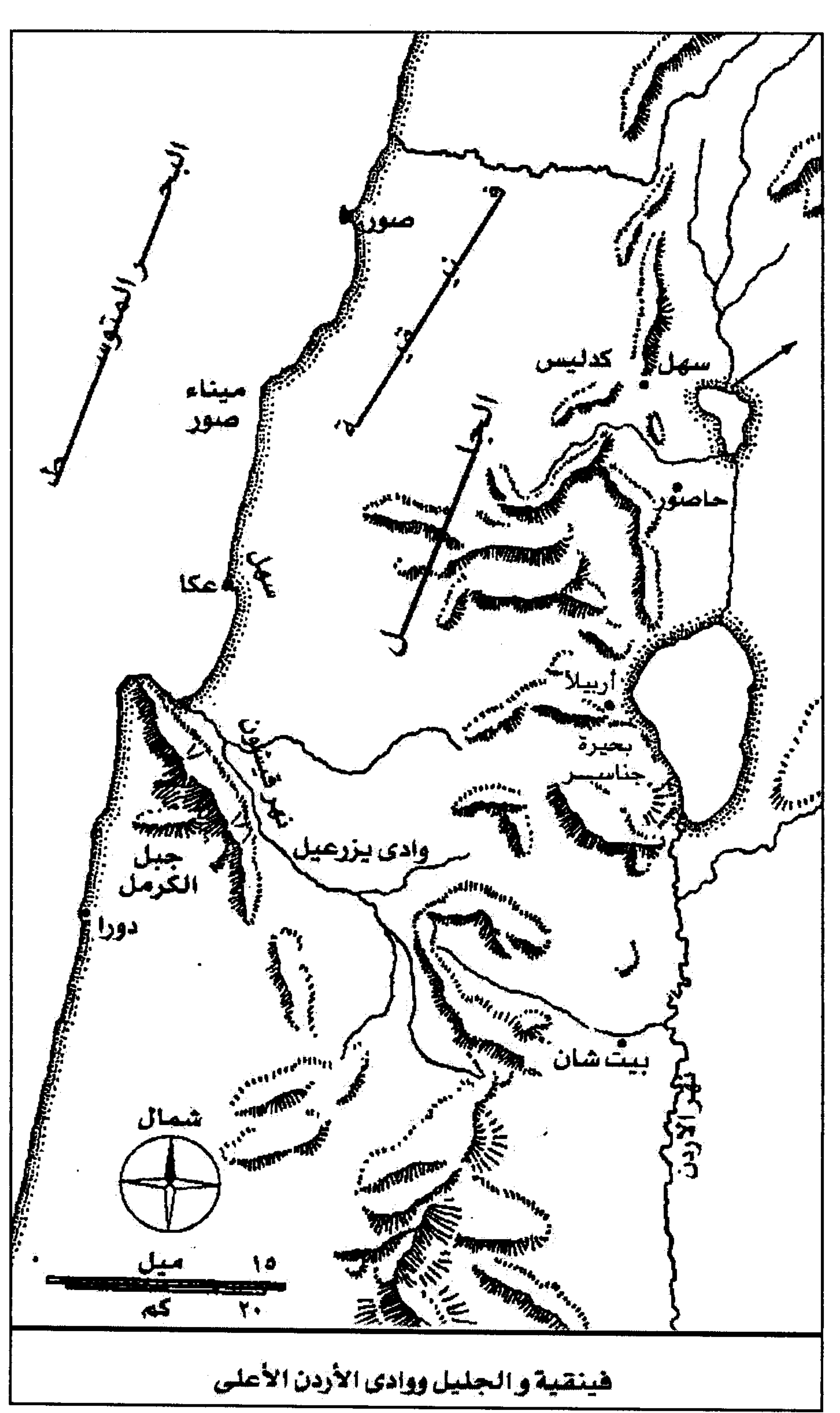
حملة سمعان على غرب الجليل - سنة ١٦٣ ق.م.



يهوذا في الاقليم الساحلي و أدومية سنة ١٦٣ ق.م



معركة بيت زكريا سنة ١٦٢ ق.م



فينقية والجليل ووادى الأردن الأعلى

(فهرس ما تضمنهُ هذا الكتاب)

(الفصل الأول)

(الفصل الثاني)

(الفصل الثالث)

(الفصل الرابع)

(الفصل الخامس)

(الفصل السادس)

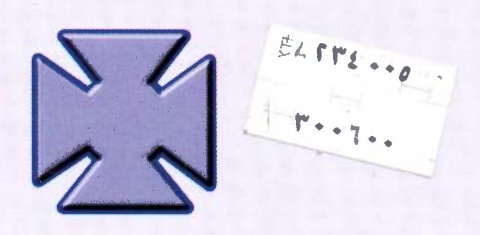
(الفصل السابع)

(الفصل الثامن)

(الفصل التاسع)

(الفصل العاشر)





عزيزى القارئ

لقد قمت بإعادة طبع كتاب تاريخ يوسيفوس اليهودى وهو كتاب يحوى بعض حوادث عن تاريخ اليهود القديم مثل

١. تاريخ داريوس وكورش ملوك الفرس.

٢. تاريخ أستير الملكة والملك أحشويروش.

٣. تاريخ اسكندر الأكبر وأعمالهِ وحروبهِ.

٤. تاريخ حكم أسرة يهوذا المكابى وفترة حكمهم وحروبهم.

٥. تاريخ أسرة هيرودس الكبير ويوسيفوس المؤرخ وحروبهم.

٦- تاريخ هدم هيكل سليمان (هيكل أورشليم)

٧. تاريخ هدم أسوار أورشليم وخرابها وتشتيت اليهود.

أتمنى أن تقرأهُ وتقف وترى عمل الله فى كل جيل، وكيف تحققت كل النبوات التى تكلم بها الله وأنبياؤه، راجياً من الرب يسوع أن يكون هذا الكتاب سبب بركة ومنفعة لك ولكل من يقرأه.

والمجد لله دائماً أبدياً آمين.

الراهب القمص

أنطونيوس الأنطونى

